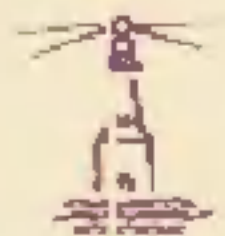


مصطفى محمود

www.TipsClub.com



اعترافات عشاق



دارالمعارف

هذا الكتاب من تأليف الآخرين وليس من
تألفي.

لقد تركت مقعد المتكلم واكتفيت بأن أكون
مستمعاً وأعطيت الميكروفون لكل من يريد أن يطلق
ضحكة أو يسكب دمعاً أو يصرخ صرخة.. واكتفيت
بالتعليق.

هنا لقاء طويل نلتقون فيه بكل من عشق وأحب
وتألم.

نلتقون بأنفسكم.. برسائلكم.. وأوراقكم
وحروفكم.

هذا كتاب منكم ولكم.

فيه جيلكم الشاب بأسراره وجروحه وأمراضه
ومباهجه وأحزانه وأفراحه.. وكل شيء فيه.. حتى
تفاهاته.. هو أرشيف صادق لخطاباتكم.

وأغلب ما فيه منقول بالنص من الخطابات
الأصلية، لم أ تدخل بقلمى إلا لمجرد صياغة عبارة أو
استبدال كلمة بكلمة تعبر أكثر عما يريد أن يقوله

المتكلم.. وتجنبيت النصيح وإلقاء المواعظ، وتحاشيت
فرض الحلول، وآثرت تحليل المشاكل وتعميق
جوانبها وإلقاء الضوء عليها.. مجرد إلقاء الضوء..
ليصبح صاحب المشكلة أقدر على فهم مشكلته وفهم
نفسه.. وبالتالي أقدر على الاختيار.

وأحياناً يكون مجرد الاعتراف والإفشاء
والمصارحة والمكاشفة.. ولو على الورق.. ولو لإنسان
لا نراه ولا نعرفه.. أحياناً يكون مثل هذا الإفشاء
وإفراغ مكنون القلب، راحة وحلا. ولحظة صراحة
من النفس قد تشفى من داء عضال، تعجز كل الحيل
عن مداواته.

إن كتابة رسالة ليس أبداً أمراً صيائناً.. فالكلمة
شيء ساحر.. وحينما تتجمع عواطفنا الحبيسة، لنخرج
في كلمة على الورق.. فإن سحابة من الراحة تلفنا..
وكأننا انزاحت عن كاهلنا أعباء العالم كله.

ولا أحب أن أطيل.

وأفضل.. أن أقدم لكم.. أنفسكم.

مصطفى محمود

البنات والمرأة

١٩ سنة مدللة دلوعة متهشكة على الآخر مع أنها السادسة
على خمس أخوات كلهن تزوجن وهي الباقية.

بعد ست سنوات تعليم ابتدائي وثلاث أخرى في الثانوي
تكتب اسمها بصعوبة ولا تفتح مجلة ولا تقرأ كتاباً وطول وقتها
أمام المرأة تسبب شعرها وترفعه وتضفره وتعقسه وتفكه وتربطه
وتحله.. إلخ.. إلخ.. إلخ.

وبعد الشعر يبدأ دور الحواجب.. والملقاط.. تنتف شعرة شعرة
في صبر مقرز حتى يصبح وجهها مثل وجه قرد مسلوخ.
ثم الأظافر الطويلة والطلاء بالمنايكير الأحمر الدامي ثم
البودرة والروج والريميل.

ثم تحزق الفستان، ونقل الحزام من مكان إلى مكان، ورفع
السوتيان وتقصير الحمالات وتطويل الحمالات إلخ.. إلخ.. إلخ.
هذا غير يوم الحلاوة.. وما أدراك ما الحلاوة.

والفستان غايته شهرين.. ثم يلقي في قاع الدولاب ويبدأ
الحناق على فستان جديد.

وأنا الأخ الغلبان طالب الجامعة إذا طلبت بدلة فتح الأب
المحترم جاعورته وراح ينصايح ويلقى درساً في أصول الكفاح،
وكيف أن العباقرة كانوا في أيام تلمذتهم يلبسون خيشاً ويذاكرون
على شمعة أو لمبة جاز.

وأعود إلى الست الهانم الأخت.

وهي حرة تلبس وتدهن وتلمع وتورنش وتستعمل الملقاط
والكماشة كما تشاء.. ما دامت تؤدي واجب البيت وتعطيه حقه.
أما أن يكون البيت زربية والغرفات قدرة لا تعرف المكنسة
والعنكبوت مدلى من الأركان والبق سارح على الفرش والأطباق
قدرة والأكواب مدهنة ورائحة البيت تفوح كريهة لحظة أن يفتح
الباب وكأن مقبرة فتحت فإنها مصيبة.

والمصيبة الأكبر أن الهانم نفسها لا تستحم.. لا تدخل الحمام
إلا في المواسم والأعياد.

الكسل.. الكسل.. الكسل.

كسلانة لدرجة الموت وكأن الكسل صفة هوانى وخاصة من
خواص الأنوثة.. تزيد من فتنتها وجاذبيتها.

وهي لا تنشط إلا في الرغى والتلقيح على الناس، وصوتها
مرتفع مسرع مزعج من رأس الشارع.. وكلامها كله لت وعجن
واللى تقوله تعيده.

كثيرة الأكل وفمها لا يخلوا أبداً من شيء.. لب وسودانى..
حمص.. كرملة.. جيلاتى.. سميط.. مفتقة.. عجة.. سد الحنك..
حلاوة طحينية.

وهي تفتح الثلاجة وتأكل.. لا تسأل لمن الطبق المغطى وإنما
تكشفه وتهشه، فإذا كلمها أحد راحت تهشه هو الآخر بلسانها
السليط.. وعندها لسان منشار تدخل به في الكلام في كل موضوع
وعاملة نفسها «أبو العريف» وتبالغ وتوقع بين الجيران وتوقع
نفسها وتوقعنا في مشاكل لا آخر لها.

فإذا حاولت أن أنصحها وأصلح من اعوجاجها قامت القيامة
وهيت الأم (٥٥ سنة على نيتها ومدروشة) وراحت تصرخ.. إنت
حاتكون السبب في أنها تطفش زى ما طفشت فلانة وعلانة..
يا ميله بختى.. يا دهنى.. يا حوسى.. يا مصيبتى.

وطبعاً الهانم تسمع الكلام ده تتعرج أكثر وأكثر، والنتيجة أنها
تدخل وتخرج على كيفها وتسهر على كيفها.

وسمعتنا في الشارع زفت..

كل الناس يتكلمون علينا..

وأنا إذا فتحت فمى انطلقت تصرخ في وجهى... يا خايب
يا نايب.. يا ساقط.. يا ضايح.. يا صايح.. اجري شوف لك كلمة
ذاكرها.. اجري اتشطر على كتاب تقراه.

وأنا فعلا ساقط.. بدل السنة سنتين.. وربما أسقط هذه السنة أيضا.

ولكن هي السبب.

فكيف يمكن أن أذاكر في زريبة.

وكيف أفتح كتاباً في مولد لا ينفض.

أصبحت سريع الغضب ضعيف الذاكرة بسبب الحياة في ترفزة متواصلة.

ولا أمل.. الأم مدروشة.. والأب هتلر.

ولا أحد يريد أن يتفاهم.

وكل ما تفعله البنت سكر.

وكل ما يقوله الولد خايب مثله.

والأب يقول لي بالفم المليان.. أنت آخرتك حانطلع حرامى شحات صايح مش نافع.. كل زمايلك فى كلية الحقوق تخرجوا وأنت قاعد زى المرأة المطلقة.

- طيب وهى حانطلع إيه فهمونى؟

- إنت مالك يا أخى هى آخرتها حايجيلها عريسها وتنكش من على قفانا.. انما أنت راجل.

- نفسى أبقي راجل.. نفسى تخلوني مرة راجل قدامها.

- إحنا إلى حانخليك راجل.. فيه راجل طول بعرض

يسقط كل سنة زى الرطل.. إنت إلى حمار.. حانعملك إيه.. كلام.. كلام زى الدبش. زى السكاكين. زى السم.

وأنا أعيش فى ارتباك.

أختى قتلتنى.

نفسيتى تحطمت بسببها.

تخلفت فى كل شىء بسببها.

ولا حل أمامى.

المعذب م. م

أنا أفهم أن أختك بنت صايعة وضايعة فعلا.

ولكن لا أفهم كيف تكون هى المسئولة عن خيبتك.

وكيف تلقى على أكتافها مسئولية فشلك.

والرجولة معناها أن تكون مسئولاً أولاً وأخيراً عن أفعالك

وآلاً تقول رسبت فى الامتحان لأن أختى فعلت، لأن أختى

ليست.. لأن أختى قلعت.. أنت لم تخلق هذا العالم لتفرض على

الآخرين شروطك.. قوم نفسك أولاً لتكون قدوة للآخرين قبل

أن تطلب منهم أن يكونوا على مثالك.

ويمكنك أن تبدأ بأن تكتس غرفتك بيدك.. وتغسل أطباقك

بيدك.. وتنظف فراشك بيدك.

إن الزريبة زريبة لأنك لا تفكر بأن تمد يدك. بأى مساهمة في
تنظيفها.

وأختك قدرة.. هذا صحيح.

ولكنك لا تفعل أى شىء لتكون نظيفاً.

إن ما تفعله أختك لا يسقط عنك المسؤولية إلا إذا كنت أنت
الآخر صفراً.. بلا إرادة وبلا عقل وبلا يدين.. كل دورك في
الحياة أن تنتظر ما تفعله الأخت.

وبالمعنى الواسع نحن لنا إخوة في الإنسانية قتلة وسفاحون
ولصوص، وبائعو مخدرات وهاتكو أعراض.. فهل نتخذ من هؤلاء
الإخوة عذراً لنلقى المسؤولية عن أكتافنا ونقول رسبنا وفشلنا
بسبب هؤلاء الإخوة.

وأختك نموذج ردىء بلا شك ولكنها نموذج شائع جداً، وكثير
من البنات مثلها لا هم لهن إلا التوب والمرأة والمشط وانتظار
العريس فهل معنى هذا أن نصاب جميعاً بالعقم والفشل.

لن نكون رجلاً إلا في اللحظة التى نتصرف فيها باستقلال
كامل عما تفعله أختك وتعثر على شخصيتك الخاصة، وتصنع
مصيرك كما تريد أنت لا كما تتخيلك الهانم وأمها.

الكلب

عمرى ٢٠ سنة وابن أكابر ومن عائلة غنية وشكلى وسيم
كما يقول جميع الأصدقاء..

ساقط في الثانوية العامة للمرة الثانية.. لم أجد حلاً لهذا
السقوط المتكرر سوى الهرب من وجه الأهل والأقارب ومن
كلمة «ياساقط» طفشت من البيت وأنا مصمم على عدم العودة.
فكرت أن ألتحق بأى عمل وأعتمد على نفسى وأكسب قوقى
وأدخل امتحان هذا العام وأذاكر وأجتهد ولا أعود إلى البيت
إلا ناجحاً.

كان الشىء الوحيد الذى أجيده هو قيادة السيارات.
وعن طريق صديق لى عملت سائقاً لدى عائلة مكونة من
رجل يكاد يكون «أهبل» ويمكن «بيستهبل» وكان من
الإقطاعيين وسنه فوق ٥٥ سنة وزوجة شابة عمرها حوالى ٣٥
سنة.

كنت على استعداد أن أقبل أى عمل بأى مرتب وحتى بدون

مرتب مقابل المأكل والمسكن فقط، ولكنهم أكرموني وأعظوني
ستين جنيهاً كل شهر، وغرفة صغيرة جميلة في حديقة الفيلا (هي
في الواقع قصر) وأكثر من هذا كانت هناك خادمة تأتيني كل يوم
بطعام جيد مرسل إلى من الفيلا.

كنت في غاية السعادة في عمل جميل وعندى فرصة للمذاكرة
وفي جيبي مبلغ اعتبرته ثروة ومصرف سخي يأتيني كل شهر.
وكانت السيدة صاحبة ذلك القصر تطلب مني أن أخرج لها
السيارة كل يوم لتعرفني بالأماكن التي يذهبون إليها فكنت أقود
السيارة وتجلس هي خلفي وتظل طوال الطريق تسألني.. أنت ابن
مين.. وليه سبت أهلك، وإيه نوع دراستك.. وباختصار عرفت
عن كل شيء.

كانت لا تتحدث معي إلا بالإنجليزية بعد أن عرفت أنني
أجيدها.

إلى هنا وأنا أعامل كل من في المنزل سواء أصحابه أو الخدم
بكل احترام وأدب.

ثم بدأت ألاحظ أشياء غريبة، فالزوجة تستغل سفر زوجها
(وهو دائم السفر) لتخترع أي مشاوير وتطلب السيارة وأنا
بالطبع معها، أكثر من هذا كانت تطلب السيارة للخروج، وعندما
أسأها على فين تقول لي.. أنا عايزة أتفسح.. لف بالعربية كده قد
ساعة وارجع تاني.

كان المفروض أن أشك في الموضوع ولكني كنت أقول إن
بعض الظن إثم.. إلى أن كانت ليلة كنت جالساً في حديقة الفيلا
ألاعب الكلب فخرجت هي من بلكونة غرفتها ونادتني فصعدت
إليها.. التفتت بها في صالة الفيلا.. كانت تمسح عينيها وتقول إنها
تعبانه ومش لاقية حد يجيلها كباية الميه تأخذ قرص الدوا (برغم
أن المنزل مليء بالخادومات) فنزلت إلى الدور الأول وأحضرت لها
كوب الماء وصعدت فلم أجدها في الصالة.. وسمعتها تناديني من
غرفة داخلية وتدعوني للدخول.

كانت نائمة على السرير بغرفة النوم في قميص نوم شفاف.
وقفت متردداً على الباب.

شجعتني بإشارة من يدها.

لاحظت أنها لا تلبس شيئاً تحت القميص الشفاف.

ومن هذه الليلة تطورت علاقتنا زادت مرتبتي عشرين جنيهاً
وعرضت عليّ أن تحضر لي مدرسين لمعاونتي في دراستي، وأصبحت
تغازلني علناً مظهرة إعجابها بلون عيني وجمال شعري أمام زوجها
الذي كنت أشك في رجولته، لأنه لم يكن يعباً بكل هذا الذي
تقوله زوجته.

كل هذا ياسيدي وأنا سارقاني السكينة زى المثل ما بيقول،
إلى أن كانت ليلة فظيعة حاولت فيها أن أثور عليها وعلى
العبودية والخضوع الذليل الذي وصلت إليه وقمت لأخرج من

غرفتها فقامت هي وسدت الباب بجسمها وهددتني إذا حاولت الخروج أن تصرخ وتجمع حولنا الجيران والخدم وتدعى أنى كنت أحاول أن أتهم عليها في غرفة نومها في أثناء سفر زوجها.. عندئذ وفي تلك اللحظة فقط أفقت من سكرتى وعرفت أى ورطة وأى مصيبة وضعت نفسى فيها.

ولا تتصور ياسيدى كيف دارت بى الدنيا وكيف أصبحت خادماً لها أسيراً لرغباتها على كره ونفور منى.

وقد تقول لى وماذا يكرهك على البقاء فى خدمتها.. لماذا لا تترك البيت وترحل، والإجابة أنها تهددنى إذا تركت خدمتها أن تلفق لى تهمة سرقة (والمنزل به نقود سائلة تصل أحياناً إلى عشرة آلاف جنيه عدا المجوهرات).

أصبح فكرى مشتتاً وانقطعت عن المذاكرة.

أصبحت تسلط على الخادومات وتهددنى بأن تبلغ البك بآنى أغازهن وتلوح بأنها سوف تطلب البوليس، وسوف تطلب الكشف على الخادمة.. وسوف تزوجها لى بالإكراه إذا انتضح بالكشف أنى أفسدتها..

وهكذا أصبحت فى دوامة من التهديدات.. وأصبحت كالكلب المربوط بالسلاسل عند قدمى سيده.. لا سبيل له إلى فكاك. أفكر فى الانتحار أو قتلها لأتخلص من المأزق الذى وضعت نفسى فيه.

كيف أنجو من هذا الفخ.

لا تشتمنى فأنا مش ناقص.

حاول أن تدلنى على طريقة أنقذ بها نفسى ومستقبلى.. ولك شكرى..

يبدو لى خطابك كأنه «حلم يقظة» من فبركة خيال تلميذ ساقط خييان يحلم بأنه أصبح معشوق امرأة مليونيرة، وأنه أصبح يتمرغ فى فلوسها وفى أحضانها على كره منه وعلى نفور واشمئزاز، وكالعادة يتصور أنه ضحية.. ضحية الست.. كما كان ضحية المدرسين الذين اضطهدوه وسقطوه.. وإنه ابن الأكابر المجنى عليه.

والواقع أنه لا امرأة هناك ولا فلوس.. ولا عاشق ولا معشوق.. ولا خدم ولا حشم.. وكل ما هناك هو الخيال المريض الذى يبني القصور والفيلات فى الهواء.. ويصور لنفسه اللذات القرية المنال وهو يرفضها وهى تطارده، وهو ينفر منها وهى تجزى وراءه وتحاصره.. وهو فى النهاية معذور مسكين غليان يتأفف هذه اللذات تحت التهديد.

مسكين يعمل إيه.. مضطر لهذه اللذات المقرفة.

لا أقول إن مثل هذه الحكايات لا تحدث..

إنها يمكن أن تحدث..

وهي عادة تحدث بكثرة في الأفلام المصرية.

وهي تحدث دائماً في خيال المراهقين الذين يعيشون في انطواء ووحدة وسوداوية تحت وطأة العادة السرية والعزلة والفشل والسقوط في حياة الواقع.

وهي الغذاء الرئيسي لأحلام الفقراء.

وقد تحدث في الواقع فتعتبر نادرة تروى..
ممكناً..

ولكن إذا وقعت فحلها يكون سهلاً جداً لا يحتاج إلى كل هذه التشنجات.. فيمكنك أن تترك الخدمة التي لا تعجبك.. دون أي خوف، فلن تتقدم الست بأي شكوى من أي نوع.. فمثل هذه المرأة تكون جبانة جداً.. فهي سيدة مجتمعة ولا يمكن أن تجلب لنفسها فضيحة للاحتفاظ بهلفوت مثلك، وهي يمكن أن توظف غيرك في هذه الوظيفة المغرية، ولو أعلنت عن طلب سائق لجاءها ألف، ولأمكن لها أن تنتقى ما تشاء أجمل وأرشق من سيادتك.. والمصابات بالشذوذ من أمثالها يعتمدون على خدمات الكلاب لا على السواقين إلى زيك.

ولا أفهم كيف تكون ابن أكابر ومن عائلة غنية وتصف «غرفة السائق» في الفيلا على أنها قصر.. أن هذا خيال رجل فقير كحيان مش لاقى يأكل يبيت في غرفة خدم فيتصور أنها

قصر لأن عمره ما شاف سرير.

ومثل هذه المرأة إلى في بيتها تقود سائلة أكثر من عشرة آلاف جنيه غير المجوهرات وعندها هذه العربة الفاخرة، وسنّها ٣٥ وجيلة، مثل هذه المرأة تكون مشتركة في عدة نواد ولها أكثر من معجب وأكثر من صديق.. ولا يمكن أن تكون مقطوعة ومتفرغة لواحد ساقط بكالوريا زيك أمثاله بالمشات على نواصي عماد الدين.. وكلهم بشعر مسيب وعيون عسلى.. وما أكثر وأرخص هذه البضاعة وما أوفرها في مجتمعا، والعشرة بصاغ بالمون.. والمسألة مش محتاجة لكل هذا الحصار وتعب القلب.
يا صديقى.. إنت بتعلم.

والحل بسيط جداً.. أن تفوق إلى نفسك وتبطل سرح وتفتح كتاب الإنجليزى وتقرأ لك كلمتين ينفعوك بدل ما تحلم أنك بتكلم صاحبك بالإنجليزى بطلاقة (أمال سقطت ازاي وأنت بتكلم زى شكسبير، يا أخى فلقتنى).

والدى قد باع أرضاً لراقصة متسولة أصبحت فيما بعد نجمة
سينمائية مشهورة.

وعندما تاب والدى ورجع إلى صوابه كانت ثمانون فدأنا من
أجود الأراضي قد بيعت لراقصات وسماسرة ومقامرين ووفاء
لديون بعض البنوك.

ولم يكن لنا رصيد سوى والدتي في ميراث وقف الجميع ضده
كى لا يبده.

وكننت أنا في المدرسة، وكان أخى الأكبر هو الذى يرعى
الزراع ويجمع المحصول.. وهو الذى «لطيفته المتناهية» كان
يراهن على أن يأكل ٢ كيلو حلالة طحينية مقابل ٣٥ قرشاً
فيأكل نصفها ويخسر الرهان وينام في المستشفى ١٨ يوماً.
أما عمى فقد ابتعد عنا بعد ذلك وأصبح رجلاً في حاله
لا يعرفنا ولا نعرفه، عاش عاكفاً على تنمية ثروته واستثمارها
وأنجب بنتاً أدخلها مدرسة أمريكية في أسيوط.. وأنشأ لها حديقة
وأقام حول الحديقة سوراً وجلس خارج السور يلعب الطاولة..
هوايته الأزلية المباركة المفضلة.

ثم انفجرت العداوة بيننا وبين عمى.
كنت أيامها في منتصف الدراسة بأحد المعاهد العليا عندما
جاءني النبا العظيم.. أخى الأوسط قرر الزواج من بنت عمى.
ورفضت البنت ثم أمها ثم أبوها.. رفضاً غير مؤدب مشمولاً

هل هو الجنون

سأظل أضحك.. ولكن ذلك لن يؤثر في الحدة المتناهية التي
تحيط مشكلتي.

أبى وأبوها أخوان.. فهي ابنة عمى..
ولأبداء لك بأبى..

وأبى نموذج طبيب لرجال كثيرين كانت الباربات براقصاتها
تعيش على أكتافهم في الأعوام الماضية.. يملك الأرض وما يكاد
يجمع «قرشين» حتى يطير إلى كازينو بديعة بالقاهرة، فينفق
«القرشين» ويعود مرهق الأنفاس ضيق الصدر حاد الطبع يقضى
وقته متناوياً متعباً في بار لوكاندة بالاس القائمة كالغراب على
قناطر سنورس.. وما يكاد المحصول الجديد يحصد حتى يجمع
الريع ويجرى إلى القاهرة.

ثم عمى..

ولكن عمى لم يكن يعرف القاهرة بل ولم يزرها طوال حياته
إلا مرتين، مرة أيام كان عضواً في الاتحاد القومى وسافر على
نفقة الدولة.. ومرة ذهب ليحضر والدى عام ١٩٥١ حينما علم أن

بأسباب تؤرخ لحياة أخى بادن من علاقته بنعيمة بائعة الطعمية
ومنتهية بموضوع الحلاوة الطحينية.

وثار أخى الأكبر وثارت والدتي وثار أخوالى وثار أبى ثم
بالطبع ثرت أنا.. ولكنى كنت أضحك.

ولم أكن قد رأيت بنت عمى منذ ثلاث سنوات.

وفى الإجازة الصيفية رأيتها.

كنت أمر بجوار سور الحديقة عندما تلصصت نظراتى من
وسط النباتات فوجدت ابنة عمى.. كأودرى هيبورن.. جالسة
على الحشيش تحت شجرة مشدبة تطالع كتاباً ملوناً.

وداخل تلافيف مخي عشتت البنت.. صورة حلوة هادئة مليئة
بحوافز الحصول عليها.

وبعد مناقشات ومباحثات ومفاوضات مع أقطاب البيت وافق
الجميع على أن يطلبوها لى حيث لم يسبق لى بشهادة الجميع أن
كانت لى صلة بنعيمة بائعة الطعمية، أو كان لى تاريخ فى الرهان
على التهام الحلاوة الطحينية.. بالإضافة إلى أنى كنت فى طريقى
لأن أصبح موظفاً محترماً تمنى أى فتاة أن تدنى نفسها بين
أحضانها.

وتقدم الوفد مساء يوم الخميس من شهر أغسطس إلى والدها.

ولم يرفض والدها هذه المرة بل بصق.. نعم بصق فى وجه كبير
الوفد.. وكانت المأساة المروعة أن كبير الوفد كان خالى.. وهو

من عائلة أخرى شديدة البأس.

وانفجر الموقف.. وهراوات وضرب.. وانتهى الأمر بتدخل
أصحاب المعروف.. ولكن وما أفظع لكن هذه.. قرر أخى بعد
موافقة أبى أن يفتال عمى.

كما قرر خالى أن يفتال عمى ويفتال أبى أيضاً.

وجعت حقائبي وذهبت إلى صديق فى قرية أخرى.. مجروح
الكرامة ولكنى كنت ربما من الغيظ.. أضحك.

ولأنك لا تعرف قريتنا ثم لأنك لا تعرف عائلتنا، ثم لأنك
لا تعرف أبى وإخوتى.. فأرجو ألا تسخر أو تستهين بهذه
الكلمات.. فقد كانت هذه القرارات لا تعنى سوى التنفيذ.
ولأنى كنت مجروحاً.. ولأن سلوك أهلى لم يعجبني.. ولأنى
واحد من معادلة لا يمكن الخروج عن قانونها، فقد قررت أنا
الآخر اغتيال عمى.

قررت أنا كاتب هذه السطور اغتيال عمى عن طريق بنته.

قررت أن أغتصب بنته.

كنت حزينا ولكنى كنت واعياً مدركاً لخطورة ما أنتوى عليه.

درست حركات أبيها عند عودتي إلى القرية.

وعرفت أنه كل مساء سبت من الساعة الخامسة يترك جلسته
الأبدية أمام باب المنزل ويتمشى لغاية الجمعية التعاونية الزراعية

ليحضر الاجتماع الأسبوعي.

أما الابنة المدللة الارستقراطية التي كانت تشتمني وتطلق التصريحات ضدّي في كل مناسبة.. فما كان أسهل أن أعتدى عليها.. ضربة فوق الرأس «على طريقة المصارعة الحرة» ثم ينتهي كل شيء وبدأت اتخذ الترتيبات ثم حددت اليوم السبت ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ الساعة ١١ مساءً.

وقبل الميعاد.. سقط عمي مريضاً بذبحة صدرية حادة أقول لك صراحة لقد فرحت وتوقعت أن نعم الفرحة الجميع.. أبي وإخوتي ووالدتي.

ولكن المفاجأة أن أبي المتحفظ في تصرفاته جرى كالطفل يبكي ثم تبعه إخوتي ووالدتي وجريت خلف الجميع.

طلبنا طبيباً فتأخر الطبيب فأحضرنا سيارة ونقلنا عمي إلى أحد الأطباء بالبندر.. وتغير الجميع.. أبي ظل ملازماً لأخيه عدوه اللدود في العيادة.

أخي الأكبر أصبح الراعي للمنزلين.

أخي الأوسط الطبيب ظل طوال اليوم والأيام التي تلت من العيادة للبيت ومن البيت للغيط ومن الغيط للعيادة حتى كاد يسقط إعياءً.

وأنا أخذ ابنة عمي وأمها في السيارة إلى العيادة وأعود بهما حيث أجلس أمام منزل عمي هادئاً مرتاحاً أرعى لهم أي طلب.

آء.. كم كانت بنت عمي تذوب رقة وحناناً خلال هذه الأيام الستة الرائعة.

وعاد عمي.

وجلس أمام المنزل من جديد يلعب الطاولة.

وبدأت الأوضاع بسرعة غريبة تأخذ مجراها القديم.

العبوس الدائم..

السلام الذي لا يلقي على عمي.. وأن ألقى فلا أحد يرد عليه.

وبدأت أشعر بعودة الغيط القديم.

نم..

حيث حفرت بنت عمي لها مأوى في نفسي وحيث أصبح

الحديث عن اغتيال عمي متداولاً بيننا.. وكان مرضه المفاجئ كان مجرد نقطة لم تقطع خط الكراهية المستقيم.

وحيث عدت أتلصص من خصاص السور لأرصد تحركات

بنت عمي.

فقد عاد القرار القديم يراودني.

مرة أخرى بدأ يلح على ذهني أن اغتال عمي عن طريق

اغتناب ابنته.

وابنته تجلس في الحديقة عصر كل يوم هادئة.

وهو يلعب الطاولة أمام السور.

وأنا..

أنا مرجل من النار لا يهدأ.
الرغبة التي لا تقاوم تأكلني.
أخطط لتنفيذ انتقامي..

وأود أن تقنعني بعدم تنفيذه.. ولن أطاوعك.
ولقد بدأت اعترافي ضاحكاً.
وهأنذا أنهيه وأنا أبكي.

معذب من القرية



بالرغم من جاذبية أسلوبك وخفة روحك في الكتابة.. إلا أن
دمك ثقيل جداً.. وأفكارك غاية في السخف والانحطاط
بخصوص هذا القرار أو الخطة التي تقول أنك ستنفذها انتقاماً
من عمك في ابنته التي تحبها.

إن مجرد الانتقام من شخص في شخص آخر هو ظلم غبي
أعمى.

وأن يكون هذا الشخص هو من أحببت هو حضيض الأنانية.
وأن تعامل من تحب بما تكره وبما يكره ينحط بعواطفك لمجرد
الرغبة الماكرة في الامتلاك بأي ثمن.. ومجرد التسلط والتحكم
وفرض النفس على الآخرين بالقوة.

ولا يغفر لك إلا أن تكون كل هذه الأفكار هي مجرد خيالات
مجنونة تسيطر عليك لمجرد حرمانك ممن أحببت.. أو أن تكون
مزاحاً سخيفاً وثقيلاً يراودك.

أما إذا كنت تقصد بالفعل وبكل برود أن ترتكب هذه
المحاكمة فأنا لن أقنعك.. وإعنا البوليس هو الذي سيعرف كيف
يقنعك وحبل المشنقة سيكون أكثر إقناعاً..

وكنت أفهم أن تحاول أن تعرض رجولتك في القتال فتضع
أمثال هذه الخطط لتوقع بأعدائك وأعداء بلدك.. أما أن تنفذ
ما تعلمته في المصارعة الحرة على بنت قليلة الحيلة لمجرد أنها
رفضتك.. فإنك تصبح دون الرجل ودون المرأة ودون الحيوان..
ولن تفوز بشيء سوى بصقة أخرى من العائلة كلها والقرية
بأجمعها تظل عالقة كالوصمة على صدرك..

والحب لا ينال بالكراهية.. ولا التفاهم بالقوة.. وواضع من
أسلوبك أنك تفهم هذه الأشياء جيداً وأعود فأقول إنني سوف
اغتنر لك هذه الكلمات الهوجاء إذا كانت مجرد الصفحات الأولى
من رواية خيالية تكتبها فقد تعودت أن أقرأ أمثال هذه الفورات
العنيفة في القصص من شخصيات أمثال هيشكيليف في رواية أميلي
برونتي وغيرها.

وأسلوبك يرشحك للدخول في ميدان الكتابة..

وهذا أفضل من الدخول في تخشيبية البوليس أو مستشفى
القصر العيني بعد علقه ساحة من هراوات الفلاحين، وأفضل
بكثير من حكم بالإعدام أمام محكمة الجنايات.

أكرهه.. أحبه..

هو ابن عمي الوحيد.. كان المثال السيئ والفاشل والشرير
في العائلة كلها.. منذ نعومة أظفاره كان دائماً مطارداً.. أو سارقاً
أو هارباً من المدرسة.

توفي والده وهو صغير فحاول والدي - وهو خاله - وبصفته
أحد كبار رجال التربية والتعليم في ذلك الحين - حاول والدي أن
يصلحه وأن يحنّضه ولكنه فشل.. إذ أن «الولد» لم يكن يقيم
وزناً لأي شيء، مقامراً لئلاً مشاكساً حتى كرهناه جميعاً وكرهنا
أن يدخل منزلنا وطرده والدي من عشر سنوات وترك الجميع
عوضهم على الله فيه.. بالطبع ما عدا عمي.. «والدته» التي
عانت الأمرين وهي تتحمل شكاوى الناس وسبهم له ومطاردتهم،
وشتائمهم بسبب أخلاقه وصفاته التي لم يكن فيها ثقب إبرة
واحدة يستطيع الإنسان أن يرجو منه الخير.

ومنذ خمس سنوات حصلت على شهادة غير معترف بها وغير
ذات أهمية من إحدى مدارس «الفرير» الأجنبية، ونظراً لأن
وضعنا في القرية لا يساعد على أكثر من ذلك فقد قنعت بها

منتظرة - بعد ذلك - العريس القادم حتماً - كالدستور الأبدي لعائلي الكبيرة، والتي ترقد بناتها في البيوت.. ويعمل رجالها سواء أصحاب أراض أو ضباط أو موظفين.

وبدأت المتاعب في المنزل بعد أن أحيل والدي إلى المعاش - فقد قل دخلنا واستولى أبناء عمي على الأرض التي كان يديرها والدي لحسابهم «بعد موت الوالد» كوصى لهم أيام أن كانوا قسراً.. ونتج عن ذلك هبوط شنيع في حياتنا بل وفي ضرورياتنا. ولا سيما أن أبناء عمي لم يرحموا أبي في مطالبتهم النهائية بكل التقديرات المالية المطلوبة منه.

ثم بدأ هو يدخل حياتنا جميعاً من جديد.

المكروه أبداً المطارد أبداً مثال الشر القاسي الذي لا يقيم وزناً لأحد أو لمثاليات.

لا أعرف كيف عاد إلينا - برغم أنه لم يكن قد ترك القرية أو نزع عنها.. إغما - كالماء - تسرب إلى حياتنا وأصبح الصديق الدائم لوالدي.

لم يعد يسرق، لم يعد يتاجر في المتنوعات - على قدر علمي - ولكنه أصبح شخصاً آخر.. مقامراً سكيراً يملك مالا ويزرع أرضاً.. هكذا أصبح - وفي نظري إذا كان لا يسرق، فذلك ليس معناه أنه لا يسرق، وإغما معناه أننا لا نعلم بذلك.. أي كل ما في الأمر قصور في معرفتنا وليس صلاحاً في أخلاقه.

وأحسست بأن والدي يقترض منه مالا، بل وأحسست أنه يملك قدرة التصرف في كثير من شئوننا.

أحسست أنني الصفقة التي ستقع قريباً فريسة له. وعندما بدأت أجر الخيوط مع والدي اكتشفت أن ليس عنده مانع نفسي لبيعى له.

انهارت أحلامي.. واستيقظت الأفعال الشريرة التي كان يطارد بها الناس وظلمت مؤرقة ضيقة الصدر. وفكرت في الانتحار.

ولكنني قبل أن انتحر قررت أن أواجهه. لا يمكن أن انتظر حتى تقع القاس في الرأس. ثم استطعت أن اتفرد به..

وبكل الضيق وبكل الأسى وبكل الحزن وبكل اليأس.. صارحته بأنني أفهم سياسته.. وأنه حقير وأن ظفري بعشرة مثله. وأنتى سأنتحر إذا ما فكر أن يحصل على.. كنت نائرة ومستعدة لأن أقتله لحظتها.. ولكنه كان بارداً..

قال إنه لم يفكر في ذلك ولن يفكر في ذلك وليس مستعداً لأن يشتري «جثة جميلة» «على حد قوله».

وإذا كان أحد آخر قد فكر في ذلك فليس هذا شأنه..

ولكنى كنت أفهم خبثه ومكره.. فسببته وقلبت ماضيه على رأسه وبرغم ذلك لم يثر.. بل ازداد بروداً.. واستطاع أن يمتص غضبى وثورق.. وتكلم كثيراً.. تكلم عني وقال إننى لا أصلح لشيء إطلاقاً لأن الحياة الحديثة «نعم.. هو يتكلم عن الحياة الحديثة».. الحياة الحديثة لا تقبل أن تضم مثلى بين جذراتها قال إننى لا أستطيع أن استقل قطاراً بمفردى.. وقال إننى لا أستطيع أن أسير خطوة واحدة خارج المنزل، وكل الذى يمكننى عمله هو أن أقدم الطبخ الدسم واللحوم المشككة وقراءة مجلة حواء.. ويكفى أن مجلة حواء تنشر «باترونات» لم تؤثر حتى الآن فى طريقة ملابسى، وأننى فلاحه سلبية دسمة جميلة تعلمت القراءة والكتابة فى مدرسة أجنبية بحكم الصدفة، وأن كل الذى أصلح له أن أكون زوجة مدرس ابتدائى يعود إلى آخر اليوم حاملاً بطيخة غير ذلك لا أصلح له ولا لأحد آخر.

أما مسألة أنه لص فذلك أمر لا يخصنى، وأن الذين يعلمون كيف تسير حياته أربعة: الله وأمه وضميره وحبيبته.. وأنه سيتزوج العام القادم.. موظفة فى إحدى المصالح الحكومية بالبندر، وأنه مستعد لأن يقدمها إلى فى الفرصة والوقت اللذين أحدهما. وفى المساء عاد - بنفس هدوئه - وقدم لى خطابات حبها له وقرأت بعضها ورأيت صورتها.. وعرفت أنه خلال الثلاث سنوات الماضية لم يكن له هم سوى نقلها من المحافظة التى تعيش فيها وهى محافظة بعيدة إلى البندر الذى تقع فيه قريتنا.

ودخلت الدوامة من أوسع أبوابها.

الأسى يطحننى والألم يهزنى.. وعلاقاتى بالناس ارتبكت. وكرهت أبى وأمى وإخوتى.. وكرهته.. ثم كرهته.. ثم أصبح هو قطعة من أفكاري.. لم أعد أنام.. ولم أعد أستيقظ.. ولم أعد أراه ولكنى أرغب دائماً فى رؤيته، أتمنى أن أستيقظ فأجده ميتاً.. وأحياناً أفكر أن أدم له السم.. وأحياناً أتصور نفسى زوجة - نعم زوجة له قادرة على إسعاده وقادرة على أن أسافر إليه - أينما وكيفما كان - بمفردى أتصوره لصاً ومهرباً ومزارعاً ناجحاً أشاركه حياته «الجنة» كما وصفها.. ثم لم أعد أتصور شيئاً سوى أنى حبيبته.

نعم حبيبته.. أترين له.. وأقص فساتينى على باترونات مجلة حواء كى أرضى خيالى معه..

أحبه.. حتى أننى أتمنى أن أقذف بنفسى بين أحضانها ثم نشعل النيران فى البيت.. لنموت معاً..

لنموت معاً..

ومازلت أتقلب على فراشى داخل السجن فى انتظار رجلى..

ر.. كوم أمبو

أكاد لا أشك فى النار التى تأكل قلبك.

ولكن هل هذا حب.

أنت ذكية جدًا ويجب ألا تخدعي نفسك بالكلمات.

هل هي نار الحب التي تأكل قلبك أم نار الكرامة الجريحة والأنوثة التي سقطت في الامتحان.

إنه في نظرك الشيطان اللص بائع المخدرات المقامر الكبير والانتحار أهون ألف مرة من التفكير في الزواج به.

ولكن اكتشافك أنه طول الوقت لم يكن يفكر فيك.. وأنت في نظره واحدة ست بلدي لاتعرف كيف تلبس ولا كيف تركب قطارًا تعلمت كلمتين أفرنجي بالصدفة.. وأنه طول الوقت كان يفكر في امرأة أخرى، كل هذا أشعل الغيرة في قلبك وجعل منه رجلاً محبوباً.

ولكن هذه أسباب لا ترشح رجلاً مكروها لأن يجب..

إن ما حدث لم يكن شيئاً بينك وبينه.. وإنما شيء بينك وبين نفسك.. ثورة امرأة جرحت في أنوثتها.

وأنت الآن تجربين وراءه لتحصلي على اعتراف عاجل بهذه الأنوثة التي أنكرها والمجازبية التي أهدها.

إن حبك لنفسك وليس حبك له هو الدافع الحقيقي.. أنت تريدين رد اعتبار سريع لجمالك بأى ثمن ولو بأن تعلني حبه.. وأنت في هذا أنانية مثله شريرة مثله.

كانت أمتيتك في البداية أن تستمتعي بإذلاله ورفضه، فإذا به

هو الذى يستمتع برفضك وإذلالك.

إنها مبارزة ذكية جدًا بين أنانية وأنانية.. مبارزة دوافعها شريرة في الجانبين.

وإن كنت لا أستبعد أن يكون في أعماق هذا الشر حب مستتر قديم وباطن في قلبك وفي قلبه.. فتعليقاته المفصلة حول تصرفاتك تدل على أنه كان يراقبك طول الوقت وأنت تقرنين حواء بما فيها من باتروونات.. ثم لا تلبسين في النهاية إلا العباءات والاشولة الفلاحى «ومعنى هذا كله أنه كان يتمنى أن يراك في فستان محزق أو جابونيز أو ديكولتيه وهى أمنية عين تحب وننتهى»

وأنت بدورك.. كلامك الحاد البذى، عنه يدل على اهتمام مبكر به وبشئونه «ولو أن كلامك شتيمة».

ثم لم تكن هناك دواع عاجلة واضحة لهذه الخلوة التي صارحت فيها برفضك له كزوج.. فلم يثر أحد موضوع هذا الزواج المرتقب.. لا أبوك - ولا أمك.. وما قالاه في هذا الموضوع كان نتيجة استدراج منك.. معنى هذا أنك أنت وأنت وحدك التي فتحت موضوع الزواج بلا مناسبة.. وكأن باطن شعورك يريد أن يقول: يا الله يا أخى بقى اتحرك واخطبني.. ولو كان ظاهر كلامك يقول العكس.. بعينك ولو تطلع عينك مش حاتاخذنى. ضافرى بعشرة زيك.. يا راجل يا كلب.. «وهى مرقعة نسوانى شائعة في

الأخلاق الشرقية بين نساتنا.. أن تقول الواحدة للرجل..
يا سم.. ابعده عني أوعى تلمسني.. بعينك.. وهي تموت فيه وتدوب
في دباديبه».

ومعنى هذا أنك شريرة مثله كما قلت.. تريد أن تسرق
قلبه كما يريد هو أن ينشل أفكارك.

وأنت كذابة. أثيمة وهو كذاب أثيم.. وأنت الالئين العن من
بعض.

وأنا أحب أن أعرف كيف ستنتهي هذه المباراة القاتلة بينكما
وإن كنت أتوقع أن ينتهي كل منكما إلى أحضان الآخر وأن تختتم
القصة بزواج قريب «وما تنسوش تعزمونى فى الفرح».

الصدمة

أسعد كافي أكتب لك هذه الرسالة بدمى أنا ابن السادسة
عشرة الذى قدر له أن يفتح عينيه على مأساة ويصدم فى أمه
وأحلامه ومثالياته.

إنها قصة أشبه بما تقرأ فى الروايات للأبطال الذين ينتحرون
ويعيشون حياتهم على حافة الجنون.. ومع ذلك فما أجمل بداية هذه
القصة.

أب حنون طيب يجاهد طول عمره ليوفر المال والثراء
لأسرته.. ويقول دائماً إن الستر والحياة فى كرامة ونظافة لا يتوفر
لمن يعيش فى ذل الفاقة، وأن الدخل الميسور معناه أن تجد الأسرة
الطعام وتظفر برعاية الطبيب وتمتع بتعليم راق لأولادها وتأمين
لمستقبلها.

والحياة لا أمان لها.. ورصيد فى البنك باسم الأم والآب
والأولاد هو ضمان ضرورى. فالأعمار بيد الله ولا أحد يعرف
ماذا يحبى المستقبل من مفاجآت.

وهكذا مضى الأب الطيب يكدح ويقتصد ويستثمر ذكاه

وبجهوده واشترى بضعة أسهم وعقارًا.

ثم مات في العام الماضي ليترك لنا إيرادًا شهريًا يبلغ حوالي أربعمائة جنيه وسيارة مرسيدس وفيللا جميلة في ضاحية راقية.

كل ما نحتاج إليه وأكثر لنعيش حياة مرفهة مستقرة. أنا وأمي وأختاي اللتان تتراوحان بين العشرين والثالثة والعشرين وتلتحقان بمدرسة أجنبية.

حياة يحلم بها أي واحد في هذه الدنيا.

ومكانة يحسدني عليها أي ابن..

كنت في هذا الحلم الجميل حينما سافرت مع مدرستي في رحلة للبحر الأحمر لمدة أسبوعين.

ومضيت ألعب وأهوى على شاطئ البحر وأصطاد السمك. وأمزح مع أصدقائي.. ولأمر ما اضطررنا الظروف للعودة قبل انقضاء الأسبوعين.

وعدت إلى الفيلا وكان ذلك حوالي الساعة مساءً.. وكان معي مفتاح للبيت ففتحت ودخلت بدون أن يشعر بي أحد لكي أفاجئ العائلة بعودتي.. ولكنني لم أجد أحدًا.. وصعدت للدور الثاني وذهبت إلى غرفة نوم أمي وكان بابها مغلقًا.. ورأيت وياليتني ما رأيت. رأيته في أحضان عمي.

صعقت وتصيب العرق على وجهي وارتجفت أوصالي ودارت

الدنيا بي.. وعدت أدرجني وأنا كالمذهول.. ماذا أفعل؟.. كيف أنصرف؟

واستبد بي التفكير والأرق..

ولم أعد استطيع التركيز في كتاب أنا الطالب المجتهد الذي داومت على التفوق في جميع مراحل تعليمي.

وتناوبتني الهواجس والوساوس.. هل أقتل عمي، هل أصارح أمي.. وماذا أقول؟ وكيف تصبح العلاقة بيننا بعد مثل تلك المصارحة والمواجهة.. ماذا يصبح مركزها في نظر نفسها وفي نظري ماذا يصبح مركزي في نظرها وفي نظر نفسي.. أنا الابن الذي فضح أمه وسقطت من نظره إلى الأبد، وفقد القدوة والمثل الأعلى.

كيف تقف مني بعد هذا موقف الناصح.. وكيف تواجهني وترشدني في حياتي وهي التي عجزت عن إرشاد نفسها..

وكيف أقف منها موقف الناصح وأنا ابن السادسة عشرة وهي السيدة الأم في الأربعين.. كيف أوجه إليها مثل هذا الاتهام المهيين المشين المخجل..

وأي كراهية تنمو بيننا بعد هذا.. كراهية في نهايتها أسوأ من السقوط واللعن من الخطيئة.

وكان عقلي أضعف من أن يحتمل هذه الضغوط الفظيعة فبدأ يتهار.

وتحولت إلى طيف شارد سارح مذهول على الدوام.
وليت الأمر انتهى عند ذلك، ولكن عرفت مؤخرًا أن إخوتي
البنات يذهبن إلى النادي ويترددن على شبان في شققهم ويعدن في
الواحدة صباحًا وأمي لا تكلمهن ولا تسألن أين ذهبن.
وسمعتهن في النادي قذرة.
وتصور أن تنهار عمد البيت الذي أعيش فيه فجأة وبدون
توقع أو انتظار فاكشف أن أمي ساقطة وإخوتي ساقطات.
وأنا من أكون.. وماذا أفعل.. وماذا يقول عنى الناس.. حينها
ينكشف عارنا للكل.

أنا المثالي المتدين الذي نبت في بيئة كلها حب.. أو هكذا خيل لي.

وتصور كيف أجلس لأذاكر في الدور السفلى وعمى بداعب
أمي في حجرتها في الدور العلوى مطعنين إلى جهلى بكل شيء..
وأخواتي يراقصن الشبان التويست في النادي.

كيف أجد العقل لأركز وأقرأ؟

كيف أجد الانتباه لأفهم؟

وكيف أجد الإرادة لأواصل وأتأبر.. وأنا مشتت مبعثر ممزق
الذهن والوجدان إنه عذاب فظيع الذي أعيش فيه.
أفكر في الانتحار ولكن أخشى الله وعقابه.

سوف أرسب.. أنا أعرف أنك سوف تواسيني ولكن
ما جدوى المواساة؟

لماذا لم تكن أمي امرأة فاضلة.. وماذا تريد من الدنيا..
وعندها المال الوفير والعربة الأنيقة والسكن الراقى..
والمركز واحترام الناس وكل ما تتمناه امرأة؟
هل أخطأت ليعاقبنى الله في أمي وفي أهلي..؟
إني أموت من الحسرة ولا أجد مخرجًا..!
ماذا أفعل؟

١. ح. ح

إنها كارثة فظيعة بالفعل وربما لو قرأت أمك كلماتك وشعرت
بأساتك ربما تصرفت بكرامة وحفظت للبيت على الأقل هيئته
واحترامه وقطعت رجل هذا العم من البيت.

ولكني لا أنصحك بأي مواجهة أو مصارحة بينك وبين أمك..
لا تفتح فمك بكلمة.. ولا تكاشف أمك بهذه السقطة
وإلا تقطعت حبال المودة وزرعت كلماتك كراهية لا شفاء لها.
وتذكر أنك لست خالق هذه الدنيا لتحمل وزرها على كتفك.
وإذا كانت أسرتك سقطت فالعالم كله في حالة سقوط.. العالم
أسرتنا الكبرى تنعرق بين الزنا والخمر والحروب والقتل والسرقة

والكذب ونحن أبناءها نتألم ولكن علينا أن نواصل ليصلح كل
منا ذات نفسه ويكون قدوة حسنة للآخرين لا قاضيا وجلادًا لهم.
كن رجلًا صالحًا في ذاتك لتصبح قدوة لأهلك وإخوتك.
وسيكون هذا صعبًا في البداية، ولكنك يمكن أن تتعود عليه.
على كل واحد أن يحمل وزر عمله.
وشرفك هو ما تقدمه أنت بيديك لا ما تفعله أهلك.
إن النظرة التقليدية الأخلاقية بأن الأم يمكن أن تلتطخ ابتها
بالعار بما تفعله هي نظرة غير صحيحة.

فالإنسان يشرف بأعماله هو لا بأعمال غيره.
والعار لصاحب العار وحده.

وأنت لن تستطيع أن تصنع نفوسًا جديدة لأم في الأربعين
وأختين راشدين، كل ما سوف تفعله إذا قذفت بالطين في وجه
الجميع هو مزيد من التمزق والكراهية والعداوة للكل.
ستعاني صراعًا عنيفًا لتغالب الانفجار والغضب، وتروض
نفسك على تقبل مصيرك وقدرك.. ولكن تذكر أن من وراء
الجدران في بيوت كثيرة حولك تخطئ أمهات وتسقط بنات، وأنه
في هذه اللحظة يسقط قتيل بريء في فيتنام.. ويموت أطفال من
الجوع في الهند.. ويقتل الاخوة بعضهم بعضًا في الصين.
إننا ولدنا في أرض الخطايا.

والحل ليس الصراخ، وليس الغضب، وليس القتل، وليس
قذف الطين في وجوه المخطئين.
ولكن الحل مزيد من الحب.
أن يحاول كل منا أن يصلح نفسه ويقوم ذاته ويكون قدوة
لغيره قبل أن يقف منه موقف القاضي من المتهم.
وتذكر أنك يمكن أن تخطئ أنت أيضًا حينما تكبر وتلج عليك
شهواتك وغرائزك.

حاول أن تكون الابن المشفق لا القاضي الجلاد.
ولكن مثلًا أعلى في تصرفاتك قبل أن تطالب الآخرين بأن
يكونوا مثلًا عليًا.

إن الله يمتحنك بهذا البلاء الذي أنت فيه.
ولكني أعتقد أنك ستمر وستتفوق على نفسك وعلى عذابك.

وقلت لهم في تحد أعترف.. سوف أبيت الليلة وكل ليلة.. مع
السكان الجان وأجعلهم يدفعون خلو رجل كمان.
ونظروا إلى باستخفاف وإشفاق.. وهم يتهايمون.
أنت بتشكت كمان على الجن.

ولن أطيل عليك ذهبنا جميعاً وكنا خمسة وبتنا ليلة في تلك
الشفة المنشومة.. وكان ما حدث شيئاً لا يصدق.. انقطع التور في
البداية ثم أمطرنا السقف المظلم بقذائف لا حصر لها.. طوب
وملاعق وسكاكين وصحون وأشواك مسننة وقطع صابون وأكواب
وتمار فاسدة وبيض وكراسي.. ثم بدأنا نسمع نقرات عالية على
زجاج النوافذ والأبواب.

وحاولت أن أهرب بنفسى فأحسست بيد في الظلام تناولني
نظمة قاسية على خدي وصرخت وأغمى عليّ.

وفي اليوم التالي كنت أمشي إلى الكلية وأنا كالمصعوق..
السدود.. أفكر.. وأفكر كيف يمكن أن تحمل روح كرسياً وتقذفه
في الهواء.. وهي ذاتها هواء أو أتير.. أو لا شيء..
وهل يوجد ذلك الشيء الذي اسمه عفريت.
وكيف يسكن العفريت جسماً آدمياً.

وماذا يحدث إذا كان أحد هذه العفاريت قد أعجبه جسمي
فسكن فيه وترك الشقة لزملاته.

العفريت الذي ركني

أتيت من الريف.. لأدرس الطب في القاهرة.
ولأعرفك بنفسى.. فأنا متفوق في دراستي دائماً طموح أهوى
الشعر وأؤلف الروايات والتمثيليات والقصص في أوقات فراغي..
مدمن اطلاع.. عقليتي علمية.. انظر إلى كل شيء نظرة علمية
وأرفض التعلق بأي خرافة ولا أصدق قضية لم يقم عليها دليل
محسوس.

تبدأ مأساقي حينما عرض عليّ بعض الزملاء في أثناء نقاش
حول الأرواح والجن والعفاريت أن نقضى ليلة في شقة معينة
قالوا لي إنها «مسكونة» بالجن.

وضحكت طبعاً على هذه الخزعبلات وقلت لهم إنه لا يوجد
من يسكن الشقق غير البشر.. وإن الجن والعفاريت كلام فارغ
وتخاريف عجائز انحدرت إلينا من عصور ما قبل العلم.. عصور
الجهالة والظلمات.

وقالوا حينذاك في حماس.. نحن نتحدثك أن تبيت ليلة في تلك
الشقة.

وكانت الفكرة عابرة في البداية.

ولكنها بدأت تلح على ذهني.

وبدأت أشعر بالفعل أن هناك شيئاً أثيراً يسكن في داخلي، شيئاً كالظل مكوم داخل هيكل.

ولم أعد أعرف النوم.

وتحول الليل إلى عذاب طويل ورعب وسلسلة من الهواجس والمخاوف بدأت أشعر بالظل في داخلي يتمدد وينكمش.

ثم بدأت أشعر بأنه ينقر على رأسي ومفاصلي ويدق على ظهري.

وأحياناً كنت أراه يقلب صفحات الكتاب الذي أقرؤه قبل أن أمد يدي لأقلبه وتحولت حياتي إلى سلسلة من الجنون.

ولم أجرو أن أصرح أحداً بهواجسي حتى لا يذهبوا بي إلى المجاذيب.

واعترلت عن أصدقائي وسجنت نفسي في غرفتي.. أعود من الكلية فأدخل غرفتي لا أبرحها وأصبحت أضيء غرفتي طوال الليل بلمبة مائتي وات من الخوف ولم أعد قادراً على التركيز في مذاكرة أو قراءة.

حتى الفتاة التي خطبتها قاطعتها وأصبحت أتجنبها حتى لا تلحظ التغيير الذي طرأ علي، وهي بدورها أصبحت تعيش في حيرة من أمري.

أكتب لك الخطاب الآن في الفجر وأشعر طول الوقت أن الغفريت الذي يسكنني يدق على جمجمتي من الداخل.

نعم أقسم لك أن هناك دقائق في داخل رأسي.

إنه شيء فظيع لم أقله لأحد ولكنه، هناك من يدق على رأسي من الداخل.

أنا أصبحت كالخرابة المسكونة.

وأبضع ما في الأمر أني أحارب عدواً غير منظور.

لو أن ما بداخلي مرض أو ميكروب أو ورم سرطاني لأمكن استئصاله بالجراحة أو علاجه بالدواء.

إنه يكون شيئاً معروفاً يمكن لمسه وتشخيصه ووصفه وتبين خصائصه وملاحظته.

أما ذلك الذي يسكن بداخلي.. فهو عدو كالهواء.. كالانثير.. كالشيء.

ذهبت إلى المشايخ وليست أحجبة وتعاويز أنا طالب الطب ابن العشرين عاماً.. دون جدوى.. ودون فائدة.

إني أموت من الرعب والجنون.

وأهلي قد فقدوا كل حيلة معي.. ولا أحد يعلم مأساتي وأنت أمل الأخير.

إني أقرأ لك دائماً في الموت وما بعده.

واقراً لك تأملات عن الطبيعة وما وراءها.
وأرجو أن تجد لي مخرجاً.

المعذبى

أنت ريفى ساذج ولا شك، وقد ذهبت ضحية هزار سخيف
فالأرواح إذا كانت هناك أرواح لا يمكن أن تشغل نفسها بأمر
تافه مثل قذف الصحنون والملاعق والنوك.

وإذا كانت الأرواح ترفع الكراسى فلماذا لا تفعل ذلك في
النور حتى يؤمن بها كل متشكك.

لماذا تفعل ذلك في الظلام فقط.. وبحسب الأمر إلى انقطاع
النور من الشقة أولاً ثم تبدأ عرضها البهلوانى.

إن اللعبة واضحة من البداية.. ولهذا بدأت الحكاية بقطع النور
ثم شرع أصحابك يلطشونك على أصداعك ويقذفونك بالصحنون
والبيض الفاسد ويضحكون عليك.. وبعد ذلك صدقت نفسك
وسقت في أوهامك.

وإذا كانت الأرواح تضرب بالطوب وبالسكاكين فلماذا
لا تحارب في فيتنام وتنصر أصحاب الحق الغلابة على المعتدين
الفاصلين بدلاً من تقديم عرض بهلوانى في شقة.. وفي فيتنام
يسقط مئات القتلى كل يوم.. وما أكثر الأرواح.. وما أكثر
العفاريت إذا كان هناك عفاريت.

ولا شك أن الماريشال كاوكى يستحق قلماً على صدغه من أى
روح من الأرواح التى أهرق دماءها.

أنت تحلم يا صديقى الريفى الساذج.. وما تشعر به من دق
على جرحمتك سببه أنك دائق عصفوريتين.. وأنت عبيط وأنا
مختصياً مستعد ومشتاق إلى ليلة أبيتها في شقتك المسكونة لأمسك
بيدى ذلك السخيف الذى يرفع كويس النور وأرقعه قلماً على
صدغه وأحلق له شعره في المحافظة بمساعدة عفريت حقيقى من
عساكر البوليس.

واقه يا أخى ما عفريت إلا بنى آدم.

والأرواح الحقيقية لها عالم آخر شفيف رفيف لطيف غير عالمنا
السخيف وهى لا تفكر أبداً في أن تقذفنا بالطوب.. لأننا بالنسبة
لها.. لا شيء.. لا نستحق حتى مجرد لفتة إلى وراء.

وهذه المرة أنا الذى سوف أدق على دماغك.. وأقول لك..
فوق واصحى يا كرودية.

الحياة بدون كبت

أنا كما يراى الناس من الخارج فتاة عادية فى التاسعة عشرة.. مرحلة متطلقة.. الكثيرون يحسدوننى على انطلاقى.. فأنا أبداً دائماً ضاحكة عابثة.. ولكن قلبى من الداخل يدمى.. ولا أحد يعلم ما أعانيه.

أحببت منذ ثلاث سنوات.. وكان حباً أكبر من عمى.. وكان هو فى الثلاثين أكبر منى بأربعة عشر عاماً.. وعلمنى كل شىء.. كنت كتاباً مقفولاً وموضوعاً على الرف. وجاء هو وفتحني وقرأ كل سطر فيه.. وكل كلمة فيه.. وكنت سعيدة.. السنة الماضية فى مثل هذا الوقت كنت أسعد مخلوقة فى الوجود.. فأنا جميلة خفيفة الظل محبوبة من الجميع ومن عائلة غنية أستطيع الحصول على جميع طلباتى.. وأهم من هذا كله.. كان هو بجانبى.. حبيبى.. كنا شبه مخطوبين أمام الناس وشبه متزوجين أمام أنفسنا وأمام الله عرفت معه كل متع الحب.. وكل مسراته.. وقد حرصنا معاً على ألا يتجاوز عبثنا الحدود.. فظللت عذراء.. ولكنه فى آخر لحظة تركنى.. وهجرنى إلى غير رجعة.. قال إنه لا يستطيع أن

يعصى أمر والدته.. وقد اختارت له والدته ابنة أختها اليتيمة.. وخطبتها له.. وهو لا يستطيع أن يرفض لها طلباً فهو وحيدها.. وتعذبت.. ومرضت.. ثلاثة شهور..

ثم بدأت أضمد جراحى.. وأقاوم عذابى.. وأرسم الضحكة على شففى.. وأغتصب الابتسامة.. وبدأت أعود إلى الحياة.. وعرفت أحد زملائى فى الكلية.. وصاحبه.. ولم يكن حباً هذه المرة.. فأنا أعلم أنى لا أحبه.. وأنه لا يحبنى.

ولكنى كنت أبحث عن سلوى.

ونحن نذهب إلى السينما حيث نقضى الساعات.. لا نرى الفيلم.. ولا نرى ما حولنا.. وإنما نظل نتبادل القبلات والعناق حتى يقضى النور..

وفى حى الشباب تأخذنا نشوة المراهقة التى تمر بها نحن الاثنان فيسعر كلانا بأننا نقضى ساعات لذيذة.

ولكن بعد ذلك.. وبعد أن تقضى هذه الساعات.. يبدأ عذاب الضمير.. وأراى أصرخ فى نفسى.. إنى ساقطة.. مجرمة بدون أخلاق مذنبية مصيرها جهنم.

ولكنى أعود فأسأل نفسى.. وما ذنبنا إذا كانت هذه غرائزنا التى ركبنا فيها.. ورغباتنا التى خلقت معنا.

إني لو لم أفعل هذه الأشياء.. فوف أظلم مشغولة الذهن
طول الوقت أفكر وأتني أن أعملها.. وهذا ألين..

ما ذنبنا إذا كانت هذه طبيعتنا..

وأبكي.. وأصلي.. وأصوم، ثم أعود إلى فعل هذه الأشياء.. وأنا
أسأل نفسي في حيرة.. ما الفرق بين ما يفعله المتزوجون وغير
المتزوجين.. إنها ورقة.. مجرد ورقة..

كيف تكون رخصة الفضيلة مجرد ورقة..

ولماذا يعتبر الناس تلامس اليدين في المصافحة عملاً عادياً
لا غبار عليه.. وتلامس الشفاه في القبلة عملاً فاضحاً شائناً..
أليست كلها أجزاء جسم واحد..

وما معنى الفضيلة هنا..

وكيف يكون تحريم أشياء هي في صميم طبيعتنا.. فطيلة..
لماذا لا نعيش على الطبيعة، بدون تعقيد.. وبدون كبت..
وبدون تحريم.

قصدك لماذا لا نعيش كالحيوانات فننتقل مع غرائزنا
بلا ضابط.. وبلا نظام.. وبلا هدف سوى هاتف اللحظة.. ولذة
الساعة.. مستحيل طبعاً.. فهذا معناه أن نتخلى عن إنسانيتنا
تماماً.. ونعود إلى عصر الغابة..

فالآدمية لا تبدأ إلا من هذه اللحظة.. من اللحظة التي يحكم
فيها الإنسان رغبته ويكبح غضبه ويلجم شهواته ويتصرف
بمقتضى أهداف سامية كالرحمة والإخاء والشجاعة والتضحية
والبنء في سبيل الآخرين والعمل على إقامة نظام.. والانقطاع
للعلم والتحصيل والمعرفة وخدمة الناس.. أما إذا انقلب الوضع
وأصبحت لذات الجسد العابرة.. ونزوات الغريزة.. مفضلة على
هذه الأغراض السامية فإن الإنسان يفقد إنسانيته وينقلب
حيواناً.. والنظام الاجتماعي كله ينهار من أساسه..

والزواج ليس مجرد ورقة كما تقولين.. الزواج تنظيم اجتماعي
للغرائز حتى يكون لكل ابن يولد أب مسئول عنه.. وحتى
لا تتحول العلاقات الجنسية إلى فوضى بلا رابط.. وتختلط
الأحساب والأنساب.. ولا يعرف الابن أباه..

والواقع أن الإنسان حينما يضبط رغبته ويكبح شهواته.. فإنه
لا يمكن أن يقال إنه يكبت طبيعته.. فإنه في الحقيقة يخرس صوت
الغريزة.. ولكنه في نفس الوقت يطلق صوت العقل.. وهو يشد
اللجام على الحيوان الهائج في نفسه ولكنه يطلق العنان للوجدان
والعاطفة والفكر.

ولا يمكن أن يقال في أمر طبيعتنا إنها مجرد رغبات حيوانية.
فإن العقل أيضاً من طبيعتنا.. والعاطفة والوجدان والروح.. هي
صميمنا.. وهي أكثر أصالة في طبيعتنا من نزوة الجنس وصرخة
الحيوان الجائع.

أما حكاية تلامس الشفتين في القبلة وتلامس اليدين في المصافحة.. فهي مغالطة واضحة.. ولن أحاول أن أناقشها.. فأنت تعرفين جيداً الفرق بين ما تفعله القبلة وبين ما تفعله المصافحة ومفيش داعي نكذب على بعض.

أما حكايتك مع صاحبك.. فهي حكاية يجب أن تنتهي.. فأنت باعترافك لا تحبينه وهو لا يحبك.. فالعلاقة إذن علاقة حيوانية لإشباع نزوات عارضة.. وهي علاقة تخلو من عنصر الصدق.. علاقة يهين كل منكما فيها جسمه.. ويهين نفسه.. وهي لهذا يجب أن تتوقف.. لا بسبب الدين وحده.. ولا خوفاً من جهنم ولكن بدافع من الإنسانية ومن احترام كل منكما لجسمه ونفسه أيضاً.

عريان أفندي

أنا شاب في العشرين.. مازلت إلى الآن طالباً بالثانوية العامة.. مظهرى محترم ومؤدب جداً.. من يعرفني لأول مرة يقول عني أني خجول وطيب ومهذب.. وهذه في الحقيقة هي المعاملات الظاهرة التي أبدو بها أمام الناس.. ولكن في الخفاء حينما انفرد بنفسى في غرفتى أتحوّل إلى شخص آخر تماماً.. ما أكاد أجد نفسى وحدى حتى أغلق باب الغرفة وأحكم إغلاقه.. ثم أفتح التيباك المائل على الجيران.. وأنجرد من ثيابى.. وأروح أتمشى في الغرفة وأنا عريان.. وأشعر بالسرور إذا أحسست أن هناك امرأة تلمعنى حتى ولو كانت خادمة.

يحدث أحياناً أن تبصق على المرأة التي ترائى على هذه الحال.. وأحياناً تنسم..

وحدث أن أنشأت علاقات بهذه الطريقة.. وهى طبعاً علاقات قذرة مع خادومات ونساء ساقطات..

والمشكلة أن هذه العادة اللعينة تتحكم في سلوكى وتستعبدنى تماماً وتأمرنى فأطيعها وكأنى عبداً.. لا أستطيع لها دفعاً. ومهما

لاقيت من احتقار وازدراء واشمئزاز لا أكف عن التعمدى فيها.
والغريب أنى فى أثناء وجودى فى مجتمع أتصرف بأدب وخجل
شديدين وكأنى شخص آخر.

حدث أن كانت لى علاقات بفتيات محترمات تعرفت بهن فى
أماكن عامة.. وكنت أدعوهم إلى نزوة على النيل أو إلى سينما..
ولكنى كنت دائماً أخسرهن فى النهاية.. بسبب مسلكى الشاذ
فى السينمات.. فى اللحظة التى ينظفنى فيها النور ويسود الظلام..
كان يركبنى ذلك الشيطان.. فأتصرف بدناءة.. وقذارة ونكون
النهاية..

وأنا لا أفعل هذه الأشياء بشقاوة.. ولكنى أفعلها وأنا مغلوب
على أمرى.. وأنا أشعر بتعاسة لا حد لها..

أنا مريض.. أنا أعلم أنى مريض..

وأنا فى دراستى أرسب على الدوام.. وخائب خيبة لا حد لها
وفى أعماقى أحتقر نفسى.. وأشعر أنى ملوث.. ولكن ماذا أفعل
هل هناك حل لرجل مثلى.

حالتك يسميها فرويد «عقدة الاستعراض»..

وفرويد يقول إننا كلنا ونحن أطفال نحب أن نتعري ونخبط
على جسمنا العارى ونلهو به.. ولكن هذه الرغبة تتطور إلى
الحالة الطبيعية السوية عند البلوغ فلا نعود نلتمس لذتنا بهذا

الأسلوب الطفلى. وإنما تتجه إلى الجنس الآخر بالغريزة الطبيعية
التي توجهنا إلى الحب والزواج.

ولكن الجمود عند المرحلة الطفلية قد يحدث لسبب أو لآخر
بسبب ظرف تربوى شاذ أو حادث فى أثناء الطفولة.. فتنشأ عقدة
الاستعراض.. وتستمر هذه الرغبة الشاذة فى العرى فى سنوات
البلوغ وبعده..

والعلاج فى هذه الحالة يحتاج إلى تحليل نفسانى وإلى
استكشاف سنوات الطفولة الأولى وما حدث فيها عن طريق
الأحلام والتذكر وهذا يحتاج إلى طبيب نفسانى محترف.

عقدة التفوق

أنا فتاة أبلغ من العمر الثالثة والعشرين طالبة في كلية الطب متوسطة الجمال.. طريقة محبوبة.. منذ السنة الأولى وأنا أراهم طالبًا.. وأحبه ويحبني..

كنا نقضى طول الوقت بالكلية معًا.. ونذهب معًا إلى النادي والملاعب.. ونقضى آخر الأسبوع في السينما أو في الحدائق.. ونتحدث في آمالنا ومستقبلنا، ونرسم الخطط للسنوات القادمة.

وتعاهدنا على الزواج بعد التخرج.

قال لي إنه لا يريد أن يأخذ مليًا من أبيه.. وإنه لا يريد أن يتزوج وهو يعيش عائلة على غيره..

وهكذا كان انتظارنا طبيعيًا..

ولكن حدثت المفاجأة..

في الإجازة الصيفية من العام الأول.. ونحن نعلق الآمال.. ونحلم بالسفر إلى الإسكندرية وقضاء أيام جميلة على الشاطئ، والاشتراك في رحلة الكلية إلى سوريا.. تغير فجأة..

فجأة.. ويدون سبب واضح.. اختفى تمامًا بعد إعلان نتيجة الامتحان.. وفصلت كل محاولاتى للعثور عليه.

وعلمت أنه رسب في الامتحان.. وأنى نجحت.. ولكنى لم أستطع أن أربط بين هذا الرسوب وبين اختفائه من حياتى.. إن الامتحانات حظوظ.. وليس في رسوبه ما يحججه أو ما يغضبى.. وما ذنب حينا..

إن حينا أبقى وأعظم من أى نجاح أو فشل في امتحان أو غيره وأنا أحبه مهما حدث..

وتعذبت سهورًا.. وأنا أفكر.. وأتساءل.. ثم كتبت له خطابًا طويلًا ألومه.. وأعتب عليه.. وأذرف الدموع من أجل حينا.. وأستحلفه بالأيام الجميلة أن يعود إلى..

وعاد إلى.. وثقابلنا.. ولكنه كان ساهيًا شاردًا متجهيًا لم يكن طليقًا بشوشًا مرحًا كعادته.. وحاولت المستحيل لكى أعيد إليه مرحه.. وحاولت أن أفهم سر عذابه.. ولكنه لم ينبس بحرف.. وكان يقول دائمًا حينما أشير إلى أمر رسوبه.. أن هذا أمر تافه.. وأنه ليس بالرجل الذى يفقد روحه من أول خذلان.

ما هو إذن السر في وجومه.. لا أعرف.

وتكرر رسوبه.. وتكرر اختفاؤه.. وتكرر نجاحى في نفس الوقت.. وتكررت محاولاتى للمحافظة عليه واسترجاعه..

والآن أنا في امتحان التخرج الأخير.. وهو مازال في السنة الأولى يتعثر في كتب التشريح..

وبعد شهور أكون قد أصبحت طبيبة.. وأكون في الظروف التي تسمح لي بمعاونته ماليا.. والإنفاق عليه.. والزواج به برغم كل شيء..

وأنا أحبه..

ومسألة رسوبه لا تهمني..

أريده بأي ثمن.. وهو يتهرب مني وينكمش في نفسه أكثر وأكثر، ويقابل عاطفتي المتأججة بالبرود..

وأنا أبكى حزناً عليه.. وحزناً على نفسي..

ماذا أفعل لأسترجعه وأسترجع حبه.. وأتزوجه..

ماذا أفعل؟ ساعدني..

ساعدني أنت وأتركه في حاله. ولا تحطمي أكثر مما حطمت.

إنك لا تفهمين عقلية الرجل أبداً..

إن الرجل ورث تقليداً عن آباءه وأجداده.. إنه قوام على المرأة.. ووصى عليها.. ومشرف على بيتها وحياتها.. ومتفوق عليها بحكم كونه رجلاً..

وهذه التقاليد والأعراف في دمناء.. مهما تكلمنا عن المساواة..

إن عمرها خمسة آلاف سنة..

منذ أيام الفراعنة والملوك رجال والأنبياء رجال والعباقرة رجال.. وحتى هذه اللحظة تجدين في جمهورية مصر العربية ثلاثين مدحاً كلهم من الرجال.. مع أن فن التلحين لا يحتاج إلى عضلات.. ولا إلى رجولة.. إنه مجرد تفوق في شيء..

ونحن ورثنا التفوق في الواقع وفي التاريخ وفي الماضي لتقريب والماضي البعيد..

والكلام عن المساواة لا يزيد عمره عن سنوات..

ونحن نردد كلام المساواة ولكن التاريخ أقوى منا.. لأنه بعيد قدم طويل ضارب بجذوره فينا..

ماذا نفعل.. لا بد أن نتفوق لنشعر أننا طبيعون.. وأنا رجال.. ننق في أنفسنا..

إن رسوب زميلك.. ونجاحك باستمرار.. شيء فظيع لا يمكن أن تتصورى أنرد لأنك لست رجلاً.

وزواجك به على أساس الانفاق عليه.. سوف يزيد مشكلته تعقيداً، ويفقده الثقة بنفسه أكثر وأكثر.

لا يوجد حل.. إن الواقع قد تراكم ضدك..

إن الزوجة المتفوقة الذكية تدعى دائماً أنها غير متفوقة قليلة

الحيلة وعاجزة وفي حاجة إلى نصيحة رجلها لتكسيه.. وتكسيه
حبه..

فلاتضيعي حياته وأتركه لحاله.

عاشق النار

بدأت منكلكي منذ المراهقة بطوقان من المشاعر الضارية..
تدفعني دفعا نحو المرأة.

سلاسل مكتسح من الرغبة العارمة الملتهبة..
وبركان انفجر في جسمي كله فاشتعل وكأنه الخطب تأكله
النار.

منظر ساق عارية يحرمني من النوم ليالي..
صوت امرأة في تليفون يجعلني أندفع في سلسلة من الخيالات
البهيمية وأنسى نفسي.
حذاء حريمي..

أفيس سينا على حائط فيه قبلة..
شبح امرأة خلف شيش نافذة..
خيال.. مجرد خيال في ذهني عن فتاة..
حكاية غرام يرويها راوية أمامي..
أمثال هذه المغريات البسيطة كانت بالنسبة لي كوخزات

السكاكين توقظ في جسدي حيواناً أعشى مجنوناً لا سبيل إلى كبح جماحه..

كنت أعلم أن ما بي هو مرض.. وأن المسألة ليست مجرد غريزة أو شهوة عارضة مما تنتاب الشباب في سني.. ولكن ما حيلتي وقد ولدت بهذا الداء الويل.

وتستطيع أن تتخيل ماذا كان يصور لي خيالي المغموم من قصص وحكايات كلما فتحت النافذة ورأيت بنت الحيوان وطبعاً لم يكن يتجاوز الأمر مرحلة التصور والخيال أبداً.. فأنا دائماً في اللحظة الحرجة وحينما أواجه فتاة أتحوّل إلى طفل مرتبك سابح في عرقه يتهته ويفأق بلا انقطاع.

كل هذا البركان كان يغلفه خجل وكسوف وخوف.

والنتيجة عذاب متصل وأحلام بقطة لا تنتهي.

كانت المذاكرة بالنسبة لي صداغاً وأوجاعاً وعذاباً مقيماً.. فالتركيز الذهني في أغلب الأوقات مستحيل والصفحة المفتوحة من كتاب الجبر كانت تتحول بقدرة قادر إلى عرايا يرقصن على الرموز والمعادلات، والأقواس.. وقصيدة الشعر تتحول إلى تأوهات..

وكنت أفتح الصفحة وأظل جامداً أمامها مثل التمثال طول الليل..

وكنت أحتاج في آخر السنة إلى بذل إرادة رهيبية وإلى الوقوف

تحت الشمس كل نصف ساعة في محاولة يائسة لأفبق وأنعش ذهني وأطفئ النيران الملتهبة في جوفي.

وتستطيع أن تتخيل أي مجهود احتجت إليه وأي صراع صرته لكي أنجح في الثانوية وأدخل كلية الهندسة.

وفي كلية الهندسة التقيت لأول مرة بنات.. بنات في الواقع، ونحن بنات أفكارى.. فأنا في المدرج أجلس إلى جوار فتاة وكنت في كنتها.. وفي المعمل إلى جانبي فتاة نشترك معاً في تجربة، ولكن الخجل ظل هو نفس الخجل والخوف نفس الخوف.. بنات اشتعلت الرغبة أكثر وأكثر..

وبدأت أطفئ هذه الرغبة بكتابة القصص، أكتبها ثم أمزقها.. ثم بدأت أكتب مقالات وبحوثاً طويلة في العلاقات بين الشباب والفتيات.

ثم بدأت أقرأ التاريخ وتطور العلاقات بين المرأة والرجل تاريخياً ونساء نظام الأسرة وتفصيل ما كان يجري في عصور الفوضى والسيوعية الجنسية.. أقرأ وألخص وأكتب وأمزق.. كل يوم في جلسة طويلة أمام الكتب لأطفئ فضولي الفظيع بالقراءة والكتابة.

وكنت أكتب أحياناً خطابات في عشرات الصفحات لحبيبات خياليات لا وجود لهن.. وأحياناً كنت أرد على هذه الخطابات بالنيابة عن هؤلاء الحبيبات.

في هذا الجو المحترق بالكيت.. الملهب بالرغبة كنت أجاهد
نفسى في مسقة هائلة لأبدو في الصباح وأمام الطالبات زميلاً مؤدباً
مهذباً.. وفي الواقع كانت كل تصرفاتى في الظاهر تدل على إنسان
حسن السيرة طيب الخلق.. وكانت لى سمعة بين الزملاء بأنى
إنسان وديع طيب مؤدب.

ولكن فى حقيقة الأمر كان خيالى دائماً يشتعل بالرغبات
الحسية والأمانى الوضعية.. كنت أنظر أحياناً إلى فتاة بجوارى
بجانب عيني فى وجل وأنا أتمنى أن أركع عند قدميها.. وأعبدتها
حباً..

وعندما كنت أسمع فتاتان تتهامسان كنت أتحيل على الفور
أنها تتهامسان عنى.. وأنها تسخران بى.. وكان الدم يغلى فى رأسى
وأتمنى لو أحرقتهم حيتين.

ودائماً كانت خيالاتى ومازالت ممزوجة بالنار.. فأنا أعبد كل
فتاة حباً ثم أنا فى النهاية أرغب فى الخلاص منها بحرقها.. فهى
لا تلتفت إلى ولا تشعر بى ولا سبيل إلى امتلاكها.

ومن فرط حبى للنار أحتفظ على مكيبى بشمعة.. أشعلها
وأفترج عليها وهى تذوب ولهبها يرتفع وقتيلها يستطيل.. ثم وهى
تساقط دموعاً.. ياله من منظر رائع.

وأحياناً أحرق الأوراق مدعياً أنها أوراق قديمة.. وأنا فى

لحقيقة أرغب فى الاستمتاع برؤية النار وهى تأكلها وتحيلها رماداً
وهباءً..

وأحس فى تلك اللحظات أنى قد فهمت السبب الذى أحرق
من أجله نىرون روما.

ولا أحد يعلم إلى الآن سر غرامى بوضع الشموع على
مكيبى فأنا فى العادة أقول لهم فى البيت إنى أضعها احتياطاً بسبب
تقطاع الكهرباء.

ولا أحد يدري بهذه المتعة الخبيثة التى أشعر بها وأنا أشاهد
شيئاً يحترق.. وأنا أخاف الظلام.. وأرهب سواد الليل ومواته.

وأحب ساعة الفجر حينما أقف فى الفرندة وأشعر أنى الوحيد
المتيقظ فى تلك الساعة وأن الدنيا كلها ملكى.. أنا الوحيد الذى
يراهنا ويرى جمالها.

كانت رحلة حياتى رحلة صراع ومعاناة طويلة.

وأخسى أن تتفاقم هذه الرغبات الشاذة والخيالات المنحرفة
فتجرفنى يوماً ما إلى حافة الجريمة أو الجنون.
ولا أعرف ماذا أفعل..

لقد صارعت نفسك إلى الآن ببطولة وكفاءة منقطعة النظير
فأنت برغم تستك الذهنى، ومراحتك المضنية نجحت فى الشهادة

الثانوية بمجموع ودخلت الهندسة.. ولم تحاول إطفاء عطشك بعلاقة طائسة أو ليلة رخيصة.. وهدتك نظرتك إلى وسيلة ناجحة تطفى بها انفعالك بالكتابة والقراءة.. محاولة بدائية للخلاص بالفن.

ومازلت برغم كل شيء سيد نفسك وقابضاً بيد من حديد على شهواتك وغرائذك وهذا انتصار.

وارتياحك للنار رد فعل النار الداخلية التي تأكلك.

وأعتقد أنك بمزاولة الرياضة العنيفة كالسباحة والتجديف والجري والمصارعة والكرة سوف تجد مصرفاً آخر لهذه الحيوية الدفينة التي تغل في دماغك..

وهذا تستطيع أن تكمل باقى الرحلة في أمان حتى نوانيك الظروف المناسبة للزواج.

والحياة المختلطة في المجتمع والنادى والبيت والكلية هي رنة لا بد منها.. ولا يجب أن تلوذ بالعزلة والوحدة وتغلق عليك باب غرفتك.. فمشاعر الصداقة والأخوة والألفة والمحبة تهذب الحيوانات الكامنة فينا.

وفي النهاية ليس مرضك عضالاً فالزواج سوف يشفيك منه إلى دوحه الشبع والملل.. ويومها سوف تتعجب كيف كنت تفكر بهذه العقلية والجنون في مسائل لا تستحق كل هذا الاشتهاء الملتاث.. ويومها سوف تدرك أن الخيال والفضول.. هما اللذان تأمرا

عليك وضخا اللذائذ لعقلك المشتت.. وأن المنوع والمحبوب والمحظور والمستور والمجهول.. كانت كلها تعويذة اللعنة التي غلت عنقك طوال هذا العمر.

وفي الغاية أذكر أنى صادقت قبائل تعيش على الفطرة.. أفرادها عرايا حتى من ورقة التوت.. ومع ذلك يمر على الرجل أكثر من الشهر لا يباشر امرأة ويهجر الزوج زوجته سنتين بعد الحمل لا يفرها ولا يباشرها.

وهذا شأن أكبر اللذات حينما تسقط عنها جميع الأقنعة.

حكاية الحب الأول

نحن روح واحدة في ثلاثة أشخاص.. أنا وهو وهي.
صديقان هي ثالثتنا.. تعارفنا.. وكنا نتزاور منذ الصغر.. ولعب
معاً.. ونخرج معاً..

كنا نقول لها أسرارنا ونشكو لها متاعبنا.. وكانت هي تحكي
لنا حياتها وتشكو لنا زوجة أبيها القاسية.. وكيف تطهو ونغسل
وتكنس الشقة وحدها.. وتبكي بالليل دون أن يشعر بها أحد..
وكانت جميلة وطيبة..

وكبرنا.. وكبرت معنا.. وكبرت معنا آلامنا.. وكنا نتكلم في كل
شيء إلا الشيء الوحيد الذي يؤرقنا.. حيناً..

كنت أحبها ولم يكن يشغلني غير شعور واحد هو جيبى لها.
ولكنى لم أكن أجِد القوة لأصرح بهذا الحب.. كنت أخجل منها
ومن صديقى.. وكنت أسمى هذا الحب صداقة لاخدع نفسى..
ولكنى لم أستطع أن أستمر في الكتمان.. وراودتنى نفسى أن
أرسل لها خطاباً أشرح لها فيه ما أعانيه من الوجد وكتب

لخطاب ودسته في يدها.. ومرت أيام وأنا لا أقابلها وأتجنبها من
أخجل والخوف والإحساس بالذنب.. ولكنها سعت إلى بنفسها
وجاءتنى وهي تيشم وفي يدها رد على خطابى..

وكان ردّاً حارّاً اعترفت فيه أنها تبادلنى الحب.. وليلتها بت
طول الليل مسهداً أتقلب على جنبى من الفرح..
واستمرت بيننا المخطابات أكثر من سنة.

وفي أحد الأيام لم أستطع أن أكتُم السر عن صديقى صارحته
بالحقيقة وحدثته عن حكاية المخطابات المتبادلة.. وهنا كانت
المفاجأة فقد نظر إلى فى دهشة واستنكار.. ثم دخل غرفته وأخرج
حزمة من المخطابات من درج مكتبه.. وكلها بخطها وكلها تذوب
حباً ووجداً وهياماً.. وبعض العبارات مكررة فى كلامها.. عبارات
مثل:

أنظر إلى نجوم الليل فأذكر سواد عينيك الجميلتين.. القمر
مضى مثل ابتسامتك..

وبعض العبارات منقولة من خطاباتى لها.. ومن تغزلى فيها.
والجمتنا الصدمة ولبتنا ننظر إلى بعض فى ذهول..

كان من الواضح أننا ضحية مهزلة مثلتها علينا نحن الاثنين..
وأنا نبكى وتسهر وتتعذب على لا شيء.. على كلام فاضى..
ودهبنا إليها لتلقى فى وجهها بالحقيقة.. فبكت واعترفت..
وقالت إنها تحبنا نحن الاثنين.. وأن حبها لنا ينمو معها منذ

الصغر.. وأن كل واحد فينا صورة من الآخر.. لا نستطيع أن
تفضل أحداً ولا أن تختار أحداً.. ولا أن تستغنى عن أحد.. هذه
هى الحقيقة.. وليظن كل منكما ما تشاء له ظنونه.. ولكنى أحبكما..
وهذا حبنى الأول والوحيد.

والمهم الآن أننا نحبها.. بالرغم من هذه الخدعة.
وأنا لا أدري ماذا يدور فى قلب صديقى.. ولكنى أعلم بما يدور
فى قلبى.. وأعلم أنى أحبها أعيدها.. وأنى أغتفر لها كل ما تفعل..
وأن حبنى لها سيكون حبنى الأول والآخر فى الدنيا..
وحلمى الوحيد أن أتزوجها.. وأعيش معها..
ما رأيك؟..

لو أن الظروف جمعتكما مع أية فتاة أخرى لوفعنا فى شراك
حبها تماماً كما حدث مع هذه الفتاة.. وهذه دائماً حكاية الحب
الأول فى كل مكان.. خطابات وسهر ودموع ووعود بالإخلاص
وخيبة أمل.. مع أية فتاة تلقى بها المصادفة..

وحكايات الحب الأول مادة جيدة للذكرى.. ولكنها لا تصلح
لتكون مادة حياة وزواج.

إنها الحرارة التى تبثها المراهقة، واللهب الذى يبعثه الشباب
حوله فى كل مكان..

احتفظ بالخطايا.. لتقرأها حينما تكبر.. واحتفظ بالقصة
كتم فى الدرج معها..
إنها الآن تنير دموعك.. ولكنها غداً لن تثير قيك إلا ابتسامة
نضفة..

الحنان

أنا مازلت صغيرة.. اعذرني في أسلوبى الضعيف، إني أتمنى
بالحب نحو كل الناس ونحو أصدقائى. وهم يحبوننى ويبادلوننى
الإخلاص والتضحية.. وأخى كان مثلى وهو صغير، ولكنه فقد
الكثير من إخلاصه وحنانه حينما كبر وأصبح جافاً جامداً.
لا يؤمن بالعواطف.

وأبى وأمى أكثر منه جفافاً.. وأقل منه إيماناً بالحب.. وهم
يقولون لى إن كل شىء فى الدنيا مصلحة.. وإن كل واحد فى
الدنيا يجرى خلف منفعة.

والغريب أن حكايات أمى وهى صغيرة تدل على أنها كانت
عاطفية تؤمن بالحب والإخلاص منلى.

ماذا يحدث للإنسان حينما يكبر ليفقد حنانه وحبه وإيمانه
بالإنسانية.

لماذا يصبح الناس أنانيين حينما يكبرون وما السبب؟
هل هى الظروف؟

من تجارب البسيطة أميل إلى أن السبب هو عدم كفاية الحب
والحنان الذى تبتذله الناس فى هذه الدنيا.

أنا مثلاً.. عندما أظهرت لأبى - الذى كنت أظنه عصبياً
قاسياً - حنانى.. وأبدت له حبنى بدلاً من خوفى.. وجدته يتحول
إلى إنسان رقيق غاية فى الرقة.. ورأيتة يفعل المستحيل ليحقق لى
رغباتى.. ولاحظت أنه بدأ يضبط أعصابه حتى لا يبدو أمامى
قاسياً.

وكذلك أمى لما حاولت أن أفهم معها بدلاً من العناد،
وجدتها تحاول أن تفهمنى وتسمح لى بكثير من الحريات.

وعندما أعددت العشاء لإخوتى الساهرين فى الخارج وكتبت
لهم نخبه المساء على ورقة.. طبعوا على خدى قبلة وأنا نائمة..

وفى الصباح لم يتعاركوا على المصروف.

ما رأيك.. أليست المشكلة كلها هى مشكلة حاجتنا إلى
الحب.. أم أنى صغيرة كما تقول أمى.. ولا أفهم فى الدنيا.

أنت لست صغيرة أبداً.. ربما كنت صغيرة فى السن.. ولكنك
كبيرة فى القلب والعقل.. أكبر منا كلنا.

لقد استطعت بفطرتك الصافية أن تدركى سرّاً كبيراً من
سرار الدنيا.

إن الإنسان يبدأ حياته.. يتدفق بالحب والحنان والتفاني والثقة.. ثم يجف هذا النبع العاطفي في قلبه كلما كبر.. ويتحول مع الزمن إلى عجوز أناني بخيل لا يحس إلا مصلحته ولا يجري إلا خلف منفعته.

والسبب أن أحلامه الصغيرة وعواطفه الصافية تصطدم مرة بعد مرة بما يخيب أمله.. ويزلزل ثقته في الدنيا وفي الناس.

حبيبته تهجره وزوجته تكذب عليه.. وصديقه يستغله ولا يجد في قلبه رصيذاً يغطي هذا الفشل.. ويحفظ له ابتسامته وتفاؤله فيفقد النظارة ويجف ويقسو.. ويتحول سخطه إلى سخط على الدنيا كلها.

والسبب كما قلت أنت.. إنه لم يجد كفايته من الحنان.. لم يجد في الدنيا.. ولم يجد في قلبه.. فأفلس.

والدليل على هذا أن القلب الكبير لا يحدث له هذا الجفاف مهما كبر وشاخ لأنه يجد في نفسه القدرة على بذل الحنان دائماً مهما حدث له.. ومهما تلقى من صدمات.

وبهذه القوة وحدها يسترد حب الناس الذي فقده.. ويسترد ثقته في الدنيا..

وهذا هو ما حدث لك مع أبيك وأهلك.

إن مشكلتنا جميعاً هي كما تقولين في خطابك.. حاجتنا إلى الحب..

إن اعترافك الصغير البسيط هو أجمل وأصدق ما قرأت منذ بدأت في كتابة هذا الباب.

تحضير الأرواح

بدأت مشكلتي حينها بدأت أحضر الأرواح عن طريق السلف. وكان نتيجة لتحضيري هذا أنني أصبحت اثنين في شخص واحد. فقد تقمصتني روح من الأرواح تدعى نعيمة.. وسيطرت هذه الروح على تفكيري لدرجة أنني أصبحت أعلم كل شيء عن نفسي وعن بقية الأشخاص الذين أنعامل معهم دون سؤا لهم.. وأصبحت عندي القدرة على التنبؤ عن أشياء كثيرة دون أن أراها.

ودامت علاقتي بهذه الروح لدرجة أنني عاشرتها معاشرة الأزواج.

وكنيت أحس بأن تفكيري قد بات مشلولاً.. وما فائدة التفكير وأنا بإمكاناتي أن أتنبأ بكل شيء قبل وقوعه.. بالعمل الذي أعمله بالطعام الذي آكله.. بالخطوة التي أخطوها.. بكل شيء.. كل شيء..

وكان نتيجة هذا المس الروحي أن انهارت أعصابي وأشرفت على الانتحار والجنون.. وبحثت عن مساعدة فلم يصدقني أحد.

حتى المشرفين الاجتماعيين في المدرسة ضحكوا عليّ.. وأخيراً قادتني ظروفى إلى جمعية روحية.. واشتركت فيها وأصبحت عضواً مريضاً بها أعالج بالجلسات الروحية. وتحسنت صحتى ولكنى لم أشف تماماً.. وكنت أشعر حينها كنت أذهب هناك أنى لا أستطيع صعود السلم مهما بذلت من مجهود. وانقطعت عن الذهاب.. وعدت طبيعياً.

ولكن منذ شهر بدأت المناوشات بين هذه الروح وبينى من جديد.. والمشكلة أنها تسبب لى متاعب جسمانية لا علاج لها.. والآن وقد بلغت من العمر ٢٢ سنة وأنا بهذا الحال.. لا أستطيع أن أكاشف أحداً بهذه المتاعب.. حتى لا يتهمنى بالجنون.. ولا أعرف ماذا أفعل.

وأخشى أن تعود هذه الروح إلى وأرجو أن تمد لى يد المعونة.

أولا هذا كلام فارغ.

تحضير الأرواح بالسلة كلام فارغ.. وحكاية الروح التي اسمها نعيمة التي ركبتك وعاشت بها وعاشتك معاشرة الأزواج وفتحت لك مغاليق الغيب.. فأصبحت مكشوف الحجاب.. كلام فارغ.. ولو كنت مكشوف الحجاب بصحيح لعرفت أسئلة لا امتحان وعرفت الأجوبة. ولكن فى إمكانك أن تذهب إلى سباق الخيل لتلعب وتكسب مليون جنيه على كل الخيول

الرابحة.. ما دمت تعرفها مقدماً.. ولرقت فرحاً بهذا الزواج
الروحي بالسنت نعيمة بتاعتك فهو زواج مريح جداً لا يحتاج إلى
إيجار شقة ولا إلى عفش، ولا مسئولية بيت وأكل وشرب
وأولاد.. إنه لذة صرفة بلاش بدون تكاليف عليها بقتيش
كمان هو الاطلاع على الغيب مجاناً.

انزل إلى الشارع وابحث عن ورق اليانصيب الرابع ما دمت
تعرفه مقدماً.. واشتره.. واكسب ألف جنيه يومياً.. ولا تبك على
حظك ولا تذهب لجمعية روحية لتعالج نفسك.. وليه.. واحد يعالج
نفسه من مرض هو الجنة بعينها.

لكن الحقيقة أن الحكاية كلها كلام فارغ.. وأوهام في أوهام
وخيالات أوهت بها إلى أنفك وصدقت نفسك.. وإيمان ساذج
رحمت ضحيته.

وأؤكد لك أنك ستشفى تماماً في اللحظة التي تفقد فيها إيمانك
بتلك الأرواح الخرافية.

وسوف تفقد إيمانك في اللحظة التي تناقش فيها نفسك في
هدوء وثقة وبدون خوف.

وتأكد أنه لا شيء في الدنيا يستحق أن يخاف منه الإنسان
فالإنسان قد أثبت أنه مخيف أكثر من الشيطان نفسه.. فهو قد
صنع القنبلة الذرية وطار في صاروخ إلى القمر.. وركب كوكباً دار
به حول الأرض.

ومن الذي ركب الكوكب ودار به حول الأرض؟
مرأة اسمها غالتينا.

يا رجل عيب.. فوق لنفسك مش عيب نبقى في عصر
غالتينا.. وأنت في عصر نعيمة!

سوى أثر باهت من جماها وبقايا من جسد مرهق وبيت خرب..
لا طفل.. ولا طفلة.. ولا ذكرى..
قال لي خالي الطبيب الذى فحصها.. إنها لن تعيش أكثر من
سنة.

وبدأ كل منا ينفض همومه إلى الآخر.
ونوتت بيننا مع الزمن رابطة غريبة.. هى رابطة الألم.
كانت تقول لي.. وعيناها دامعتان.
ما نفعى.. لقد انتهيت.. لم يعد هناك رجل يمكن أن ينظر إلى.
ولكنى كنت أنظر إليها وأحتضنها بعينى وقد ذابت شكوكى
على وقع كلماتها.

أخيراً.. أحسست أنى أثق فى امرأة من جديد.
كيف حدث هذا.. لست أدري!
ونظرت الأمور بسرعة.. وعرضت عليها الزواج.
ونارت العائلة.. وواجهنى الكل بزوبعة من الصراخ
والاحتجاج.

كيف تزوج من هذه العجوز العليلة الذابلة التى امتصها
الرجال.. وأنت رجل فى الثلاثين فى كمال رجولتك وصحتك.. غنى
جميل جذاب.. لا يتقصك شيء.

إنك تلتقط عقب سيجارة دخنها الكل.. ولم تعد تصلح لشيء.
وأنها مقضى عليها بالموت لا محالة.. فزاد هذا التمسكى بها.

عقب السيجارة

بدأت حياتى بزواج فاسل انتهى بخيانة زوجية وطلاق..
أعقبته سنوات من الوحدة والمرارة والخراب والأعصاب النافذة
والأرق والمتاعب الجسمية والنفسية من كل نوع.
كنت أشكو الصداع المزمن وسوء الهضم وأدمن على النومات
والمسكنات.

وكان هناك ما يدمرنى أكثر من هذا المنغصات الجسدية.
هو الشك وسوء الظن وفقدان الثقة وفقدان الأمل واليأس
من الدنيا.. ومن الوفاء.. ومن جنس النساء على إطلاقهن.

عشت سنوات وأنا بهذه الحالة النفسية.. أتحرك مذهولاً شارباً
كشبح.. أعيش فى عزلة مهما خالطت الناس ومهما غشيت
المجتمعات كنت أشعر أنى منفصل عن الضحكات حولى.. منعزل
عن القهقهات المرححة.. غائب فى نفسى، فى التيه المظلم فى داخلى.

ظللت على هذه الحال حتى عرفتھا. كانت امرأة فى الأربعين
مريضة عليلة ذابلة.. امتص حياتها ثلاثة أزواج لم يتركوا لها

وأنا الآن أستعد لإتمام الزواج في الأيام القادمة.

سوف أتزوجها مهما حدث.

الكل ضدى.. الكل يخذلوننى.. ولكنى أحبها ما رأيك فى هذا الحب.

أخشى أن أقول لك إن هذا ليس حباً كما تتصور.. إنه مرضك العصبي الذى وجد دواءه فى هذه المرأة.. إن مشكلتك الحقيقية أنك فقدت الثقة فى كل النساء.. وأصبح ظل الخيانة يحوم حول كل امرأة تنظر إليها.

ولهذا استحالى أن يتجدد حبك.

ولهذا ظللت تعيش فى وحدة وضياح حتى عنرت على هذه المرأة.

امرأة انتهت على حد تعبيرها هى.. ولم يعد لها نفع.. ولم يعد من الممكن أن ينظر إليها رجل. كانت هذه الكلمات كقطرات الندى التى نزلت على أعصابك.

ها هى ذى امرأة لا يمكن أن تكون موضع شك.. ولا موضع خيانة.

وشعرت بالراحة.. فى أعماقك.. وفى أعماق عقلك الباطن.. وحينما قال لك خالك الطيب.. إنها ميتة.. ولن تعيش أكثر من

سنة شعرت بالاطمئنان أكثر فسوف تتزوج جثة لا يمكن أن تخونك أبداً.

كانت هذه الأحاسيس تخالجك من الباطن وكان عقلك يوافقك ويصور لك هذه الأحاسيس والروابط على أنها حب.

ولكنها ليست حباً.. إنها عقابك لنفسك.. وسوء ظنك الذى تحكمه عليك.. ثم حكم عليك بهذا الاختيار المريض.

انظر إلى حياتك من جديد.. وحاول أن تتخلص من هذه العقدة وانترك المريضة لحالها.. وابحث عن امرأة تناسبك. إن الدنيا مليئة بالبنات.. وبالإخلاص والحب والخير.

أحب العيب وأحلم بالعيب

ترددت كثيراً قبل أن أكتب لك هذا الخطاب ومزقته وأعدت كتابته أكثر من مرة.

وصليت ركعتين لله ليلقى منك الاهتمام فلا تلقه في سلة المهملات.

وأعرفك بنفسى أولاً.. أنا طالبة بالثانوية العامة.. شكل عادي، ولكن كل من يعرفني يقول عنى أننى شيك وجذابة. أخواتى كلهن أصبحن عرائس في بيوتهن وماما وبابا كبار في السن.

كل ما أطلبه في البيت أجده.. ولى حرية في الخروج كما أريد وهنا المشكلة، فأنا من صغرى تشأت على هذه الحرية وعلى الاختلاط بأولاد العائلة وكنت دائماً مثال الأدب.. ليس هذا شكراً في نفسى ولكنها الحقيقة.

ولكن لا أخفى عنك.

منذ سنوات.. ومنذ بدأ البلوغ يخلق منى الأتنى الكاملة وأنا في صراع.

لم أعد أنعم بالهدوء والبساطة التى كنت أنعم بهما وأنا طفلة. أجلس بين زميلاتى في المدرسة، وكل واحدة تحكى أن لها صاحباً تقابله من وراء أهلها.. والبعض يخرج من البيوت بمريلة المدرسة ونحتها قستان ميني جيب ويخلعن المريلة في أول تاكسى ويتلففن إلى لقاء الحبيب الموعود في الجبلية أو السينما أو الشقق الخاصة.

وتتجمع نحن البنات حول من تحكى عن تجاربها الأولى في الحب، ونستمع بأذان مستنقة لهفانة إلى أول قبلة وأول عناق.

ومن هؤلاء البنات من تفتح حقيبتها فنرى أوراقاً بعشرة جنبيات، وبالطبع نتبارى في الشتم واللوم والتقريع لأمثال هؤلاء البنات ونقول عنهن: متعرفات ضائعات خاطئات.. ولكن ما يكاد ينفض الصامر حتى تذهب كل واحدة منا وقد بدأت تسج لنفسها وفي خيالها رواية طويلة عريضة وشريطاً من المغامرات والانحرافات المكروهة المحبوبة لتعيش عليها طوال يومها في الفسحة وفي الطريق وفي البيت وهي تمسك بكتابها وفي ليلى في ضوء القمر، وفي آخر الليل في الفراش حينها ينام كل لبيت ولا تبقى إلا مخدتها لتسهر معها وتبلىها بالدموع.

وفي كل منا يبدأ صراع بين المصنوع والواجب.. بين إغراء التجديد المثير.. وسيطرة التقاليد والدين ونصائح الوالدين..

وبالنسبة لمن تملك الحرية يصبح هذا الصراع عذاباً محدوداً بطول الليل والنهار.

وبالنسبة لفتاة مثلى أشعر أنه من المستحيل على ثامناً أن أقوم بأمثال هذه المغامرات.

ولكن مع ذلك، أنا لى مغامراتى.

منذ ثلاث سنوات وأنا فى الإعدادية كان هناك من يقف تحت شباكى.

كنت أراه فى الترام كل يوم وأنا ذاهبة إلى المدرسة وهو ذاهب إلى الكلية، وكنت أشعر بنظراته تتقافز على صدرى وتتجول فى شعري المرسل مكان الضفائر التى قصصتها. ولم أكن أجد القدرة على رفع وجهى لأنظر فى وجهه.. وعلى البلاج فى الصيف كنت إذا رأيته يلقى قلبى وينخلع من صدرى وأشعر به ينبض فى حلقى ويكاد يغشى على من الاضطراب.. وكان يكلمنى فأموت خجلاً ولا أستطيع أن أرد عليه.

وبالطبع انتهت هذه الحكاية الآن وانتهت هذه العواطف الطفولية الخرساء إلى لا شيء.

لم يعد صاحبنا يقف تحت الشباك، ولم يعد يحاول أن يكلمنى وانتهت الحكاية بالنسبة له وإن كانت لم تنته تماماً بالنسبة لى.

وأحكى هذه الحكاية للبنات فيضحكن على مذاجى.

وأسير الآن فى الشارع فتطاردنى المعاكسات وكلمات

لا أعجب، ولا أخفى عليك أنى أطرب كثيراً لهذه المعاكسات وأتلقى نو توقفت لحظة مع ذلك الذى يعاكسنى بكلماته اللطيفة، لأنظر طويلاً فى وجهه، مجرد نظر ثم يمضى كل منا إلى حاله.. وبالطبع أطرد مثل هذه الرغبة بسرعة وأسير فى طريقى.

وسوف تضحك على إذا قلت إنى ما زلت أقف عند محطة سيدى جابر لأنظر إليها بعينين دامعتين.

كم أحببت هذه المحطة وما زلت أحبها.. حيث كان حبيبى الغدب الذى لا أعرف حتى اسمه يلتقى بى ذاهباً إلى كليته كل يوم.

وفى أحيان كثيرة أشعر بالثورة على نفسى لدرجة الرغبة فى تدمير نفسى تماماً لأنطلق كما أشتهى بلا حواجز وبلا حوائل لأعيش كما تعيش البنات المنطلقات.. فى سنى.

وبين الثورة والعجز.. بين مد وجزر العواطف أتعذب.

وبين الخيال المستحيل والواقع المذهب المؤدب، أعيش وتعيش مثل بنات كثرات.. ولا أعرف ماذا أفعل.. أريد على الأقل أن أقتنع بحياتى وسلوكى وقضائى.

أريد نصيحتك.

لا أريد المواعظ والحكم إياها فإنها لم تعد تؤثر فى.

ولا أريد أن أقنع بأنى على حق فى طريق الحرمان الذى

اخترته لنفسى وإنى لم أحرم نفسى من شيء هو الحياة كما تقول البنات.

أريد أن أشعر أن الأدب والتهديب والفضيلة لها ما يبررها فعلاً لا قولاً.

كلمنى كرجل عصرى ولا تقل لى حرام وحلال وعيب ومتر أصول فأنا لن أكذب عليك.

أنا أحب العيب.

ونفسى فى العيب.

وخيالى كله يحلم بالعيب وينام فى العيب ويصحو فى العيب. وأريد أن أشعر أن هذا العيب هو بالفعل عيب وأنه ضد الحياة. وليس الحياة كما تقول لنا الأغاني والأفلام التى تصور لنا كل يوم أن هذا العيب هو نعيم الحياة وبهجة الدنيا.

أريد أن أصحو من هذه الكذبة التى زينتها لنا الكتب الرخيصة، وموضة العصر التى تقول لنا كل يوم إن الحشيش هو الغذاء الصحى.

وكيف نفيق من غرزة الحشيش.. ونحن مغرورون فيها.

م. ع.

اسكندرية

لن أخاطبك بلغة الحرام والحلال.

وأكثر من هذا سوف أوافق معك ومع البنات إياهن على أن ابتغاء الشهوة ربما كان مسألة لذينة لمدة الخمس دقائق.

ولكن الحياة ليست هى هذه الدقائق الخمس أبداً، وليست أهداف الحياة وغاياتها هى هذا الإغواء العابر اللذيق فى الفراش، وهذه الدقائق من المتعة العاجلة التى تعقبها الرغبة فى النوم، ثم لا شيء، ولو أننا استهدفنا هذه الغايات فقط لظللنا قروداً على أشجار وبهايم تسرح فى الغابات.. ولما اخترعنا الكتابة والقراءة والورق والبارود والصواريخ والراديو والتليفزيون والقطار والطائرة.

إن الإنسان الآن مشغول بالصعود إلى القمر والارتحال فى الفضاء إن الإنسان أعظم بكثير مما تتصور صاحباتك البنات المنهوقات. وبين إطلاق الشهوة بغير حدود وبين ضبطها.. بالإرادة والعقل يبدأ الإنسان.. إن الإنسان إنسان لأنه لم يترك شهواته تقوده، ولم يترك أهواءه وعواطفه تسيره وتحكمه، وإنما هو الذى قاد هذه الشهوات وحكم هذه الأهواء والعواطف.. وكان سيدها.

وما تظنيه حرية هو فى الحقيقة عبودية.

التي تخلع مربية المدرسة لتلتقط أول ناكسى إلى شقة صاحبها حيث تخلع باقى ثيابها، هى إنسانة فقدت حريتها فلم تستطع أن

تقاوم رغبات حواسها العاجلة وأصبحت عبدة لها تجرّها أعضاؤها التناسلية من شقة إلى شقة، أو تجرّها أطعماتها المادية، وهذا أسوأ فجعلت من جسمها مادة للتجارة وهذه درجة من الاستعباد أبشع وأذل.

ولكن التي استطاعت أن تسكت صوت شهوتها لتستمع إلى صوت عواطفها هي امرأة أكثر حرية.. والتي استطاعت أن تتحكم في عواطفها وتسكتها لتسمع إلى صوت عقلها وتتحكم في جميع طاقاتها وتسودها وتقودها في طريق تحقيق المعرفة والمحبة هي الإنسانية.. وهي مثل مدام كوري سوف تخرج وتكتشف الراديوم وتتفقد به ملايين المرضى وتغير به التاريخ وتؤثر في الحضارة.

وفرق كبير بين القردة «شيتا» التي تهرس طول الوقت بين فخذيه وبين مدام كوري الإنسانية المستنيرة الجميلة في إنسانيتها والمسألة ليست مسألة حرام وحلال فقط وإنما مسألة جمال وقيم والله لم يحرم علينا إلا كل قبيح.

وليس أجمل في الدنيا من مربية المدرسة.. لأنها رمز للإنسان ورمز لقدرته على سيادة جميع الخواقر الحيوانية.. واختيار طريق الحرية الصحيح والإفلات من قبضة العبوديات الحيوانية الكثيرة التي ولد بها ليضع نفسه في النهاية في خدمة العلم والتقدم والحياة وليس في خدمة هذا الهرش الجنسي الذي لا يدوم أكثر من خمس دقائق.

وليس معنى هذا أن تخلق الحب ونقتل نوازع أجسادنا إلى النهاية وإنما العكس.

نحن نفعل هذا لأننا نحترم الحب ونريد أن نجعل منه عاطفة دائمة ووسيلة إلى بناء أسرة واختيار زوج، والوصول إلى متعة طويلة الأجل لا قصيرة الأجل، ومحبة مستقرة لا شعلة غرامية تنطفئ في أيام وترك الندم والحسرة لباقي الحياة.

وواضح جداً أن معاكسات الشوارع والتردد على الشقق ليست هي الوسائل التي ينمو بها الحب ليؤدي إلى الزواج.. ولا سن المراهقة هي السن التي تؤمن فيها العواطف على الاختيار الواعي السليم لشريك العمر.

ولا مفر من أن تكون مرحلة المراهقة هي مرحلة صراع.. لأنه من خلال هذا الصراع والمغالبة تنمو الإرادة وتشكون الشخصية ويولد الإنسان من الحيوان.. وتولد مدام كوري من القردة شيتا لا بد من الحرمان.. لا بد من المعاناة.

أما التي تخلع ثيابها عند أول زوبعة من زوابع المراهقة، والتي تلقى بنفسها بين ذراعي أول مراهق يعاكسها على محطة ترام وتظن أنها حرة، فإنها تخطئ الفهم.. فهي لا تمارس حرية.. وإنما تنرد هو الذي يمارس فيها تجربته.. لقد هبطت بنفسها إلى مجرد دابة فاقدة للحرية والاختيار في يد القرد الهائج داخلها.. وهي فاقدة للاختيار تماماً.. فأى رجل يظهر في شباك الجيران هو

روميو.. وأى ذكر يلقي عليها كلمة في ترام هو الحبيب الموعود.
والهلوسة العاطفية التي يتبادلانها في البداية هي أعذار ومبررات
ليصل كل منهما إلى حضن الآخر بطريقة ظاهرها محترم فيكذب
على نفسه ويكذب على رفيقه.. ولا يظهر كذب الاثنين إلا فجأة
وفي النهاية حينما يشيع القرد ويبدأ الملل بعد انتهاء الدقائق
اللذيذة.. يبدأ كل واحد يقفز إلى شجرة جديدة بحثاً عن دقائق
جديدة ينسى بها الخيبة التي أعقبت الدقائق القديمة.

والأخلاق ليست مجرد أوامر ونواه.. وليست قيوداً.. إنها
القيود التي يضعها الإنسان على مخالب الحيوان بداخله وليست
أبداً القيود التي يضعها على يديه الإنسانيتين.. وبهذه القيود تصبغ
يداه أكثر حرية وانطلاقاً.

هل أنا واضح.

وهل بإمكانك الآن التفكير في وضوح برغم غرزة الحشيش
وضباب الحشيش التي تعيشين مغرورة فيها أنت وغيرك من
البنات في أغاني الإذاعات وأفلام التليفزيونات.

وما هي النظافة؟

كانت جارتى..

تبادلنا النظرات.. ثم الإشارات.. ثم تلاقينا.. لتبادل الهمس
ويضغط كل منا على يد الآخر.. ثم ذهبنا إلى سينما وفي الظلام
وسوت في أذنها بكلمة الحب.. ولثمت يدها وخدها..

وبعد شهر اختليت بها في بيتي وأعطتني نفسها.. جسماً
وروحاً.. ومنذ أيام.. كنا نتكلم أنا وأبى وأمى.. ولاحظت أن أبى
وأمى يتبادلان النظرات والابتسامات.. ثم قالاً لي إنها خطبا لي
عروسة.. وذكرنا لي اسمها..

ودار رأسى.. واظلمت الدنيا في عيني.. فقد كانت هي نفسها..
جارتى..

وكان أبى وأمى يتكلمان في براءة..

وكانتا مسرورين.. وكانا يقولان إنها بنت طيبة وشريفة.. ومن
أصل طيب.. ومن المدرسة إلى البيت.. ومن البيت إلى المدرسة..
ولا تعرف مياعة بنات اليومين دول.. ولم تطلع عليها سمعة سيئة
مثل غيرها من بنات الجيران..

وكنيت أسبح في عرقى.

ولقد كنت الوحيد الذى يعلم أمر هذه البنت الشريفة النظيفة
التي لا تعرف مياعة بنات اليوم.

كنت أنا الوحيد الذى أعرف مياعتها. ودلعها. وخسارتها.

ولأول مرة.. حينها بدأت أتصور أنها زوجتى.. أحسست أنى
أكرهها.. بكل ما فى كلمة الكراهية من معنى.. ولا أطيع رؤيتها.
لقد كان حلمى.. طول حياتى.. أن أعثر على امرأة طاهرة..
أن أبني بيتى على حب طاهر نظيف.
ترى.. هل فاتم الأوان.

كان يجب أن تكره نفسك أولاً.

وكان يجب أن تبحت عن الشئ النظيف فى داخلك أنت
أولاً..

إنك باسم الحب استدرجت صاحبتك حتى اختليت بها.. ثم
بصقت عليها.. واعتبرتها غير نظيفة.

غير نظيفة لماذا؟ لأنها صدقت كلامك.. وطاوعت رغبتك..

إن ما فعلته من تذالة هو درس مفيد لكل بنت تطاوع ضعفه
وتستسلم لرجل.

سجن بدون قضبان

ترددت كثيراً فى الكتابة إليك خوفاً من ألا تفهم موقفى..
وتتهمنى بأنى دلوعة.. ولكن هأنذا أجازف وأكتب لك كل شئ..
أنا شاب فى أوائل العقد الثالث من عمري.. تخرجت من
الجامعة من مدة ليست طويلة.. وحالى المالية ميسورة ومظهرى
حسن.. ولكن مشكلتى أنى أحس بفراغ رهيب مخيف، وعدم
هتمام بأى شئ فى الحياة مما يجعل أيامى وليالى غير محتملة..
فأنا أستيقظ من النوم حاملاً على كاهلى هم وعذاب، إنى
سأعيش يوماً جديداً كاملاً.. ٢٤ ساعة.. ولا أنصور كيف ستمر
على كل هذه الساعات فليس لدى أى شئ أهتم بأن أشغل
نفسى فيه وأكون سعيداً بانشغالى به.. وإغنا على العكس أنظر إلى
كل شئ نظرة ازدراء وتجاهل وعدم اهتمام.. ولا أعرف كيف
أقصر هذا الشعور المؤلم الذى قلب حياتى إلى جحيم لا يطاق
ودفعنى للتفكير فى الانتحار.

لقد أحببت لأول مرة حباً جارفاً ملاً على كياتى.. ولكن
بالرغم من هذا.. وبالرغم من أنى كنت أغلى كالبركان من

الداخل.. لم يكن يظهر على شيء من هذا الشعور.. ولم أصرح
حبيبتي بأى شيء.. وإنما كنت أقف لأحدثها بمنتهى البرود
وكنت أعبدها.. وأعيد التراب الذى غشى عليه.. وكان المكان
الذى تذهب إليه هو عندي أحسن الأمكنة.. والساعة التى تحضر
فيها أجل الساعات.. وكنت أتمنى أن أذهب وراءها إلى أى مكان
تذهب إليه.. وأجلس إليها طوال الوقت أستمع إليها وأتحدث
معهما وأنظر إليها، وكان قلبي يدق حينما أكلهما ولو فى التلفزيون.
وكان يكفى أن أرى فتاة تشبهها، حتى يهتز كيانى كله.
وبالرغم من هذا لم أظهر لها شيئاً.

وإذا بدا عليها أنها حزينة تحولت إلى أنعس إنسان فى الدنيا.
وأصبحت مهموماً شاردًا وبالطبع لم ينته هذا الحب إلى شيء..
وتزوجت هى وأصبح حبيبى شيئاً مضحكاً ومزرياً بالنسبة لى.
فطويته فى جانب بعيد قصى من قلبي.. وانهمكت فى دراسى
بالكلية لأنساها.. ومرت سنتان.

وانتهيت من الدراسة وحصلت على الشهادة التى أرى الآن
مقدار تفاهتها.. وانتهيت إلى الحالة التى شرحتها لك.

تمر على أيام.. لا أحس بأنى أرغب فى شيء.. لا أريد أن أقرأ
أو أخرج أو أسمع موسيقى، أو أمارس أى هواية من هواياتى.
وإنما أظل ممدداً على سريرى لا تصدر منى حركة.. وتمر الوقت
بطيئاً مملاً ثقيلًا وأنا كالبركان التائر من الداخل.. كلى استمرار

وتغور من حياى بهذه الطريقة.

لم أعد أهتم بأصدقائى.. ولم أعد أهتم بالأشياء الجميلة التى
كانت تسعدنى فيها مضى كالموسيقى والقراءة والسينما والنادى.
وهكذا أعيش وقد عدمت كل شيء حتى الذكريات..
هذكرياتى مخيفة نافهة وحاضرى فارغ ومستقبلى مظلم.
لا أظن أن لديك نصيحة أو حلاً.. والحقيقة أنى لم أكتب
منتظراً أى حل.. وإنما أردت أن أريك بعض حالات الشقاء
والنعاسة التى يمكن أن يعيش فيها الإنسان بالرغم من توفر
الفرص والوسائل لديه ليكون سعيداً.

إن شخصيتك غريبة.

إن فىك انطواء يدفعك دائماً إلى أن تمضغ انفعالاتك فى قلبك
ولا تنطقها.

لقد عشت فى بروفة حب.. ولم تحاول أن تمارس هذا الحب أو
تجربه.. ولم تفعل هذا على سبيل البرود أو الدلال.. ولكن فعلته
جبنًا وخجلًا وترددًا.. لانظوائك على نفسك وخوفك من الخروج
منها.

وهكذا بدأت قصة حبك فى داخلك.. وانتهت فى داخلك دون
أن يسمع بها أحد.

وهأت ذاك تسلك فى حياتك كما كنت تسلك فى حبك.. تمضغ

انفعالاتك.. وتعلق رغباتك على حبال الملل والانتظار.. لا تكتفى بعدم العمل وإنما تتجاوز إلى عدم الاهتمام.
إن شخصيتك تسودها البطالة والتعطيل.. كل شيء فيه مضر.. ويمكن.. ولكنه غير واقع.

شخصيتك تشبه دولة بها جهاز تشريعي وليس بها جهاز تنفيذي.. ومثل هذه الدولة تعيش في النظريات ولا تفعل شيئاً.
إن ما ينقصك ليس الحب.. ولكن العمل والبيت والإيجابية والفعالية.

افعل شيئاً أي شيء.. وإذا لم تكن لديك الرغبة فاحمل نفسك على فعل شيء.. ومن الحركة تتولد الرغبة.. ويتولد الاهتمام.
إن نجاتك الوحيدة في العمل.

أما إذا أسلمت نفسك لهذه البطالة فإنك سوف تخنق يوماً بالطاقة التي تفور داخلك ولا تجد لها منفذاً تعمل فيه.. وسوف تنتهي إلى أسوأ النتائج.

الاختيار

تزوجت في سن الخامسة عشر رجلاً يكبرني بنحو ٢٠ عاماً
بحسب ضغط أب عنيد وأم جاهلة، كل ههما الثراء والمركز والمكانة
نني تلبق باسم العائلة.

حاربت هذا الزواج بكل ما أوتيت من قوة وصراخ وبكاء..
ولكني لم أفلح.
وباعوني كلهم.

ودخلت وأنا أرتجف بيت رجل لا أحبه.. رجل قبيح الخلقة
والخلق.. بخيل.. ساذج الطباع.. شديد المعاملة.. كل كلماته أوامره..
كان لا يعود بيته قبل الثانية صباحاً تفوح منه رائحة الخمر..
يرنح.. ويتكلم.. بفم معوج.

وتنسى لحظات الفراش ثقيلة.. هو من ناحية جلف غليظ في
مغازله.. أنا في لا يهمه إلا أن يحصل على متعته.. ثم يدير ظهره
ويشركني.. وأنا من ناحية أعاني الخجل والاشمئزاز والإحساس
بانحوائ.

وكنت أشكو لأمي كرهى له وعزمت على النوم وحدي..

وكانت تنهرني وتقول لي كرهك وحبك لنفسك ضعيه في قلبك.. أن
جسدك فهو ملك له.

وسمعت كلامها.. وبدأت أترك له جسدي كخرقة يال
لا حراك فيه ولا روح.. وأنجبت أربعة أولاد.. وأنا أتعذب
وأكتم في نفسي.. حتى انهارت أعصابي.. وأصابني ضغط
والقلب.. وبدأت تتناوبني الأمراض.

وبدأت أبتعد عنه جسمانياً.

كان هذا منذ اثني عشر عاماً.

أصبحت لا أحتمل مجرد سماع صوته أو رؤيته وكنت حين
أراه يذق قلبي بشدة ويكاد يتوقف وتتناوبني حالات عصبية
ومنذ أربع سنوات انقطعت عن الكلام معه.. وأصبح لي جناح
وحدى في البيت.. وله جناح وحده.

وإلى الآن لم يطلقني.. وهو يقول.. إنه لن يتركني حتى أصبح
غير صالحة له أو لغيره.

ولكنني لم أعد صالحة له ولا لغيره.. منذ الآن.

لقد أصبحت بعد عذاب ٢٥ سنة امرأة محطمة أولادي كثير
وأصبحوا شباناً.. وأنا ذبلت وأصبحت مريضة.

والآن أريد أن أستريح.

أريد الخلاص منه بأي طريقة.. إنه لا يريد أن يطلقني

وأنا لا أستطيع أن أطلب الطلاق من المحكمة لأن مركزي
ومركز أولادي ومركز العائلة لا يسمح.. لا أريد فضائح.
أفكر في تغيير ديني لأصبح محرمة عليه.. ولكنني أخاف من الله.
كيف يكون خلاصي.. إني تعيسة.

إن العجيب في خطابك هو صبرك العمر الطويل.. هذه
لسنوات الخمس والعشرين حتى انتهيت إلى هذه الحالة من
ضغط الدم والقلب والانهايات العصبية والمقاطعة الجسدية، ثم في
النهاية إلى عدم تبادل الكلام.

وأخيراً وبعد خمس وعشرين سنة وبعد دفع كل هذه الضرائب
الياهرة أحست أن الحياة أصبحت لا تحمل. وأنه لا بد من
خلاص.

وأي خلاص؟ خلاص يتم بمعجزة.. بدون أن يطلقك.. أو
نظقيته بالمحكمة حتى بعد الخمس والعشرين سنة مازلت تخافين..
وتقولين.. أولادي.. عائلتي.. مركز العائلة لا يسمح.

ولكن أمك حينما زوجتك بالإكراه كانت تقول هذا أيضاً..
مركز العائلة لا يسمح.. اسم العائلة يستدعي.. إلخ.. إلخ.
كانت أمك أسيرة المظهر المحترم والسمعة فاخترت لك زوجاً
ذ لقب وأطيان.

وتعذبت العمر كله لأنك عجزت عن البت في مصيرك.. كان البت يحتاج إلى إسقاط هذه الاعتبارات.. وأنت مثل أمك تخافين على هذه الاعتبارات!

واتخاذ أى قرار في الدنيا يحتاج إلى التضحية بشيء.. نحن نقامر بحريتنا واختيارنا في كل لحظة.. وأنت تطلبين الأمان.. وهذه نتيجة الأمان.

أنا أعرف الشيء الذي يرهقك.. إنه ليس كره زوجك.. ولا ضغط أمك.. إنه ضعفك.. ضعفك أمام اللحظة الفاصلة.. لحظة اختيار المصير.

ولكنك تنسين أنك اخترت وانتهى الأمر.. وأن هذه نورة بعد فوات الأوان.

وإن الأكرم لك الآن الصبر والتضحية بهدف الحفاظ على كيان الأسرة أفضل من الطلاق بلا هدف.

حقيقة المشكلة

أنا طبيب حديث التخرج.. ناجح في عملي كما كنت ناجحاً في درسي.. حالي المالية من عملي ومن إيراد خارجي متيسرة جداً.. أمتلك سيارة.. وسقة خاصة.. مؤهلاتي الشخصية ممتازة.. رياضي متفوق في أكثر من لعبة.. صحتي جيدة.. شكلي جميل.. أبنى جذاب.. ذكي.. محبوب من الجميع.. خفيف الروح.. بارع في كتاب الصداقات.. وفي استهواء القلوب.

بدأت تجاربي مع الجنس الآخر في سن مبكرة.. من الخامسة عشرة.. وكانت لي علاقات كاملة منذ تلك السن.

أنا الآن عضو في أحد أندية القاهرة.. وملك هذا النادي غير شوج على قلوب الحسان.. ولكن للأسف الفتاة الوحيدة التي حبيبها هي التي لم أحظ منها بأقل اهتمام.

وقلبي الآن موزع بين ثلاث فتيات.

فتاة أعبدتها ولا تحبني.

وفتاة أخرى تعيدني لدرجة الجنون وحاولت الانتحار وأنا لا أحبها.

وثالثة لأحبها ولا تحبني ولكننا نتمتع معاً إلى أقصى حدود
المتعة.

إني أعيش الآن في يأس.. وقد كفرت بالحب.. وغلقت حياتي
تماماً من الجانب المضيء.

ماذا أفعل لأكسب فتاتي التي أحبها.

إنك في اللحظة التي تكسب فيها هذه الفتاة التي تدعى أنك
تعبدتها.. سوف تضعها في خانة.. فتاة نعبدني ولا أحبها.. ثم نبد
في علاقة جديدة.. إنك شاب هلاس.. كل همك أن يكون لك
عرش.. وأن تكون الملك غير المتوج على قلوب الحسان
إن ما يعذبك من فتاتك.. ليس حبك لها.. ولكن حبك لنفسك
وغرورك.. الذي حطمته هذه الفتاة لأول مرة.

ولن يكون همك هو أن تبادلها الحب أبداً.. وإنما سوف يكون
همك هو أن ترد اعتبارك لنفسك.. وتثبت لنفسك أنك مازلت
فارساً.. ولهذا سوف تلفظها بعد لحظة من استسلامها وتبدأ في
البحث عن أخرى.

إن خطابك الذي يتألف من ثلاث صفحات.. يحتوي على
صفحتين كاملتين.. تتغزل فيها في نفسك.. جاذبيتك.. جمالك
صحتك.. شقتك الخاصة.. عربتك.. حائتك المالية.. ذكائك
مهارتك في استهواء القلوب.. نجاحك في عملك وفي دراستك

وفي الوقت الذي تقول فيه إن قلبك يتعذب وعواطفك
تحترق.. نسمح لنفسك بأن تبادل امرأة أخرى المتعة بدون حب
من ناحيتك ولا من ناحيتها.. ولا يفعل هذا إلا إنسان بلا قلب
وبلا عاطفة.. وبلا مشاكل من هذا النوع الرقيق الذي تدعيه.
إن أحسن عقاب لك هو ما أنزلته بك هذه الفتاة.. التي
كسرت شوكتك وحطمت غرورك.. وأرغمتك على احترامها
وعبادتها.. وحينها تفهم كل فتيات النادي.. كيف يعاملنك
ويكرن أنفك الجميل.. سوف تنصلح حالك وتتأدب.. أيها الملك
غير المتوج على دولة الهلس.

التعب

أنا شاب في الرابعة والعشرين.. تركتني خطيبي قبل شهر ونصف بعد حب ملتهب.. وبدون سبب.. لتتزوج من غيري في بلد بعيد جدًا.. تحملت الصدمة بمرارة.. ثم بدأت أسلك طريقًا سيئًا.. أصبحت الفتيات الرخيصات كل هوايتي أبدل الواحدة بالأخرى على قدر ما معنى من تقود.. ثم تعرفت على امرأة ذات سلوك يسميه الناس بالسلوك السيئ.. علمت أنها مطلق ومازالت على علاقة بمطلقها.. عرضت عليها الزواج فوافقت.. أشعر نحوها بما يسميه الناس حبًا.. ولا أية رومانتيكية.. وهي أيضًا علمتها التجارب وعلمها الخداع أنه لا يوجد شيء اسمه حب..

أصبح الأمر بيننا أشبه بصفقة.

أنا أشعر بالحاجة إليها.. ولكني لا أفهمها.. وأحس بأن جميع عواطفها مغلقة أمامي.. ولم أر منها سوى بعض دموع في الاجتماعى بها.. وهي تشعر بالحاجة إلى.. ولكن ليس لديها حماس وأشعر بها باردة خاملة بين يدي.. ولا يجد أحدنا الشجاعة الكافية

ليقول للآخر.. أحبك.. أعبدك.. أنت حياتي.

كلانا ينكر أن هذا كلام قارغ.

وأهل يرون أن الحكاية كلها فاجعة.. ولا يوافقون ويهددون ويتوعدون.. وأنا حائر.

هل أتزوج الفتاة.. أم أتركها.. وأعيش في أحضان القلق والإسراف والإرهاق؟

وكيف أتزوج كما تزوج الناس.. وأنا لم أعد أعرف شيئًا اسمه بيت ناس.. وحب.. وانتظار.. وخطوبة.. وشرف وكرامة وسعادة زوجة.



إن اليأس هو المأذون الذي سوف يعقد زواجكما.. كلاكما محطم يأس غطى قلبه الصدا وفقد البريق والنضارة.. وكلاكما مخبط.. هي مطلقة تعاشر مطلقها وتتزوجك في نفس الوقت.. وأنت تعاشر شبح امرأة هجرتك وتخضع يدك في يدها وأنت لا تعرفها ولا تفهمها وتطلب منها الزواج.

إن العلاقة بينكما مفقودة تمامًا.. وكل منكما يعيش في عزلة عن الآخر.. مغلقة على مأساته.. ومشكلته.

وما يربط بينكما هو التعب.. والضجر.. والملل.. ومثل هذه علاقة مقيضة عليها بالفشل.. إنها مثل المولود الذي يولد ميتًا.. أصرف النظر عن هذا الزواج.. واقطع علاقتك بالمرأة..

وبكل النساء.. واقض بضعة شهور في صوم وتفكير.. حتى تستعيد شهيتك الطبيعية.. وإقبالك على الحياة.. وأشواقك القديمة.

إن أسوأ ما يفعله المحب بعد صدمة عاطفية أن يحمى وعلاقاته.. إن مرارة القشل تغير طعم الحياة في فمه.. ونسوة أحكامه دون أن يدري فتصبح كل علاقاته مريضة يسكنها الحقد والشر.

بعد المشوار الطويل الذى يقطعه القلب.. نحتاج إلى راحة طويلة.. تمامًا كما نفعل بعد المشوار الطويل الذى نقطعه بأقدامنا فالعواطف كالدم واللحم والأنسجة تحتاج إلى وقت لتتجدد

عدم الإمكان

أنا سيدة جميلة في العشرين من عمري.. بدأت حياتى بطفولة نعمة.. كان أبى غنياً.. ولكته بخيل جداً.. شرس حاد الطبع، ينهور لدرجة القسوة.. فيضربنا جميعاً ضرباً مبرحاً.. والعجيب أنه كان يضرب أمى.. والأعجب أنه كان يضرب أمه.. وألفاظه جارحة فاسية لأقصى حد.. يدخل المنزل مقطب الحاجبين.. ولا يلقى كلمة تحية.. فينزوى كل من فى البيت فى رعب.. وكان أبى يضطهدنى أكثر من باقى إخوتى لأنى كنت دائمة الرسوب.. ولم يكن يعلم أبى أرسب بسببه.. وبسبب الرعب الذى وضعه فى قلبى.

وسافر أبى إلى بلد بعيد فى إحدى السنوات.. فبدأت أنجح فى المدرسة وأتفوق وأطلع الأولى.. وأحببت المدرسة.. ومرت سنتان.. وأنا على تفوقى ونجاحى.. ثم بلغت السادسة عشرة، وبدأ خطاب يتقدمون لى.. وأبى يضغط على لآتزوج.. وكنت أسمعهم يقول: إن البنات نكبة على الحياة.. وإن الزواج هو الحل الوحيد لتخلص منهن.. وكان أحياناً يشتمنى.. ومرة يضربنى ومرة أخرى

هددني بالقتل إذا لم أتزوج.. وأمي كانت في هذه الأحداث بين
نارين.. فهي تعطف علينا.. ولكن ما باليد حيلة.. وهكذا وجد
نفسى مجبرة على الزواج.

وصدقنى، لقد ألقوا بى كما يلقون بكلب فى الشارع، ووجدت
نفسى مع رجل طيب يحببى ويعبدنى ويغار علىّ، ولكنه بخيل
وسمج، لا يعرف الذوق فى ألفاظه ولا فى معاملته، دائم النقد لكل
الناس.

وبرغم أن زوجى كان أكثر عطفًا من أبى فإننى كنت أسعد
حالا فى المدرسة.. كانت لى هوايات أمارسها.. وكانت لى شغف
وكانت لى أحلام.. كنت أحلم بأن أجرب الحب.. وأذوقه.. ولكن
كنت أخاف من الحبس فى البيت والضرب والقتل.

أما الآن فإنى أشعر أن حياتى انتهت.. ولم تعد لى هوايات.. ولم
أعد أتمتع بالجلوس مع صديقاتى.. ولم أعد أجِد لذة فى تربية
زمان.. فقدت صبرى.. وفقدت آمالى.. ولم أعد أطيق شيئًا
الشيء الوحيد الذى أصبحت أحبه هو الخروج بشرط أن
أكون وحدى.. أسير فى الشارع.. ترون فى أذنى الموسيقى.. ولكن
زوجى لا يحب الخروج.. ويلازمنى فى كل خطوة.

إن زوجى عبء.. عبء فظيع.. وأولادى عبء.. وبيتى عبء..
لا تقل لى.. أحببى زوجك.. فهذا مستحيل.. لا تقل لى اسقى
نفسك بهواية.. أو دراسة.

إنى أنعر بهبوط فى نفسى باستمرار.. وهبوط فى جسدى
وصداخ أليج.. وعجز عن كل شيء..
لا نخل على برد سريع أرجوك.

أن الأخت الصغرى لصاحبة الرسالة.. وقد أعطتني رسالتها
وأقرأها قبل إرسالها إليك.. وقالت لى إنها لا تشعر أنها رسالة
منع.. ولكنها لا تقوى على الكتابة أكثر من ذلك.

والمواقع أن أختى حالها أفظع بكثير مما وصفت لك.. إنها
سامة.. ساردة.. مبهوكة القوى دائمًا كأنها خارجة لتوها من عمل
مرفق.. كانت عاطفية.. ولكنها الآن تهرب من العاطفة.. ولا تطيق
سماع أغنية فيها عاطفة.. إنها تريد الهروب من كل ما يمت
بواقعها بصلة.

إنى قلقة عليها كثيرًا.. وخصوصًا أن صحتها فى تدهور..
لأنصح لها ياسيدى بالطلاق.. لأن لها أولادًا صغارًا من زوجها..
وولدى كما وصفته لك.. لا يجب أحدًا.. ولا يطيق مجرد إنسان معه
فى المنزل حتى ولو كان ابنته أو ابنه.

وليس لديها الصبر لتكمل دراستها أو لممارسة أية هواية
لأسمى تفعله الآن سوى الشرود.. والشرود فى لاشى..
أفنى أن تساعد.



سيدتى..

أنت سجينه فى بيتك.. ولكنك قد سجننتى أنا أيضًا فى افكارى.. وكنت يدي.. وجعلت كل الحلول غير ممكنة.. وغير مقبولة.

وحينها يحاط الإنسان بعدم الإمكان من كل طريق وتسد عليه المنافذ.. لا تبقى له إلا بطولة واحدة.. هى بطولة الخسوف والاحتمال.

وعزاؤك أننا جميعًا مثلك إلى حد ما.. أبطال قصة مفك فاشلة.. نهايتها الموت.. رغم كل أحلامنا وآمالنا.. كلنا نذبل على فرووعنا.. ونموت عطشانين.. والماء حولنا.. والشمس فوق رؤوسنا.. اكتبى قصتك على فصول طويلة.. فأسلويك.. جميل.. وأحب أن أقرأ شيئًا عن الصعيد.. كيف يعيش هناك الناس.. ويفكرون.. ويحلمون.. ويموتون.

بالصدفة

أنا شاب فى العشرين.. فى كلية الهندسة بالاسكندرية.. مرح.. بسيط.. منطلق.. وإن كنت فى داخلى أعانى فراغًا عاطفيًا هائلًا.. وليس معنى هذا أنى أعيش فى عزلة.. لأعرف النساء ولا أقربهن.. فالمحبة أن لى صولات وجولات فى عالم الغرام.. ولى خبرة بالنساء يحسدنى عليها الكثيرون..

نعودت هذا الصيف أن أذهب وحدى كل مساء إلى محل عام وأجلس على مائدة لا تتغير.. أتناول عليها قديمًا من الشاي واللبن.

وفى مساء يوم منذ شهر تقريبًا دخلت إلى المحل سيدة سارت بين الموائد واتخذت لها مكانًا.. بالصدفة المحضة.. بجوارى.. وطلبت.. بالصدفة أيضًا قديمًا من الشاي واللبن.

سيدة لم تتجاوز الثلاثين.. كل ما فيها يجبرك على أن تحترمها.. نظراتها الهادئة.. مشيتها المتزنة.. وتصرفها الرزين.. ومظهرها لئى يتم على أنها فاضلة.. جميلة.. وأنيقة.

وكعادتى.. لم أهتم بها.. أو بمعنى أصح تظاهرت بأنى مشغول

عنها معتقداً أنها لابد في انتظار شخص ما.. رجل أو امرأة.. وبعد حوالى الساعة نادى الجرسون وأعطته ثمن ماتناولت وانصرفت في المساء عند نومى لم أعلق على الأمر أهمية.. بل لم أذكر كلية.

وفي نفس الموعد في اليوم التالى أقبلت السيدة واتخذت مكانها بجوارى وتناولت الشاي واللبن.. ولم يحضر أحد لمقابلتها.. وبعد ساعة انصرفت.

وتكرر حضورها يومياً وبدأت نظراتى تفضحنى.. وبدن السيدة تلاحظ ذلك.

وبعد أسبوع.. وبعد أن اتخذت مكانها بجوارى، تقدمت إليها وعرضت عليها أن نتناول الشاي على مائدة واحدة.. ولم أكن أتوقع أن توافق.. ولكنها وافقت في الحال.. ويومها كنت أسعد مخلوق.. وتبادلنا حديثاً بسيطاً لا أثر فيه للغرام أو عبارات الإعجاب.. وانصرفنا على أن نلتقى غداً.

وتقابلنا.. وعرفتها.. وعرفتني.. وتكرر لقاءنا حول أفداح الشاي نتناول حديثاً كله بساطة.

ثم بدأنا نتمشى معاً كل ليلة على الكورنيش.. يدها في يدي نتهامس ونتحاكى.. وكنت أحياناً ألمس خدها بخدى فيحمر وجهها في خجل وتنظر إلى في عتاب.

وعرفت عنها حينئذ كل شيء.. إنها متزوجة.. تعيش في

زوجها.. فزوجها يكبرها بعشرين سنة بخيل ومخل العقل يعملها بقسوة ويضربها ويستلمها بألفاظ مقذعة.. حكى لى هذا وهي تبكى.. وقالت إنها بالرغم من كل هذا لن تخونه.. لأن ضميرها لا يطاوعها.. أن تفعل هذه الفعلة الشنيعة.

ومن يومها وأنا لا أنام.

طيفها وخيالها يطاردانى في كل لحظة.. وقلبي يعذبني.. وضبرى يؤنبني لأنى أغريها بصداقتى على علاقة لا ترضاه.. أحس أنى ذئب.. وأنها إنسانة طيبة وديعة.. ألقنها الصدفة بين يدي.

ماذا أفعل.. إني أعيش في قلق دائم.. وعذاب.

لقد فتحت الكليات أبوابها منذ أيام وسافرت إلى الإسكندرية وافرقتنا بعد أن تواعدنا على اللقاء.

ولكنى أعيش في سرحان وشروء دائم.. أفكر فيها وأتذكر كلماتها وضحكاتنا.

ما نهاية هذا الحب.. الزواج.. وكيف أتزوجها وهي متزوجة؟ إن السعور بالإثم يقتلنى.. ووجهها البريء الفاضل النقى يطاردنى في كل مكان.

ماذا أفعل.. وأنا بين نارين.. حبي ودراستى.



تستطيع أن تريح نفسك من هذا الشعور القاتل بالإثم.. فلا
أظن أن الأمر حدث بالصدفة كما ظننت.

ولا الصدفة هي التي جعلتها تطلب الشاي باللبن مثلك..
ليست الصدفة هي التي جاءت بيا على الكرسي بجوارك..
ولا الصدفة هي التي جعلتها توافق في الحال على مشاركتك
المائدة.. وتؤنسك بحديثها المذهب الرزين.. ووجهها البريء
الفاضل النقي.

لم تكن ذنبًا بحسبك كما ظننت نفسك.. وإنما أنت في الغالب
الصيّد.. وهي الصياد.

هذا مع احترامي لخبرتك وجولاتك وصولاتك في عالم الغرام.
وقصة الزوج الذي يكبرها بعشرين سنة والعقل المخبول..
والقسوة والضرب.. والألفاظ المقذعة.. هي في الغالب حكاية
لأصطياد احترامك وشفقتك واسباغ ثوب من السرعة على هذه
العلاقة.. حتى تنمو وتؤتي ثمارها.. وانت طبعًا أكلها.. يا عزيزي
الذئب الغليان.

وفر شفقتك.. فأنت أحوج إليها.

واحتفظ بعواطفك لمناسبات أخرى.

وفكر في مستقبلك ودراستك.. ولا تنضيع وقتك.. فهي لا تنضج
وقتها مثلك.. وأغلب الظن أنها الآن في القاهرة تشرب الشاي
واللبن مع ذئب آخر خبير في النساء مثل سيادتك.. بالصدفة..
طبعًا كالمعتاد.

الأسلوب المناسب

منذ ثلاث سنوات وأنا أحبها وتحبني.. ونتحدث يوميًا
بالتليفون.. ونخرج معًا مرة أو مرتين كل شهر فنذهب في نزهة
برية إلى إحدى الضواحي.

ثلاث أو أربع مرات فقط أوصلتها إلى البيت.. وضغطت على
يدها ضغطة خفيفة، ومرة واحدة أمسكت بيدها وطبعت على
ظهرها قبله.. فردتني بلطف وأدب وأفهمتي أنها لا تحب هذا
الأسلوب وأنها ليست من ذلك الصنف من البنات الذي
تستهويه هذه الأمور.. وأنها إن كانت تخرج معي وتحدثني في
التليفون فإنا تفعل هذا للمرة الأولى في حياتها.. وعلى حساب
أعضائها.. ومن يومها لم أكرر هذه المحاولة وصدقته.. واقتنعت.

هي أنسة في العشرين أو جاوزتها قليلًا.. خريجة جامعة
القاهرة.. تشغل في الوقت الحالي وظيفة جامعية.. على درجة
كبيرة من الجمال.. تمتاز كياقي أسرتها بالطيبة والهدوء والسمعة
الحسنة.. وهي موضع احترام الجميع.

أما أنا.. فشاب جامعي في الخامسة والعشرين.. أشغل إحدى

المهن الحرة.. عادی فی کل شیء.. عرفت قبلها کثیرات ومارسه
معهن کل أنواع الهوى والحب.. أعرف فی الوقت الحالی فتیر
غیرها.. أزال معهما حماقات شبابی بقدر معقول.. وبدون ارتباك
مع أيهما بشیء.. أحب صاحبتي جدًا.. وأنتوی الزواج بها هذا
العام.. فما رأيك؟

ما رأيك فی هذا الحب الذي ظل أفلاطونيًا طيلة هذه السنين
الثلاث؟

إن أصدقائي يقولون لی.. أنت عبيط.. خيبة.. من عارف
توصل.. دى عاملة ثقيلة ومؤدبة عشان تتجوزك.

وأقرأ فی القصص.. عن القبلات.. والأحضان.. وعن الفتاة
التي تحتقر صاحبها لأنه يخاطبها بأسلوب عنری.

هل صحيح أن كل المنمنعات كاذبات ومثلات؟
ألا يجوز أن تكون هذه الفتاة صادقة فعلاً.. وعفيفة فعلاً
وتريد فعلاً أن تحتفظ بأجل ما فی الحب لما بعد الزواج
أجبتی بصدق أرجوك.. ولا تحاول أن تطيب خاطري.

واضح من كلامك وحسب قولك.. أنك عرفت بنات کثیرات
مارست معهن كل أفانین الهوى والحب.. وأنتك حالياً تعرف فتاة
فی وقت واحد تمارس معهما حماقات شبابك.

ومعنى هذا.. أن الشیء الوحيد الذي رشح صاحبك للزواج

فی نظرك.. أنها رقت أن تكون مثل الأخريات.. هذه رخصة
زواج الوحيدة فی نظرك.

وهذا يكشف عن أزمة البنت العصرية.. إن صاحبها يحدثها
عن التحرر.. والعقلية العصرية.. وحق التمتع بالحب.. إلخ..
لن.. ثم يفدر بها فی النهاية ولايتزوجها إذا طوعته فی هذا
تحرر.. وينكشف لها فی النهاية عن رجل محافظ أشد محافظة من
جدها.. بطايتها بالعفة إلى آخر حدودها.. ومعنى هذا أن المشكلة
نسبةً للبنت الآن لم تعد مشكلة كذب وصدق.. وإنما أصبحت
مشكلة اختيار السلوك المناسب.

والسلوك المناسب مع أمثالك هو أن تتصرف صاحبك
بخط كذا تصرفت.. لأنها لو تهاونت لحظة فی أى شیء..
تضمنها إلى طابور الفتيات اللاتي تمارس معهن حماقات شبابك.
ليست المشكلة هي مشكلة تمثيل.. أو تصرف على الطبيعة لأن
٩٠٪ من الرجال محالون لايتصرفون على الطبيعة.. وإنما يدعون
أن حريات لا يؤمنون بها فی أعماق نفوسهم.

هناك عملية كذب عام شامل منظم بین الرجال.. لاتجد البنت
أمانه مفرأ من الاحتيال ومواجهة كل ظرف بالأسلوب الذي يناسبه.
تزوج صاحبك.. ولا تتساءل.. فليس لك الحق فی هذا
تسأل.

إن صاحبك هي الوحيدة التي فهمتك.. وكشفتك.

كوبرى السعادة

أنا آنسة فى الستين.. عشت حياى الطويلة المريرة كالكوبرى الممدود عبر ثلاثة أجيال.. لم أعرف الحب.. ولا الزواج فى العاشرة كنت أحمل أخى الطفل وأغنى له.. وفى الثلاثين كان الطفل قد كبر وتزوج.. فحملت أطفاله.. والآن وقد كبر أطفال الأطفال.. وتزوجوا.. وبدأت أستقبل على صدرى الحب الضامر.. أبناءهم لأعبر بهم السنين الباقية من حياى. أنت لاتعرف معنى أن تعيش على النشاط.. وتقضى فى الحرمان ستين عامًا.. وأنت عطشان.. لايمكن أن تعرف هذا لأنك لم تجربه.. فأنت رجل.

وفى صباى كانوا يقولون إن الرجال خلقوا للشارع والمدرسة والنساء خلقن للمطابخ.

وكان أبى المتوسط الحال يحلم بتربية أولاده فى الجامعة.. وكان ثمن هذا الحلم بعد أن ماتت أمى أن أظل فى البيت لا أبرح.. أطبخ وأغسل وأمسح البلاط.. لأوفر ثمن خادمة وطاهية وغسالة وأعاون أبى على تحقيق حلمه الكبير.

كنت الثمن الذى دفعه جيلنا من لحمه ودمه.. لتدخلوا الجامعة وتعلموا.. وتقولوا للعالم.. نحن الرجال. وقد كنت سعيدة بهذه التضحية. كنت أمًا عذراء لأجيال ثلاثة تربوا على صدرى.

ولكنى الآن وقد تغيرت من حولى الدنيا.. أحس أنى غريبة فى عالم غريب.. عالم ملئ بالثرثرة والقرور والحب والإلحاد والثورة. بناتى وصباى الذين ربيتهم ومنحتهم شبابى وعمرى.. ينظرون إلى كأنهم ينظرون إلى تحفة أو أنثىكة.. ويسخرون منى لأنى لأفهم الوجودية والسياسة والحب.. ويضحكون على. لقد انتهت دولتى.. ومطبخى الصغير احتله الطاهى.. ولم يبق لى سوى البكاء فى صمت إلى جوار النافذة. كنت أطمع فى نساء واحد.. هو التقدير.. ولكن حتى هذا لم أحصل عليه. كم أنا نعمة.



أيتها الأم الكبيرة..

إن بناتك اللاتي يقرأن فى الوجودية.. والسياسة والحب.. لا يفهمن شيئاً من السياسة ولا من الحب.. ولسن جديرات بأن يكن خادماذك..

أنت الحب يا أماء.. وأنت الشرف والواجب والتضحية
والفضيلة.

لقد ارتضيت أن تكوني الضريبة على الأجيال الجديدة
الضريبة الفادحة على رأسمالية العلم والثقافة والحرية. التي
تسلمها الرجال خالصة من يديك.

إن كل هذه الثروة والمعارف هي بعض من فئات موائدك
فإن كنت وجدت العقوق من أبنائك.. فاغفره.. فهذه خد
الأنبياء أمثالك.. وكفاك إحساس المرأة التي خلقت شيئاً عظيماً
إني أنحنى احتراماً لك.. وأقبل يديك.. يا مريم الطاهرة.

النضج المبكر

أنا فتاة في السادسة عشرة. في المرحلة الثانوية.. محبوبة من
كل من حولي.. حساسة جداً من الناحية الدينية، فأنا مثلاً أتمسك
بالصلاة وبقراءة كل ما يكتب عن الله والأنبياء، وكنت أصاب
حالات من البكاء والعصبية والرعدة بعد ليال أقضيها في
الصلاة والدعاء.. ولكن هذه النوبات قلت الآن كثيراً.

أحب السحاب الأبيض وأبكي عند رؤيته.. وأحب القمر..
والطر.. وأحلم بالملائكة والآخرة، وأقضي الساعات الطويلة في
قراءة القرآن.. ولكني للأسف الشديد لا أعتقد أنني مؤمنة إطلاقاً
كثيراً ما كنت أفكر وأنا في وسط صلاتي، أنه قد لا يكون هناك
إله..

لا أعرف إن كنت أحب الناس أم لا.. ولكنني أشفق عليهم
في حد غريب، وأخاف على شعورهم لا أكثر.

أغلب أصدقائي من سببان عائلتنا يفضون إلى بأسرارهم.. ولما
كنت من البداية على استعداد للتطبع بطبعهم فقد أصبحت
تصرفاتي رجولية إلى أبعد حد.. فمثلاً لا أستطيع أن أضحك دون

جلجلة.. ومشيتي عسكرية.. وتفكيرى خشن فقط كتفكير الرجل
ولا مانع عندي من اقتحام أسرار أى شاب دون خجل.. وأغلب
وقتي أقضيه منظوية مع الكتب.

بدأت مشكلتي عندما لاحظت أني أصبحت أحلم كل ليلة
أكثر من عشرة أحلام، فأصبحت أحلم أني عارية غاماً أمام والدي
ينظر إلى نظرة حنان غريبة.

وبدأت أتعتقد من ناحية والدي.. بدأت أفكر أني شاذة
وأخاف من شذوذي.

وبمرور الوقت ضاعت المشكلة تاركة وراءها شعوراً غريباً
ناحيته.

وأقول ضاعت المشكلة لتبدأ غيرها.. فقد بدأت أشعر بنظر
الشعور تقريباً ناحية أخى الصغير.. فكنت أخاف من أن ينم
جانبي.. وأستيقظ أكثر الليالي فزعة مشمزة عندما يلمسني يده
صدفة.. وبدأت أشعر بالنفور منه وأنام في مكان آخر!

والآن.. أو بالأصديق.. منذ حوالي ثلاثة أيام تقريباً.. انتهت
لنفسي وأنا أفحص زميلاقي في المدرسة.. وأقول تلك جملة جداً
وهذه حلوة.. وهؤلاء مقبولات.. إلخ.. إلخ.

و.. وعادت مشكلتي من جديدة.
هل أنا شاذة.. هل من الممكن أن أرتكب هذه القذارات..
بالأمس كانت ستنام أختي الصغيرة معي.. فهربت مني

لثام على الأرض.. وأمضيت الليل في خوف ودوار
وبتهال إلى الله.

أن الآن أفكر في الموضوع وأتساءل.. هل أنا واهمة؟..
هل السبب كثرة انطواني وتفكيرى في نفسي؟.. هل لأنني
بعدت تماماً عن جو الفتيات؟ أم أن السبب هو شدة خوفاً من
لخطأ.. أم أني شاذة حقاً.. ولم..؟.. ولم أفعل أى شر أو أودى
بخلوفاً.. هل الله يكرهني لأنني كفرت به.

وسأحاول مساعدتك.. فأنا لا أعتبر نفسي جميلة.. وأنا
خجولة وحساسة جداً.. وجياشة العاطفة.. وأقول لك حادثة قد
ساعدك.. فقد حدث وأنا صغيرة جداً أن فعلت معي فتاة كبيرة
شيئاً فييحاً.. ما زلت أذكره بالرغم من صغر سني وقتها وذلك
لغربة الأمر بالنسبة لي..

هذه مشكلتي.. وهي مشكلة تتفاقم معي يوماً بعد يوم..
وأشعر بأنني أكره نفسي.. وبأنني أود تعذيب نفسي.. ولا أعرف
لهذه الآلام نهاية.

أرجوك لا تحتقرني.

أنا لا أحتقرك.. وإنما على العكس.. أنا أشعر أنك إنسانة
فاخرة وعلى درجة غير عادية من النضج والوعي بالنسبة لسنك..
فأنت أكبر من سنك بكثير.. ولديك قدرة على استبطان مشاعرك

واستجلائها لا يبلغها الكثيرون ممن هم أكبر منك من الرجال
أو النساء.

ومشكلتك الحقيقية كانت في هذا الوعي والنضج المبكر.. وفي
الحساسية المفرطة التي تستقبلين بها كل حدث.. حتى أنك لتبكين
لرؤية السحاب الأبيض.. وترتجفين لرؤية القمر.

ومثل هذه الحساسية أمام حادث خشن كالذي حدث لك
حينما اعتدت عليك فتاة وأنت صغيرة اعتداءً فاضحاً.. مثل هذا
الحادث.. كان كفيلاً بأن يقلب حياتك.

أنت منذ تلك اللحظة تحاولين أن تكوني رجلاً حتى لا يتكرر
عليك مثل هذا الاعتداء.. فمشيتك وضحكك المجلجلة هي
ضحك الرجل.. وبالمثل مصادقتك للرجال والحفاظ على
أسرارهم.. وبالمثل نظرتك إلى البنات زميلاتك وملاحظتك أن هذه
جميلة جداً.. وهذه حلوة.. وهذه مقبولة.. وهذه شفتاها مليتان..
إلخ.. إلخ.. هي نظرة رجل.

وخوفك من أن تنام أختك الصغيرة في حضنك هو خوف من
أن تتكرر هذه الحادثة.. وأحلامك بأنك لست عذراء.. هو خوف
آخر نبع من تلك اللحظة المشؤمة.. فأنت تخشين أن تكوني قد
فقدت عذريتك من تلك اللحظة.

وأحلام التعلق بالأب والأخ.. قد تكون معناها أن الأب
والأخ هو نموذجك للرجل الذي تريد أن تكوني على مثاله..

وقد تكون هي المرحلة الوجدانية الطبيعية التي قال عنها فرويد..
وهي المرحلة التي تنتج فيها عاطفة البنت إلى أبيها وأخيها.. وهي
مرحلة عابرة.. تنطلق بعدها العاطفة حرة لتبحث عن أليفها بين
الرجال الآخرين.

أما سر العذاب الذي يطحنك فهو أن جميع هذه الحلول التي
لجأت إليها عقلك الباطن هي حلول غير سليمة.. فأنت لست
رجلاً.. أنت امرأة.. فياض الأنوثة جياشة العاطفة..

والسلوك الرجولي الذي تخيله عقلك الباطن مرفاً أماناً.. كان
بالنسبة لك إهداراً لطبيعتك.. وضياعاً لحقيقتك.. وهذا سر
عذابك.

وأياً كانت المشكلة فقد هدتك نظراتك السليمة إلى معرفة
السبب.. ووضعت يدك على العلة.

ولهذا فإن شفاءك من هذه الأمراض العصبية أكيد.
وسوف تستعيدين مرحك وحبك للحياة.. فإن المعرفة هي
مفتاح الشفاء النفسي.

ومرت ساعة.

ثم بدأت أسمع الأصوات والحركات في غرفته.

ومرت ساعة أخرى، قمت بعدها وأنا أتصيب عرقاً. وطرقت الباب.. ثم دخلت في خجل لأعذر له وأطالب بنصبي في الغيبة.

ومن ذلك اليوم تغيرت حياتي كلها.

تعلمت التدخين حتى أدمنت بشراهة.. شربت الخمر وعرفت البارات الترخيصة.. دخنيت المخدرات.. ذقت كل أنواع الهلس.. مع نومسات.. والمخادومات.

وكانت النتيجة طبعاً أنني رسيت بدرجة ضعيف جداً.

ولم أخبر أسرتي حتى لا يقطعوا عني النقود ولكن أُمي عرفت وعابتنى.. فأجبتها ثائراً.. إني سوف أترك الدراسة.. وأبحث عن عمل.. وإني لا أريد منهم شيئاً.. وكانت النتيجة أنها بكّت.. وقبلت رأسي.. وتوسلت إليّ أن أعود إلى دراستي.. وتعهدت لي أن تدفع لي مصروفاً.. وكل ما أطلبه.. وأقسمت ألا تخبر أبي بشيء.

وفي هذا العام تركت شقتي.. وسكنت في بنسيون تملكه امرأة إيطالية وحاولت أن أنسى فشلي ورسوبي.. بالإغراق في الخمر.. وبالإغراق في معاشرة الإيطالية صاحبة البنسيون التي تعدت سن الأربعين.

دلوع..

أنا شاب في الثالثة والعشرين من عمري تبدأ مشكلتي منذ عام ١٩٥٦، يوم حصولي على التوجيهية.. وكان حلمي في ذلك اليوم التحق بكلية البوليس.. وألبس ضابطاً.. ولكن الظروف خيبت أمني.. ألقى في مكتب تنسيق الجامعات في كلية نظرية بالإسكندرية.

وانتقلت إلى المدينة.. واتخذت سكناً إلى جوار الكلية.. وشاركتني في سكني زميل من البلد.

وفي الأسبوع الأول من إقامتنا رأيت زميلي يدخل البيت وفي يده امرأة من الطريق.

وتشاجرت معه.. وحاولت أن أطرد المرأة.. واشتد بيتنا الخلاف.. ثم اتفقنا على أن يغلق بابي ويفعل ما يشاء.. على أن تكون هذه أول وآخر مرة.

وشتمته في ذلك اليوم بأقذر الألفاظ.. قلت إنه ساقط وعاهر داعر.. وإني بريء منه إلى يوم القيامة.

وأغلقت بابي.. وجلست أغلى من الغيظ.. وأستغفر الله.

والمشكلة الآن أن أبي يعتقد أنى فى السنة الثالثة.. وباقى لى
على الليسانس ستة واحدة يتيمة.. وهو يعد العدة ليخرج لى.
خطب لى بنت رجل غنى جداً.. واشترى لى سيارة ليقدّمها
هدية لى على سطارقى.. وهو ينتظر يوم العدد.. يوم تخرجى.
وأبى رجل طيب حىج سبع حجات.. وأمى لا تستطيع أن
تفجعه فى.. وأنا لا أستطيع أن أواجهه بالحقيقة.. والحقيقة لا بد
ستظهر.. وأنا لا أعرف ماذا أفعل.. أنتحرر.. أم أهرب من الدنيا
كلها.. أما ماذا؟

ذاكر ياأخى.. إن المذاكرة ليست بخيفة بالدرجة التى تفضل
عليها الانتحار.

إن أكبر خطأ ارتكبته أمك.. أنها بكّت.. وقبلت رأسك.
وتوسلت إليك أن تعود إلى دراستك.

كان يجب عليها أن تتركك تنفذ تهديدك.. وتعمل.. وتتسرد..
وتجوع على الأبواب.. وتتعلم الأدب.. وتحس بأن الحياة جد..
وتفיק من الهلس الذى أنت فيه.

إن العلاج الوحيد للولد الدلوعة أن يحس بالمرمطة.
لا توجد قوة فى الأرض تحميك من الحقيقة.. إن مشكلتك
ليست سنواتك التى ضاعت.. ولكن سنواتك القادمة التى ستضيع
حتماً.. إذا واجهت الدنيا بهذه العقلية.

هنا مصلحة فى أن تظهر الحقيقة.. وأن تصدم.
أنت فى حاجة إلى صدمة.. وقسوة.. وعنف لتفיק.. وإلا فأنت
مقضى عليك.

لن تصبح رجلاً إلا حينما يطردك أبوك إلى الشارع.

كان أبي يعنف أختي حينما ترسب ويلاحقها بالمدرسين ويخربها
المذكورة. أما أنا فإنه كان يضحك حينما أرسب كأنه قد حدث
شيء بتوقعه. ويربت على كتفي ويقول في سعادة: إنت قمورة..
مدرس إيه الله. إنتي تقعدى فى البيت زى الملكة والدنيا تجرى
بكى. والعريسان بيوسوا إيديكى.

وحينما كنا نجتمع كلنا ونحدث.. كان أبي يتناقش مع إخوتي
يبحث فى معركة كلامية حامية مع كل فرد إلا أنا وكأنا التفكير
كلنا عن طبيعة بالنسبة لى.. وحينما كنت أحاول الكلام كان
يردى رنة دائلا. عاوزة تقولى إيه يا ملكة. إنتي تأمرى بسى..
تترغى ده للفراشين إالى زيننا.

وفى اللحظات التى كنت انطق فيها بملاحظة ذكية.. كانت
تفوت على الذى يستمع إالى. لأنه كان متهمكا فى التطلع إلى
وجهى وقد نسي كل شيء.

لم يكن أحد ينظر إالى بأكثر من أنى زينة.. مجرد زينة.. ليس لها
أن تقوم بأى دور جاد.

وبدا يداخلنى شعور بالتفاهة والحيافة فلا أحد يشركنى فى
مهمه. ولا أحد يوكل إالى بسر يخشى عليه أو يعمل بحرص
عليه. وإنما أنا بمثابة لحظة التسلية بالنسبة للجميع.

وكان طبيعيا أن أفضل فى دراستى وأن أترك المدرسة وأبقى فى
البيت.. ثم أتزوج وأنا صغيرة.

لعنة الجمال

أنا فتاة فى العشرين.. من ذلك النوع الذى تفتح فمك حين
تراه فى الطريق وتتوقف مأخوذاً.

شعر يتماوج كالذهب.. وجه أبيض وردى.. عيون زرق.. فم
دقيق.. قوام باریسى.

حيثما سرت فى الشارع.. تتبعنى الشبهات والتأوهات..
وكلمات الغزل.. وتلف الأعناق حول نفسها حتى تكاد تتخلع من
أكتافها.

حياتى كلها كانت كلمة واحدة لاحقتنى من أبى وأمى وعائلتى
ومن يعرفوننى ومن لا يعرفوننى.. إيه الحلاوة دى يا بنت.. إيه
الجمال ده.. إيه السحر ده.

لا أحد حاول أن يسمعنى.. لا أحد حاول أن يفهمنى كلهم
كانوا يتفرجون علىّ ويقلبونى بين أيديهم كالدمية.

لم أشعر فى أى لحظة أنه ينتظر منى شيء أو يطلب منى شيء..
أو أفى إنسانة لى عقل ولى قلب مثلاً لى وجه وقوام.

وكان زواجًا تعيشًا.. أتعس ما فيه جمالي.. فزوجي لا يصحني
في خروجه لأن جمالي فضيحة تلفت النظر في كل طريق.. وهو
يسجنني في البيت لأنه يفار علي.. وهو يشك في سلوكي.. وهو
يفقد ثقته بنفسه كلما ازداد إحساسًا بجمالي وبالتالي يشعر بعجزه
عن أن يحكمني فيزداد في شكه وغيرته وقسوته.. ويزداد في اسرافه
لكي يرضيني بالملابس الباهرة والجواهر.. وازداد أنا إحساسًا
بالتفاهة وازداد شقاءً.

حتى بطاقات الدعوة التي كانت تأتيها في أفراح الأصدقاء
كان ينظر إليها في شك وريبة وقد خيل إليه أن صديقه يدعو من
أجل أن يراى لا من أجل أن يراه هو.

وكان من الطبيعي أن ينتهي مثل هذا الزواج بالفشل والطلاق
وانتهى أنا إلى حالة من اليأس لا ينفع فيها علاج.
إن جمالي كان لعنة علي.

إني أتمنى الآن أن أفتح عيني فأجد أني قبيحة.
إن إحساسي بجمالي أصبح مثل إحساس الغنى الذي يظن أن
كل من يحبه فهو يحبه من أجل ثروته لا من أجل شخصيته.. نعم.
أنا أيضًا يخيل إلي أن لا أحد أحبنى لشخصي.. وإنما جميعهم أحبوا
في صورتي وهذا يعذبني.. ويشعري بتفاهة شخصيتي ويحرمني من
لذة احترامى لنفسى.

لقد بدأت أعتقد أنه لا سبيل إلى السعادة.. أبدًا.. فائترة

نشى.. والجمال يشقى.. والحب يشقى.. والعقل يشقى.. أين
سعادة إذن.. وأين أجدها.



السعادة ليست في الجمال ولا في الغنى ولا في الحب ولا في
نقوة ولا في الصحة.

السعادة في استخدامنا للعقل لكل هذه الأشياء.

إن رؤية عقلك وهو عاطل.. وإحساسك بقلبك وهو عاطل..
وإدراكك لشخصيتك وقد عطلها جمالك وغيباء الذين عرفوك.. هو
سبب تعاستك.

لقد كنت تدركين طوال هذه السنوات أنك تعيشين بسطحك
نقط. بشكلك ومظهرك.

كنت كالفستق الذي نسيه الناس وأكلوا القرطاس لأنه ملون
وجميل.

كانت حقيقتك معطلة.. ومواهبك معطلة.. والسعادة هي أن
نعيش كل لحظة.. بكل ما فينا.

ولكني لا أجد ما يدعو إلى اليأس.. فمازلت في العشرين.. في
بداية الطريق.. وحياتك ما زالت حافلة بالفرص.. ألق بالسنارة
مرة أخرى وجربى من جديد.

وفرغت من دراستي الجامعية.. وتوظفت.. وزوجني والدي من
بت عمي.

ولا أستطيع أن أقول إنني أحب زوجي.. ولا أستطيع أن أقول
إنني أكرهها. ولكنني دائماً أبحث عن سبب للنكد.. انفجر مرة من
غيرة على سبب تافه.. وأصر مرة أخرى على مطالب بعينها
بجرد الإصرار ولمجرد التحكم.. وأتعلل مرة ثالثة بهفوة بسيطة
فأخاصمها وأعتزل وحدي في غرفتي حزينا تعيسا.. وأحيانا أبكي
وحدي في موجة هذه التعاسة الوهمية.

وأنا أعمل الآن محاسباً في السكة الحديد.. وأعيش نصف
يومي في الأرقام والحسابات والدفاتر.. وقد بدأت هذه الحياة
الخافتة تؤثر في أعصابي.. وبدأ الجفاف يتسرب من الدفاتر إلى
يأسي كلها.. وجفت عواطفني.. وتحولت الدنيا في نظري إلى
محاسبات وتبادل منافع، وماتت أحلامي القديمة.. وماتت أشعاري.
وأنا أتساءل أحياناً في ألم: أيمكن أن تنجني المهنة على صاحبها
بهذه الدرجة؟

لماذا أنا تعيس إلى هذا الحد.. ماذا أفعل؟!

تساؤلك في الحقيقة مضحك.. ومعناه أن الجزار يمكن أن ينظر
في الدنيا على أنها جزارة.. وينسى ويقطع ورك زوجته ويعمل منه

جناية المهنة

منذ صغري وأنا أحلم بأن أكون شيئاً مهماً في الدنيا.. مخترعاً
أو فناناً.. أو زعيماً.

وفي مراهقتي أحببت جازقي التي كنت أراها واقفة في النافذة.
وكنا نقف كلانا بالساعات في النافذة ننظر إلى بعض ولا نتكلم.
وأرسلت لها أكثر من مائة خطاب كلها شعر.. وكنت أبكي في
فراشي كل ليلة.

ورسيت ثلاث سنوات بسببها. ومع هذا لم يحدث بيننا شيء.. لم
نتكلم ولم نخرج إلى أي مكان.

وحيثما علمت بنياً خطوبتها وزواجها.. مرضت ولازمت
الفراش شهراً كاملاً.

وحيثما قمت من فراشي حاولت أن أغرق همومي في هواية
الموسيقى، ودخلت معهد الموسيقى الشرقية لأتعلم الكمان في
أوقات فراغي.. ولكنني توقفت في منتصف الطريق وأصابني الملل
من دراسة النوتة والسولفيج والمقامات.. واكتفيت بالتردد على
المعهد كمستمع ومتفرج.

كسليته ويقول.. أنا تعيس.. ماذا أفعل أتمكن أن تجني على مهنتي
إلى هذا الحد.

والمهنة في الواقع لا تحقق العاطفة وشعراء المهجر وهم أرق
الشعراء عاطفة كانوا كلهم تجاراً.

ومشكلتك الحقيقية ليست مهنتك ولا زوجتك.. ولا حبك..
مشكلتك هي أحلامك.

كان حلمك منذ البداية أن تكون شيئاً.. أن تكون مخترعاً أو
فناناً أو زعيماً.. ولم تستطع أن تحقق هذا الحلم فاكثفت بأن
تخترعه في خيالك.

قصة حبك كانت وهماً.. اخترعته أنت من طرف واحد..
واخترعت كل ما فيه من أحزان ونكبات.

وقصة الموسيقى بدأتها بحماس الفنان وأنهيتها بخيال المتفرج
الذي يكتفي بالوقوف في قاعة البروفات يحلم.

وكان لابد في النهاية من أن تخترع لك زعامة وهمية لتحقيق
بعض أحلامك فبدأت تفتعل الأزمات في بيتك لتثير الشغب..
ولتصدر الأوامر.. وتحكم.. وتتحكم.

في النهاية اخترعت عذراً تسند إليه كل فشل.. وهو مهنتك
الجافة التي سلبت عاطفتك.. وقتلت أشعارك العظيمة في مهدها.
قصتك تذكرني ببطل في إحدى مسرحيات أبسن كان يحلم

بأن يكون صياداً خطيراً يصيد السباع في الغابة، وانتهى في النهاية
إلى رجل سكير يربى البط في غرفة ثم يدخل ليصطاده بالبندقية.
والحل الوحيد هو أن تواجه حياتك وتفتح عينيك على
واقعك.

حكاية الكرامة

أنا طالب بكلية الآداب.. عمري تسعة عشر عامًا. تعرفت بفتاة جميلة جدًا وظريفة وصوتها أعذب من صوت ساديه من النظرة الأولى قلت لها.. أحبك.. وبقى وبينك تمت هذا لكى أبرد قبلاقي.. ولكنها صدمتني بقولها.. أنت كذاب وكلامك فاضى.. هو الحب كده لعبة فى بكك تقوله لكل واحدة.. وفى هذه اللحظة أحسست أنى مجرم وأنى أحتال لأوقع بفتاة بريئة فى شباكى.. وشعرت بفداحة ذنبى.. ومنذ تلك اللحظة بدأت أحبها بحق وحقيق.. ويكلى جوارحى.

ولا أنكر أنه كانت لى علاقات قبلها.. ولكن كلها علاقات على الماشى.. حب بالكلام فقط.. من أجل الوصول إلى لذات مؤقتة وأحيانًا كنت أمتنع من هذه العلاقات.. كانت إحدى جارائى تبعث لى بأشهى ما يحضره أبوها من فاكهة.. وأطيب ما تطهيه أمها من طعام.. وكنا نقضى معًا أوقاتًا سعيدة.. ثم أنسى كل شيء بمجرد أن أقارنها.

أما هذه الفتاة فقد أحببتها جدًا.. وانشغلت بها ليلى ونهارى

ورغبت لى أغانى الحب والهيام.. مكسوفة لشادية.. علشانك أنت أنكوى بالنار والقح جتنى.. ليلى مراد.. أول لقائنا كان هنا.. بأحلم بك.. أغانى الحب كلها.. ووعدتها بالجهد والمذاكرة حتى أنجح وتزوج.. وصرت أسهر حتى الثالثة صباحًا يوميًا للمذاكرة.. وفجأة انقطعت عن مقابلتى.. ومرت شهور وأنا على نار.. وأرسلت إليها زميلة فى الكلية ومعها خطاب منى..

وعادت الزميلة لتقول إنها ستزوج.. أبوها مصمم على أن يزوجه من يوزباشى.. وفى يومها حاولت الانتحار بابتلاع زجاجة أسبرين.. ولكنهم أنقذونى.. وزارتنى فى المستشفى.. وطبت خاطرى.. وقالت لى إنى أخطئ كثيرًا بهذه التصرفات.. ونصحتنى بأن أكون عاقلًا.. فكل ما بيننا لا يزيد عن صداقة.. وليس هناك داع لهذا الجنون.

وحينما خرجت من المستشفى تأكدت أنها تحب هذا يوزباشى.. وتقابله كل يوم.. وتريده زوجًا لها.. ولا دخل نوالدها فى المسألة.

وشعرت بأنى أنهار.. وأنحطم.. وأفقد ثقى بنفسى وأفقد كرامتى.. مزقت صورها لأستريح.. وأحرقى المنديل الذى أهده لى وعليه طبع شفتيها.. ولكنى لم أستطع نسيانها.

وفقدت مرحى وهجى.. وفقدت القدرة على المذاكرة.. وعلى النوم وصرت أسرح كثيرًا.

كانوا يسمونى مهرج الكلية.. ولكنى الآن أسير كأتى أسير في جنازة.

هذه الفتاة طعنتنى فى كرامتى.. وشخصيتى..

أفكر أحيانا فى أن أضربها علقه ساخنة.. وأضرب البيوزياشى معها وأرسل إلى والدها الخطابات التى أحفظها عندى بخطها.. ثم أعود فأجبن لأنى أحبها.

حالى النفسية قلقة.. وأخشى الرسوب هذا العام. أحيانا أشعر برعدة وقشعريرة وأنا فى فراشى.. من فرط الأرق والتعب.. والعذاب النفسى.

سيدى.. ماذا تسمى مثل تلك الفتاة.

الفتاة التى تعطى صورها لشاب وتغنى له أغاني الحب والهيام.. وتخرج معه.. ثم تجيء فى النهاية وتقول له.. هذه كانت صداقة.. وتتركه وتحب رجلا آخر وتتزوج.

وماذا تسمى أنت ما يقوله ولد وغد يغازل جارته ويقول لها أحبك ويأكل الفاكهة التى يشتريها أبوها.. ويلهف الأطعمة التى تطهوها أمها.. ثم يذهب بكل بجاجة إلى فتاة أخرى ليقول لها أحبك.. تزوجينى.

أنت ولد عبيط وقد أخذت حقك من الأدب على يد صاحبك.

وأنت عبيط لأنك تجعل كرامتك وثقتك بنفسك فى مستوى لعب البنات.. كلها خاصمتك البنت التى تحبها فقدت كرامتك.. وعزتك وقعدت تعيط.. وترتعش فى السرير.

وإذا كنت ناوى تفقد كرامتك مع كل أغنية من أغاني شادية.. يبقى مش حا تخلص.

كرامتك حا تستحمل إيه.. والا إيه يابنى.. على مهلك شوية.

تزوجت عنى النياية بعد مييت ليلة فى السجن..
لا يوجد أحد يطيقها.

أهلها تبرءوا منها ولم يحاول أحد منهم أن يزورها خوفاً من
نساتها، والموظفون الذين يعملون معها يتحاشونها لسفاهتها.
ومع هذا عشت معها وصبرت على قرفها، لأنها، وإنصافاً
للحقيقة، برغم كل عيوبها.. امرأة شريفة.. ليست من ذلك
شروع الخليع المتبرج من نساء هذه الأيام.. ليست هى الزوجة التى
يعيش معها الزوج وعيناه فى وسط رأسه.

كنت دائماً وبرغم سرائتها.. أتعيش فى نعمة الاطمئنان على
أن عرضى مصون.. لأولن يطوله أحد.

لم يوجد الرجل الذى استطاع أن ينظر إليها نظرة.. كده.. أو
كده.

وأنت تعلم ماذا تعنى هذه الراحة بالنسبة للزوج، وخصوصاً فى
هذه الأيام التى يعلم فيها ربنا.. هذه الأيام التى تخرج فيها
الزوجات إلى الخياطة والكوافير وطبيب الأسنان.. والاسم
مشاورير.. وهائك يادواره ومسخرة فى شقق الرجال العزاب..
والزوج الغليان قاعد فى البيت بقرنين.. نهايته.. كان من الطبيعى
أن أحتملها بكل قرفها.. وطبعها الحاد المشاكس وقذارتها فى
سبيل راحة بالي.

حتى جاء يوم ومرضت مرضاً خطيراً.

الغولة

تزوجت فى سن مبكرة حينما بدأت أقنعم ميدان العمل.. كان
هدفى الاستقامة والاستقرار.

وتزوجت موظفة.. وفى بحر أسبوع دخلنا.. ولم تكن عندى
فكرة عنها.

ومنذ هذا اليوم وأنا أنعس إنسان فى الدنيا.. انهارت آمالى لم
أكن أتصور أن أتزوج امرأة بهذه الصفات.. امرأة لا هم لها
إلا المشاجرة والسباب بألفاظ فاضحة.. إذا لم تتشاجر معى
تشاجرت مع أولادها أو الخدم أو السكان أو أمها أو إختها.
البيت الذى أنشئه بأفخر الرياش حولته إلى أسطبل يتام فيه
الذباب.

عشت معها أكثر من عشر سنوات كانت حياتى معها عبارة
عن سباب بألفاظ تجرح العفة.. ومشاجرات ومحاضر فى أقسام.
وتحقيقات فى النيابات.. وقضايا فى المحاكم.

حاولت إدخالى السجن بعد ستة من زواجى منها.. ذهبت إلى
البوليس وادعت أنى سلبتها مجوهراتها.. وحررت محضراً بهذا.. ثم

ونسيت كل ما سببته لى من آلام.. وفعلت المستحيل من أجل
إنقاذها لتعيش لأولادها.

ولم أبخل عليها بالمال ولا بالوقت ولا بالراحة ولا بالرعاية
كنت أجوب القاهرة باحثاً عن الأدوية التى تلزمها.. وكنت
أحياناً أسافر لأبحث لها عن دواء نادر.. حتى شفيت.

ولكن طبعها ازداد حدة وعصية.. وأصبحت تشور لأنف
الأسباب وتطلب منى أن أطلقها.. فأطيب خاطرها وينتهى كل
شئ.. ثم تعود الثورة لسبب نافه آخر.

وأخر مرة عدت إلى البيت متأخراً بالليل، فوجدت الباب
مغلقاً من الداخل.. ورفضت أن تفتح لى.. وألقت على موشحاً من
النافذة..

وأنا الآن أفكر فى الطلاق.. ولكنى فى نفس الوقت أسهر
بالحيرة واليأس.

كيف أعيش وحدى بعد الطلاق.. ماذا أفعل.. هل أتزوج مرة
ثانية.. وكيف أضع عرضى وسمعتى بين يدى واحدة من بنات
الشارع اللاتى يسرن كالبلياتشو مدهونات بوية.. بنات اليوم
اياهن.. وأبقى بالاسم زوج.. وأنا رايع جاى بقرنين.. على راسى
أنا حائر.. دببنى.

إن زوجتك عندها من العيوب ما يكفى لتطليق عشر زوجات
من أزواجهن.

ولكن المشكلة الحقيقية هى مشكلتك أنت.

أنت تشك فى البشرية كلها.. وتسيء الظن بدرجة يستحيل
معها أن تطمنن إلا إذا تزوجت غولة.

وهذا هو الذى حدث بالضبط.. لقد تزوجت غولة.. وكانت
نراستها برداً وسلاماً على قلبك.. كانت بركات وحسنات
بائنسية لك.. ومسكنات ومهدئات لداء الشك الذى يأكل عقلك.
وأنت تخطئ جداً حينما تنصور أن الخيانة الزوجية شائعة بهذه
الدرجة.

تخلص من عقدتك وتزوج.. وسيبك من حكاية القرون دى.
أما إذا لم تستطع الخلاص من مشكلتك.. فلا يوجد حل..
استمر فى معاشرة الغولة.. أو تزوج غولة أخرى.

ميلاد صناعي

أنا في الأربعين.. أعمل بالصحافة المصرية.. متزوج وعندي عشرة أولاد.. أحب زوجتي وأتفاني في تربية أولادي.. مستقيم.. هوايتي الوحيدة في دنياي هي إنجاب الأطفال.

تزوجت قبل زوجتي الحالية بفتاة ولم يعمر زواجنا أكثر من عام لعدم الوفاق بيني وبين عائلتها.. فطلقتها.

وتزوجت هي من بعدى برجل آخر وأنجبت منه تسعة أطفال في خلال ١٤ عامًا.. كنت سبقتها أنا بالأطفال من زوجتي الحالية.. والتقينا بعد هذه الأعوام الطويلة.

جمعنا الظروف صدفة منذ عامين في مكان.. فأخذنا نتحدث ونحكى.. روت لي ما حدث لها.. ورويت لها ما حدث لي.. وتذكرنا أيام زمان حينما كنا زوجين.. وكيف كنا نختلف لأنفسه الأسباب ونتعارك.. وضحكت ونظرت إلي في طيبة وحنان.. وقالت لي:

- هل تعرف يا فلان.. أني كنت أحبك.. كنت أحبك جدًا.. ولكنني عبيطة.. ولم أعرف كيف أحفظ بك.

واعترفت لها بدوري.. كيف كنت أحبها.. ولكن كيرياتي كرجل أفسد على هذا الحبيب.. وحول حياتي إلى مشاغبات معها ومع عائلتها.. انتهت بالطلاق.

وحكيت لها كيف بكيت بعد الطلاق.

وتحدثت عيناها بالدموع وأنا أحكي لها قصتي.

وعشنا مع بعض ساعة جميلة من الزمن.. وثواعتنا على أن نبقى مرة أخرى.

والتقينا مرة ثانية وثالثة.. ونشأت بيننا صداقة عميقة ما لبثت أن تسلت إلى قلوبنا وانقلب حبا جارفا.

وتبغضت عواطفى وكأني لم أر النساء طول عمري.

وكنا كلانا ندرك العواقب فحرصنا على ألا يشعر بنا أحد.. لي قريبة زوجها يعمل بإحدى الدول العربية.. أخبرتها بكل شيء.. فقالت لي إن شقي تحت أمرك في أي وقت.. وفعلا التقيت به.. وذهبتا إلى قريتي فرحبت بنا وأعطينا الحرية التامة.

وأصبح ترددا على هذه القرية شيئا عاديا.. وبمواعيد منتظمة ترسمها معا ويحرص شديد.

زادت مقابلاتنا.. وبرغم كثرة هذه المقابلات.. فإني أقسم لك أننا لم نفعل شيئا.

كنا نقضي الوقت في الحديث.. ونتعاق.. وتبادل القبل.. ولا شيء أكثر من هذا.

ومع هذا فقد بدأت أحس بعذاب ضميري.. أشعر أنها تسرق
هذا الوقت الذي نقضيه في الحب من أولادها ومن بيتها.
قررت أن أضغط على نفسي وأبتعد عنها.. وكتبت لها أقول:
إننا غافلان نخوض في حب يملكه غيرنا.. حب مسروق.. حب
بلا هدف.. وبلا نهاية.. عودي إلى زوجك.. وليجمع الله بينكما في
الخير.. وتذكريني.. فهذا يكفيني.. وسوف أذكرك طول عمري.
وبرغم بعدى عنها.. فأنا أعيش في عذاب.. وأتخيلها معي في
كل لحظة.. وأفكر في مواصلة ما كنا عليه.. ثم أعود فأتردد.
والله وحده يعلم ما يكنه قلبي من الحب.
قل لي بربك ماذا أفعل؟

هذا حب غريب في نشأته وظروفه.
وأعتقد أنكما صنعتما هذا الحب صناعة.

لقاؤكما بعد ١٤ عامًا بعد أن أصبح كل منكما ربًا لعشرة عمال
يجر جر وراءه حياة مملّة متعبة ليست فيها شاعرية ولا أحلام..
هذا اللقاء وهذه الحياة الجافة المملّة هي التي دفعتكما إلى صناعة
لعبة تلهوان بها.. لعبة اسمها الحب.. تتعشان بها ما بقي من
أيامكما.

ميلاد هذا الحب ميلاد صناعي.. وليس ميلادًا طبيعيًا.
وقد دخلتما فيه كما تدخلان سينا.
وأعتقد أنه قد جاء الوقت لتفريقا أنتم الاثنان من هذا الوهم
الذي تعيشان فيه وتعودا إلى الواقع.

ملاك أزرق

أنا شاب خجول.. وربما يكون هذا عيباً كبيراً.. ولكن لا أستطيع أن أتلافاه.. فقد تطبعت به ما يقرب من عشرين عاماً عشتها في كنف أسرة أحاطت نفسها بسياج من التقاليد القديمة وجعلتها دستوراً لها.

أعمل في إحدى الشركات بالإسكندرية.. وهى زميلة لى بالعمل توطدت بيننا صلة الزمالة إلى أن تدرجت من ناحيتى إلى حب جارف ملا كل قلبى.

وحاولت أن أصارحها بحبى.. ولكنى كنت أعجز عن النطق عندما أرى عينيها أو أسمع صوتها.. فكتمت حبى فى قلبى وانتظرت الفرصة المناسبة.

وكان معى فى العمل زميل آخر، رجل فى الثلاثين متزوج، له ولدان، وزوجته تعمل معنا فى الشركة.. وتوطدت صلتى بها وخصوصاً لأنى سكنت بجوارهما.. وأصبحت لا أفارقهما من الصباح إلى المساء.

وخطر لى أن أشرح لصديقى ما أنا فيه ربما يكون عنده حل

وأفهمته شعورى وطلبت منه المساعدة.. فوعدنى أن يساعدى بشرط ألا أستغل حبه لأتلى بالبنت.. وبشرط أن أتزوجها.. فأقسمت له أنى لا أهدف من هذه العلاقة سوى الزواج.. وأنى لست بالرجل الذى يلهو بعواطف البنات اليرينات.

وبالفعل ساعدنى.. فخرجنا معاً لأول مرة أنا وهو وزوجته وفتاتى.. ذهبنا إلى السينما وإلى منزله مرات كثيرة.. وفتحت زوجته قلبها لفتاتى واعتبرتها أختاً.. لدرجة أنها كانت تنام فى بعض الأحيان بجوارها وإلى جانبها زوجها على نفس السرير.. وكثيراً ما تركتها وذهبت لإسكات الطفل.

كانت إنسانة ذات قلب طيب رقيق.. وكانت تثق فى زوجها ثقة عمياء.. فقد تزوجت به عن حب صادق متبادل بين الطرفين.. وتعددت مقابلاتنا.. وكنا فى كل مرة نقرب من بعض أكثر، وكنت دائماً مع صاحبتى فى منتهى الأدب بالرغم من محاولتها إنارنى لأقبلها أكثر من مرة.. ولكنى كنت أجبن فى اللحظة التى تقرب سفتيها منى.. وكنت أخشى أن أدنس حبى.

وكان دائماً يدهشنى منها أنها كثيرة الهزار مع صديقى.. حتى أمام زوجته.. هزار مشين فى نظرى.. وليس صديقى وحده.. وإنما كل الزملاء فى المكتب بدرجة جعلتني أنقر منها.. وأعاتبها.. وأنصحها.. وبدون فائدة.

وتصورت أنها كانت تقصد من هذا إثارة غيبتى.. وأن هذا

الهزار هو الأسلوب الأسبور للحياة.

وفي يوم شاءت الظروف أن نتأخر أنا وهي وصديقي وزوجته في الشركة بسبب كثرة العمل.. يومها تحدثت معها حديثاً حلواً.. وصارحتها بحبي وكانت لحظات من أجل لحظات حياتي.

ثم حدث أن خرج صاحبي.. وغاب بعض الوقت وطلبها.. فذهبت إلى مكتبه وغابت.. فذهبت حاملاً بعض الأوراق.. وفتحت باب المكتب لأفاجأ برويتها بين ذراعيه في قبلة طويلة.. وكانت صدمة عنيفة أفقدتني رسدى فجريت إلى مكنتي وارتقيت عليه وأخذت أبكي.

ودخل صديقي.. وحاول أن يعتذر.. ثم جاءت هي بوجه زالت منه كل معاني الخجل.. جاءت وكأن شيئاً لم يحدث.. ولكن طردتها بقسوة.

كان من الواضح أنهما كانا يتخذاني ستاراً لإخفاء علاقتهما الفاضحة عن أعين الزوجة.. وأنى كنت مغفلاً طول الوقت.. وكرهت نفسي.. وكرهت حياتي.

ومرت أيام دقت فيها أقسى ألوان العذاب.. وفكرت في تقديم استقالتي من الشركة لأبعد عن هذا الجو الفاضح.. ولكني فقدت القدرة على اتخاذ أى قرار.. لقد ذهبت ضحيتها.. أنقذني.

أنت لم تذهب ضحيتها.. لقد ذهبت ضحية خيالك وأفكارك.

أنت المذنب من البداية.

إن صاحبك لم يحاول أن تبدو في أى وقت على غير حقيقتها.. لم يحاول أن يخدعك.

لقد أظهرتك على حقيقتها على الدوام.. فهي على الدوام في حالة هزار مشين مع كل موظفي المكتب.. وهي تنام مع صاحبك وزوجته على فراش واحد.. وهي تحاول أن تجرك إلى تقيلها، وأنت تخشى أن تدنس حيك.. يا سلام.

وأنت في حالة خيال مستمر.. أنت مصر على أن تلبسها دوراً غير دورها.. أنت مصر على أن تعاملها كملاك.. وتحبها كملاك.. ملاك إيه بابتي.. دى ملاك أزرق.

والآخر تقول لى صدمة.. صدمة إيه؟.. فبن الصدمة دى، ده نهاية طبيعية جداً وظاهرة منطقية ومتوقعة.. واضح أن المكتب كله يبيوسها.. مش صاحبك بس.

فبن الصدمة هنا.

أنت أصلك مخبوط في عقلك.

أنت المذنب.. لقد كنت طول الوقت تضطهدها وتطالبها بصفات ليست فيها.. إنها مخطئة في حق نفسها صحيح ولكنها بريئة من دمك.. امسح دموعك.. وقوم روح شغلك.. وتانى مرة ما تحاولش تفرض خيالك على الناس.

البكاء لن ينفع

في ١٩ يونيو ١٩٥٨ كنت قد انتهيت من امتحاني في جامعة
وكنيت أشحن عفشى في عربة العفش النقليتى لكل طالب
سرير ومكتب وكرسى ودولاب صغير.. وفي جيبى مفتاح آخر
لى أحد أصدقائى لأقيم بشقته طيلة العطلة الصيفية.
ودخلت البيت ليلا حتى لا يراى الجيران مع عفشى لغيرى
وكان من عادى أن أقوم بكل لوازمى البيت بالليل.. أغير
وأكتس وأمسح وأنظف الأطباق بالليل.. وفى النهار أقوم بالطبخ
وفى إحدى الليالى، كنت راجعا حوالى الثانية عشرة، سمعت
صوت بكاء ونسجج فى الشقة بجوارنا.. ثم فتح الباب وخرجت
منه سيدة.. تجاوزت الثلاثين من عمرها، مثلثة الجسم قليلا طوب
بيضاء متوسطة الجمال مسيرة الأنوثة (عرفت بعد ذلك أنها مظلّة
منذ أكثر من ثلاث سنوات).. ونظرت إلى فى استنجاد وانفجرت
تبيكى.. فقلت لها فى خجل وخوف.. مالك.. فقالت والدنى خرجت
من الصبح وماجتش لدلوقت.. وهى واحدة ست كبيرة.. وخاها
يكون جرى لها حاجة. فاقترحت عليها أن تتصل بأقاربها
تكون هناك

فأعجبهم فكرة البيت استعدادى لمصاحبتها.. ورحنا نلف
بـ بيت لأقرب واحدًا بعد آخر حتى وجدناها بخير.. ورجعنا
الى سحر فى سيارة أجرة.

وفى اليوم التالى جاءت أمها وبقية العائلة تشكرنى. فتعرفت
عليهم وبذلك انتهى فى طهارة وحسن نية. ولم أشعر أكثر من
أنهم جيرون طبيون.

وبعد شهرين ذهبت فى رحلة إلى معسكر صيفى فى
إسكندرية وشت عشرين يوما.. ثم رجعت فقابلتني السيدة فى
حارة ودخلت الخلقى فى الشقة وهى تسألنى عن الرحلة وعن
إسكندرية فى تليف وخجل.. وفى عينيها بريق غريب وهى
تريعد. وانتهى المشهد بأن خطفت منى قبلة وجرت بعدها إلى
خاتها.

وتعاقبت الأيام والشهور وتطورت القبلة الحاطقة إلى قبلة
ثوية.. إلى عتاق أطول ثم إلى المصير المحتوم الذى تودى
به خلوة امرأة وشاب فى العشرين رياضى ومكتمل الجسم.
ونكررت المسرحية مدة أكثر من سنة وعرف الجيران وعرف
فلم بعلاقتنا.

استمرت فى العطلة الصيفية لعام ٥٨ - ٥٩ وكنيت ألتقى منها
سنة ملتوية أود عليها برفق وتعقل.

كنت من البلد لتقابلنى بحب أكثر ولطفة أكثر ولتحكى لى

ما حدث مع أهلها.. وكيف أنهم عرضوا عليها الزواج من زوج غنى.. وكيف رفضت وأصررت على الرفض.. وبكت واستمرت وتشاجرت مع أهلها وهجرتهم وهجروها.. وعرضت على زوج فكانت مفاجأة بالنسبة لى.. ارتبكت.. ثم رفضت بحجة فقير.. وبأنى مازلت طالباً لم أكمل تعليمى.. وصغير السن.. ثم منها بعشر سنوات.. فقالت وماله.. عندى ثروة تكفى وتكفى وسأضع كل مالى بين يديك.. وأساعدك فى تعليمك.. وأخدمك فى من خدمة.. وقلت لها.. إن هناك أهلى.. وهم لا يوافقون على زواجى.. فقالت لا يهم أى شيء ما دمت أحبك ونحبنى.. ولكن رفضت بشدة.. وانتهى الموضوع ليشجده بعد ذلك كل يوم بكاء وصراخ.. وقبلات على يدي ورجلي والأرض التى أمر عليها.. أحبك.. أعبدك ما أقدرش أعيش من غيرك.

وفى إحدى الليالى طرق الباب بعنف وفتحت لأراها امرأة متورمة العينين من البكاء.. وارتمت على صدرى تصرخ وتوم بأن أهلها جلبوا لها عريساً آخر وهم يضغطون عليها لتزوج.. وهى لا تريد لأنها لا تحبه ولأنه أكبر منها بعشر سنوات.. وكنت رقيقاً معها هذه المرة ولم أشأ أن أقول لها إنها هى الأخرى منى بعشر سنوات.

وراحت تقبلنى وتقول لى أنقذنى.. تزوجنى ولو ليوم واحد لأسكت أهلى وأرهم العقد فيبعدوا عنى.. فوافقنا لا مرة

تبع رفا طيبة منى.. ذهبنا إلى محام تعرفه.. وكتبنا العقد.. وكان عقداً عرفياً نظراً لاختلاف دياناتنا فهى مسيحية وأنا مسلم.. ورجعنا إلى البيت.. واستمرت علاقاتنا كما هى.. تلتقى بالليل فقط.. وأنا فى غنى وهى فى فقرها.

وبكت مخافتاً على مبدنى فلم أحاول أن أستغل حبها وكرمها وسدد.. حتى السينا كنت أرفض أن تدفعها.. وأتظاهر بالمرض حين نغد نقودى.. وكانت تغار على من خادماتها التى لم تتجاوز عشرة.

ونجوم وقد أكملت تعليمى وأخذت الشهادة وأصبحت أطلع مستقبل ولبناء حياى.. حاولت أن أفتحها فى الموضوع لإنهائه ولكنى نسيت وبكت واستنكت.

وفى عندها خطابات وصور.. والعقد العرفى إياه.. وهى متشبثة بالأوراق كما أنها متشبثة بحبى وتهددنى بأنها ستنتحر منكب لى سبب انتحارها إذا طلقته.

ولأنى لا أريد أن أكون مجرمًا.. ولا أريد أن أكون بقايا حيوان.. لا أريد أن أثقل ضميرى بأعباء لا يطيقها.

ولا أريد أن أكون فى نفس الوقت رجلاً عبيطاً تضحك عليه من كل مكان.. ولهذا أشركك فى مشكلتى وأطلب رأيك.

إنك لم تترك لي رأياً في الواقع.. فإن سياق خطابك يسر
حقيقة واحدة باستمرار.. أنك لم تحبها في أي يوم من الأيام
التي اقتحمت شفتك وخطفت منك قبلة.. وهي التي كتبت
رسائل ملتهبة.. وهي التي عرضت عليك الزواج وهي التي عبر
قدميك لتحصل على عقد زواج ولو لمدة يوم.. هي.. هي.. هي..
وأنت ساكت تعطيها فمك لتقبله.. وترد على خطاباتها برود
وتعقد عليها عرفياً من باب الشفقة.

واضح جداً أنك قد كونت رأيك من البداية.. ولست في شك
رأى فأنت قد اعتبرتها سد خاتمة.. مدة التلمذة.. وخلاصة
والزواج يا عزيزي ليس بالعافية.. والحب لا يمكن
بالإشفاق والتهديد بالانتحار.

أظن أنها ستدفع ثمن عروضها الرخيصة.. ولن يحسب
انتحار.. أو صراخ.. أو بكاء.. فأنت قد كونت رأيك من راس

البحث عن مقياس

أنا فتاة في العشرين.. أشتغل عاملة في شركة.. لي أسلوب في
حياتي اخترته واقتنعت به ومشيت عليه طول حياتي.. هو أن التزم
في علاقاتي مع زملائي الأدب والاحترام فأكون صديقة لكل دون
أن أكون حبيبة لأحد.. وأحتفظ بعواطفى لنفسى ولا أبذلها
وأعرضها للهوان أمام اللى يسوى واللى ما يسواش.
كانت نظرتى ألا أفتح قلبى إلا للرجل الذى يتزوجنى..
وأبعد عن اللف والجري.

وكان رأى في غراميات البنات زميلاى.. أنها ليست غراميات
في الحقيقة.. وإنما هي مرمطة.

وكان أسلوبى هذا يلقي السخرية من الجميع.. البنات
والرجال على السواء.. البنات يقلن عنى شيخنة.. والرجال
يقولون عنى رجعية.. ريفية.. طالعة فيها.. أليطة.. وعلى إيه ده
كده.

ولكنهم مع هذا كانوا يحترمونى ويحسبون لي ألف حساب
وكان أخى يوافقنى على رأيى.. ويعيش في حياته الخاصة

كما أعيش أنا في حياتي.. وكان هذا يعطيني القوة لأمشي في
طريقي.

ثم حدث شيء..

أحب أخى جارتنا.. وهى فتاة معروفة بسوء السمعة.. ومن
نفسه يعلم بسوء سمعتها وسوء أخلاقها.. وكان يحكى لى أنه رأى
تمشى مع فلان على أنه خطيبها.. ثم تستبدل به فى اليوم التالى
رجلا آخر تقول أيضا إنه خطيبها.

ثم يحكى لى أنه رآها تهرب عتيقها من النافذة لأن أخفان
جرس الباب.. ويقول إنها فتاة سيئة الخلق.. وإن أخفى
حائكون زى الزفت.

وهذه الفتاة هى التى أحبها.. وندله فى حبها.. ثم فعل ما
أدهى وأمر.. تقدم للزواج منها.

وحينما صرخت فى وجهه وقلت له كيف تتزوج فتاة أنت
نفسك تعلم أنها سيئة الخلق ومشيت مع عشرة غيرك.. أجابنى
برود، إنه قد اكتشف أن البنت التى لها ماض أفضل بكثير
التى لها مستقبل.. وإنها أحسن من البنت التى ليست لها تجارب
وانهارت مثالياتى كلها دفعة واحدة.

ماذا جرى لعقولكم يا رجال.. كيف تهون عندكم العفة
هذه الدرجة.. وماذا نفعل حينما نسمع هذا الكلام.
حينما نرى أن الابتذال هو الطريق الذى يوصل إلى الزواج

والأخراء والعفة والأدب والأخلاق هى الطريق المسدود الذى
يوصل إلى شىء..

حاجة تحير.

هل كل الرجال يقولون هذا الكلام.

ماذا نفعل لتريح ونستريح.. قولوا لنا لنعرف برنا من بحرنا.

مشكلة هذا الجيل أن كل واحد فيه يفكر على طريقته..
القياس الواحد العام المثق عليه ذاب وتفتت إلى عدة
معايير.

هناك الرجل الذى يبحث عن بنت زمان ست البيت التى
لا تخرج فى الشارع ولا تعرى صدرها.. ومقياس الصلاحية عنده
أن تكون البنت خام. وهناك الرجل الذى تعجبه البنت التى
تحمل شهادة وتخرج وتعمل.

وهناك الرجل الذى تعجبه البنت الدائرة. ولا يهمه إن كانت
خسرانه أو من خسارته.

والخطر كل الخطر أن ينظر كل واحد إلى الآخر ويقلده فى
دفعه. أن تنظري أنت إلى أخيك ويسقط فى يدك من الحيرة..
وتسكى فى نفسك وفى سلوكك.. وتنظري إلى البنت الخسرانة..
وتدعوى أن تقلديها فى خسارتها لتتزوجى.. وأنت غير مقتنعة

بأسلوبها.. وأنت تحتقرينها في نفسك.. وتكون النتيجة هي التضرر
المؤكد في الزواج.. وفي الخبز.. على السواء لأنك عتت في من
غير لوتك.

لا تقولى ماذا يريدك الرجال منا نحن النساء.. وإنما فور
لنفسك.. ماذا أريد أنا.

إن الرجال ألف لون ولون.. كل رجل له طلب.. وله حد
وله نموذج يحلم به غير النموذج الذى يحلم به الرجل الآخر
الجميل مفكك ليست له راية مذهبية واحدة.

وإذا حاولت إرضاء كل الرجال، فسوف تعيشين كالحرية
كل يوم بلون وتخسرين نفسك دون أن تكسبى رجلاً واحداً
حاولى أن تبحنى في نفسك أنت عما تريد.

أنت مقتنعة بالعفة والأدب.. عيشى عفيفة مؤدبة وسعدي
رجلك الذى يتفانى في حبك.. ويجد فيك أنت نموذج الذى يحد
به.

حذار أن تنظري حولك إلى ما تفعل البنات.. وإلى ما يفعله
الرجال.. وإلا فسيكون سقوطك مضاعفاً.. سقوط في نظر
الناس.. وسقوط في نظر نفسك.. وهذه هي الكارثة.

إن أخاك واحد من الرجال.. والرجال ليسوا كلهم كأك
أيذا.. فالدنيا ما زالت بخير والحمد لله.

العقل

إن فتاة من البرقية من عائلة طيبة.. تعليمى متوسط.. بدأت
حتى في سن السادسة عشرة.. شاءت الظروف أن أشتغل ممرضة
بعض المستشفيات وكنت في تلك السن زهرة يانعة جميلة أتدفق
بفرح والحياة والنشاط.

وأقبلت على عمل برغم ما لاحظت من احتقار الناس لهذا
عمل النبيل.. والغريب أن الناس يأخذون منا صحتنا وشبابنا
ويخلون علينا حتى بالتقدير والتشجيع الأدبى في مقابل عمرنا
لدى نبذله مجاناً للمرضى.

وكان لهذا النكران والهوان والاحتقار الذى أحس به في كل
مكان أثره في نفسى.. فبدأت أفقد ثقى بالمثل العليا والأخلاق..
وبدأت أقول لنفسى.. إذا كان هذا رأى الناس في الممرضة.. أنها
فئة خليعة تنسى على كيفها، فلماذا أعذب نفسى بالحرمان وأضيع
عمرى خلف تقدير لن أحصل عليه.. ولماذا أجرى خلف
شرفى.. والشرف يتبرأ منى.

وبدأت أسهر.. وأتمتع بكل لحظة في حياى.. حتى أفقت في يوم

وقد وصلت إلى السابعة والعشرين من عمري.. ولم أعر بعد على حب عظيم أعر به.. أو رجل تبيل أطمئن إليه.
كل الرجال الذين عرفتهم كانوا غشاشين.. يبدون الحذر ليحصلوا على المتعة بأي ثمن.. ثم لا شيء بعد هذا.. كل حناهم يتبخر.

غش.. وسفالة.. وانحلال.. وكذب.. في كل مكان.. وكل رجل ورجعت بذاكرتي إلى الوراء.. وندمت حيث لا ينفع الندم.
ندمت على كل خطوة خرجتها مع رجل.. وكل لحظة ابتذلت فيها نفسي من أجل لذة أية لذة.. ورجل أي رجل.
ولكن المشكلة الآن أن الإنسان بيكبر.. وفرص الزواج تقل يوماً بعد يوم.

وأنا تعودت أن يكون معي رجل.. وأشعر أنني عاجزة أن أرجع كما كنت زمان.. واستغنى عن هذه الحكاية.
وكلما فكرت في المستقبل اسودت الدنيا في وجهي.. ورجحت أبكى وأمزق شعري في حرقه ومرارة.

إن السحر الذي يستعبد الرجل ويخلب له.. ويجعله يطلع يجرى على المأذون ليتزوج.. هو عقل المرأة.. عقلها أولاً.. وعقلها ثانياً.. وعقلها ثالثاً.. وبعد ذلك جمالها وفلوسها وحيثها.. إلخ.

وهذا طبيعي لأن العقل هو أهم شيء في الزواج.. وأهم ضمان في نجاح الزواج.. لأن الإخلاص عقل.. والوفاء عقل.. والقيام بتسوية البيت عقل.. وتربية الأطفال عقل.. وتدبير ميزانية البيت عقل.. ورعاية الرجل في مرضه وفي فشله وفي إفلاسه.. عقل.. وكفالة المظهر المحترم أمام الناس عقل.

عملية الزواج كلها عقل في عقل.

والزواج الناجح يحتاج من المرأة إلى التعقل.. لأنه يحتم عليها أن تتنازل عن الكثير من هوس الشباب وطيشه ولذاته.. وتتنازل عن بعض نفسها لتتقاسم الحياة مع رجلها الذي تنازل أيضاً عن طيشه وعينه الفارشة الزائقة.. ليعيش.

ومهما كانت المرأة جميلة وجذابة وفاتنة.. فهذا لا يكفي ليغري نرجل بالزواج منها إلا إذا كان مغفلاً.

وأنا أذهب إلى أبعد من هذا.

أنا أبخل حتى بالهلس مع الفتاة السايبة التي تنتقل في طيش وترخص من رجل إلى رجل.. مهما كانت جميلة وساحرة.. لأنني أشعر أنني أدنق عسحتي في بالوعة يدلق فيها الكل إفرازاتهم.. وإني أفوز بشيء لا قيمة له إطلاقاً.

والمرأة حتى ولو كانت.. صيدة.. لا تفوز باهتمام الرجل.. لا إذا شعر بقيمتها وغلوها.

ونصيحتي لك.. أن تبذلي كل عقلك ودكائك.. وإذا استطعت
أن تقنعي رجلا واحداً بأنك إنسانة ذكية وعاقلة وأنتك يمكن أن
تكوني محل ثقة.. فإنك ستتزوجين قبل مضي هذا العام.
تنبأتني الطيبة.. ولا تنسيني بعلة الملبس.

الناس والظروف

بدأت حياتي في سن الرابعة عشرة حينما بدأت أحس أني
رجل مسئول وأن علي أن أساهم في الكفاح من أجل بلدي..
وبومها انضمت إلى أحد الأحزاب السياسية وبدأت أشتغل
بالسياسة وأخطب وأهتف وأنظم المظاهرات في المدرسة الثانوية
لتي أتعلم بها.. وكنت حينذاك طالبة في السنة الثالثة.

وكما يحدث دائماً في مثل هذه الأمور.. كانت النتيجة هي
الفرور.. والإحساس بالعظمة والأهمية.

وبدأت أعامل نفسي على أني رجل مهم.. وأنظر إلى نفسي
على أني زعيم.. وصاحب رسالة.. ولا يهم أن أرسب في الجغرافيا
أو الكيمياء.. فالزعماء ليسوا في حاجة إلى كيمياء.

ورسبت أكثر من سنة في دراستي الثانوية.. وقضيت سنوات
الدراسة دوول.

وكان يحدث أثناء موجات الاعتقال.. أن أتوقف عن نشاطي
سياسي.. وأبدأ في شغل فراغي بالاستغراق في شرب الخمر
والعلاقات النسائية.. وكلهن نسوة محترفات بالطبع.. وكانت

المسألة تبدوا لي جزءاً من الزعامة والباشوية التي أسعى للحصر عليها.. فهكذا يفعل الباشوات أيضاً.. يشربون ويسكرون ويعربدون مع النساء في أوقات الفراغ من الزعامة.

ودخلت كلية الحقوق.. وتخرجت محامياً.. وفتحت مكتباً في القاهرة تعبت فيه كثيراً.. لم أكسب ملياً.. وفكرت في العودة إلى بلدي لأمارس مهنتي.

وكان حظي في البلد أحسن من حظي في القاهرة بكثير.. ونجحت وكثرت الفلوس في يدي.. وانتهالت القضايا على المكتب وكنت في هذا الوقت قد بلغت الخامسة والثلاثين.. وكان المكتب على كثرة شغله يترك لي نصف يوم فراغاً لا أعرف كيف أملؤه.

وكنا نجتمع أنا وطبيب المركز ووكيل النيابة والعمدة للمقامرة أو نسكرو.. أو نذهب إلى بيت منبوه حيث نجد كفاية من النسوة المحترفات.. وحيث نقضى ليالينا حمراء حتى الصباح وكنت قد نسيت أحلام الزعامة.. والباشوية.. والسياسة العليا.. واكتفيت بلذات هذا الواقع الرخيص.. أغرق فيه ثم وجدت لحظة فراغ.. ولكنني في نفس الوقت كنت قد كبرت على هذه اللذات.. وأصبحت لا أشعر بسعادة في هذا اللون المرائي من الاستهتار.. كنت في الحقيقة قد كبرت على عاداتي القديمة وفي أغلب الحالات التي كنت أصطحب فيها هؤلاء الناس

محترفات كنت أجزل لمن العطاء آخر الليل دون أن أفكر في أن نل منهن شيئاً.

كنت أشعر أنني نساء بائسات.. وإني أنا أيضاً رجل بائس منهن.

وفي هذه المرحلة الحرجة من حياتي.. قابلتها لأول مرة.. في بيت من هذه البيوت المنبوذة.. وكانت حاملاً في شهرها الثالث.. فتاة في العشرين ذهبية الشعر.. جميلة.. جمالها هادئ طيب يرى حزين.. لا نكلم إلا قليلاً وتعيش في وسطها الرديء.. وكأنها لا تنتمي إليه.

وقضيت معها ليلتي.. وتعدد لقاءنا.. مرة.. ومرات.. وعرفت أنها تعمل أماً مريضة ملوثة.. وأخوات صغيرات في المدارس.. وأنها العائل الوحيد لهذه الأسرة بعد وفاة الأب مصدوراً.. وعرفت على أمها وأخواتها.

وحدث في هذه الأثناء أن جرححت في حادث تصادم واحتججت في عملية نقل دم.. ومنزل هذه العملية في قرينتنا تحتاج إلى يومين.. فتقريباً تنقل بالمركز والمركز يتصل بمستشفى البندر ويطلب عربة إسعاف تحمل الدم حتى لا يتلف.. وإلى أن يحضر الدم يكون جريح في العادة قد شبع موتاً.

والتي حدث في تلك الليلة أني فتحت عيني فوجدتها جالسة في جوارتي.. وعرفت أنها تبرعت ب لتر من دمها.. من أجل..

وهكذا توطدت علاقتنا.. وبدأت تكشف لي الأيام عن روحها
الطيبة الشفافة.. ونفسها التواقة إلى حياة العفة.. وكانت تقول لي
دائمًا إنني أشعر أني بحبك أنجو من الهوان.. إن حبك هو عذري
الوحيد الذي أتعلل به لأحترم نفسي.. أنا بدونك إنسانة مينة
إنسانة ساقطة تمامًا.

وهكذا مضت الأيام تنسج لنا خيوط حب عميق متين.. وأمل
لروحينا الضاليتين الوحيدتين.

واستطعت أن أحس بومضة الشرف في روحها.. ونظمتها
البائس إلى حياة نظيفة.. فيها حب.. ونظام.. ومعنى.. واستطعت
أن أفهم ماضيها الطويل المشين الذي يجبر خلفه ظروفًا قاسية
لا قدرة لها على مقاومتها.

وأحسست أني أفهم عذابها.. فأنا أيضًا رجل فاسد أجر خلفي
حياة طويلة مشينة كلها كذب وادعاء.. وأنا مثلها أنطلق بروحي
إلى حياة فيها معنى وفيها حب..

وشعرت أن بيننا رباطًا لا فكاك منه..

وصارحتها برغبتى في الزواج منها.. فرفضت بشدة وبكت
وقالت إنها لا تقبل أن تسيء إلى سمعتي.. ولكنى مصر على
الزواج بها..

ما رأيك؟..

الحب الحقيقي الصادق قد ينتشل المرأة من خطيئتها ويكشف
هذا وجه الحياة الشريف الجميل النقي.. تمامًا كما ينتشل الرجل من
فساده واستهتاره.

وأنا لا أستبعد على امرأة خاطئة أن يرددها الحب إلى مشاعرها
لإنسانية النبيلة.

ورأيت أن الزواج مسألة شخصية جدًا..

افعل ما يدلك عليه قلبك وإحساسك.. فحياتك ملك لك
وحدك..

تلفيق التهم

أنا فتاة في السابعة عشرة من عمري في الثانوية العامة فتاة لم أذق طعم الحب ولم أره في حياتي.. وهذه هي مشكلتي !
كثيرات من بنات جنسي بروين لي مغامراتهن مع أحبائهن.. وعن جمال الحب وعذابه وسهره وأنيته.. وأجلس أنصت لمن ويدي على خدي ودموعي في عيني.. ويسألني في النهاية على قصة حبي فلا أجد شيئاً أقوله.. فليست لي مغامرات وليس لي عشاق ولا محبوبون.
سألت مرة والدي عن معنى كلمة الحب فقال لي إنه ترابط قلبين مخلصين إلى الأبد وهو شعور جميل جداً..

وسهرت ليالي كثيرة أفكر في كلامه.. وأسأل نفسي.. هل أنا بلا قلب وبلا إحساس.. هل أنا إنسانة مجردة من الشعور؟ واخترت شاباً طيباً يسكن بجوارى.. صغير جداً في السن وبدأت أقول لزميلاتي إنني أحب هذا الشاب.. وأزين لنفسي أنني أحبه فعلاً.. لأنني لفتت أني فتاة ذات قلب ينبض بالشعور

بالإحساس.. وإنني فتاة ذكية عرفت كيف تحب وكيف تختار حبها.

ولكن صاحباتي يقلن عني إنني ساذجة جداً.. وإنني لن أنجح في الحياة.. هذا مع العلم أنني دائماً من الأوائل في مدرستي.. أظن أنك تضحك الآن.. وتقول عني فتاة مراهقة.. لا.. أنا لست مراهقة.. أنا بنت ناضجة.. ولكن كل ما في الأمر أنني لم أحب ولم أجرب مطلقاً.. وهذا أشعر بنقص شديد.. وضيق.. وعذاب.. حينها تقول عني صاحباتي.. أنني ساذجة.

هل تتصور أنني عندما أدخل فيلماً في إحدى دور العرض ويكون فيلماً غرامياً مثيراً.. وأرى مناظر الحب والغرام.. أشعر بالبهجة.. وأشعر بغصة الدموع في حلقى.. وتنتابني طوال عرض الفيلم ماعر متفاوتة من اللذة والألم والنقص.. النقص لأنني لم أحب.. ولا أعرف ما هو الحب كما تعرفه زميلاتي.. وأظل طول الليل ساهرة أحاول أن أطرد هذه الكلمة من مخي.. الحب.. الحب.. ونظّل الكلمة تطاردني.. وتأكل مخي.. بلا نهاية.. ماذا أفعل؟

أولاً أحب أن أقول لك إن هذه السن.. سن السابعة عشرة هي سن الفسّر والأوهام والخيالات.. ومعظم الحكايات التي نحكىها لك صاحبائك فسّر في فسّر.. فالبنات والأولاد يلذ لهم في

هذه السن أن يتخيلوا وقائع لا أساس لها.. ومغامرات لا أصل لها..
ثم يحكونها لبعضهم البعض على أنها مأس.. ودرامات حب عتيقة
جربها كل منهم واكتوى بنارها وبكى واشتكى.. وسهر الليالي..
وكل مأساة من هذه المأسى لا تزيد في أصلها عن قصتك أنت
وجارك.. قصة لا معنى لها.. يصنع منها الخيال مصيبة وكارثة من
كوارث الهوى الخرافي.. ويروح كل واحد يقنع نفسه، ويقنع
أصحابه بأنها حقيقة.. وأحياناً يصدق نفسه ويكفي فعلاً..

أما الحب الحقيقي فهو في نظري شعور ناضج عميق.. وهو
لا يمكن أن يوافق الرجل أو المرأة قبل العشرين.. لأنه يحتاج إلى
درجة كبيرة من النمو العقلي ومن اكتمال الخبرة.

الحب ليس بالشعور الذي نطلبه ونجري وراءه لمجرد
التقليد.. ولمجرد أننا سمعنا أن فلاناً أحب.. نأخذ ذيلنا في أسناننا
وطيران على أول جار واقف في الشباك.. ونروح نازلين فيه حب..
ده كلام فارغ ودي هي المراهقة فعلاً.

الحب شعور تلقائي يغزو القلب من تلقاء نفسه.. بدون
استدعاء.. وبدون أن نرسل له التماساً.

وحب السابعة عشرة لا يمكن أن يكون حباً.. إنه فضول..
نزوة شهوة.. لعب.. أى شيء إلا أن يكون حباً.
اشكركم ربك على أنك لم تتورطى في هذه المحامقات.. وتأكدى

أنت نيت نافضة.. وإنما أنت عاقلة.. لا تتعجلى نصيبك..
ولا تنفقى الأكاذيب لترضى بها فضولك..
اتركى قلبك على مسجته.. وتأكدى أن الحب سيطرق بابك في
حينه.

في أحمر متوهج مثل الكرز.. ساقان مثل السيقان التي تزين
علائق جوارب النبلون.. يدان ناعمتان مترفتان مثل يدي
الجوكتدا..

جمال صارخ.. بكل معنى كلمة صارخ.
وفرحت.. وقفزت من الفرح.. ولم أهدأ حتى كتبت الكتاب..
وانتقلنا إلى بيت الزوجية السعيد.. وبدأنا أيام العسل..

وبدأت المتاعب.. والتلميحيات.. وغمزات الغزل من كل
جانب.. وبأحلاوته إلى ماشي على قشر بيض.. أحب السمك
لرخاش.. يا ملين أنت.. يا قشطة.. يالوز يا جوز يا مكسرات
وعلى باب البيت ينادي العيال الذين يلعبون في شقاوة.. معسلة
أوى يا بطاطة.. والبطاطة هي زوجتي فاطمة طبعاً..

وتضحك الست فاطمة.. وأغلى أنا من البطاطة ونار البطاطة.
وأنا ذنبي إيه يارب بس.. عملت إيه؟..

إذا تركتها تخرج وحدها عادت وراءها خمس عربات كاديلاك
توصلها الباب.. وكل عربة فيها شاب صايع مسبب.. يفتح
الباب ويهمس.. عيب الحلاوة دي تمشي على رجلها.. عيب
جمال ده.. يتمرط في الشارع.. الجمال ده لازم يتحط في قصر..
في جنة.. وأنا أقف عليها خدام.. سفرجي.. شوغير تسمحي لي
بمداء أكون شوغيرك.. خدامك.. عبدك مش هالين على تروحي

عدو النساء

أنا عدو النساء رقم واحد..

واعذروني إذا كنت أتجراً وأشتم كل النساء.. فأنا وصلت إلى
حالة عصبية فقدت فيها عقلي.. واتزاني.. وسماحتي.. وأدبي..
وأخلاقي..

واسمعوا حكايتي..

منذ ثلاث سنوات.. فكرت في أن أتزوج.. وأكمل نصف ديني.
وكأني رجل يدخل السينما ويقرأ المجلات ويختلط بالناس
وينظر بعينه باليمين وبالشمال.. كان أمل الوحيد هو أن أتزوج
امرأة جميلة.

وشكراً للظروف الطيبة.. فقد وجدت هذه الجميلة..

وأني جمال..

جمال صارخ..

بشرة بيضاء بلورية.. عود لين ملفوف سرح.. شعر ذهبي
يرقص ويتمخطر على الكتفين.. عيون واسعة كعيون الغزلان..

للبيهم ده.. الطعامة والمقطعة دى كلها تنام فى حضن شيخ غفر
إخص على ذلك!

والبيهم إالى إخص عليه بالطبع هو سيادنى.. شيخ الغفر
حارس أبعدية الجمال والفتنة إالى حاتودينى فى داهية.

اتخافقت ودخلت القسم أكثر من مرة واشتبهت فى أكثر مر
معركة وبالذراع بسبب دمي الحامى.

اعمل إيه.. مش طايق..

وهى مظلومة معى.. فما ذنبها فى أنها جميلة؟

إنها لا تلبس عريان.. ولا تتمخطر فى منيتها.. وطباعها
مهذبة.. ومسلكتها غير ملفت ولا خليع.. ولكن جمالها.. جماد
يصرخ..

قفلنا علينا الباب.. وأضربنا عن الخروج.. فبدأ التليفون يدق
ألو.. مين حضرتك.. لا أحد.. رد يابنى آدم.. البنى آدم انخرس
ومع ذلك فالسماعة مرفوعة على الطرف الآخر والسكة مفتوحة.
وفى نص الليل يدق التليفون.. فإذا رفعت زوجتى السماعة
رنت طرقة بوسة.. ثم انقفلت السكة.. وأحياناً تظل السكة
مفتوحة.. ويدير صاحبنا تسجيلات لأغنية شادية الأخيرة.. اكمه
ياناس واحشنى.. وخصامه كمان حاشنى.. كلمته سمعت حم
وقفلت السكة تانى..

وأحياناً يكون صاحبنا مؤدباً فيكتفى بأن يتأوه على الخط.

صندوق البوسطة.. لا أفتحها إلا وأجد خطاباً للست.. كله
أحلام وهيام وغرام.. والإمضاء.. معجب من الجيران..

وأبدأ فى مراقبة الجيران فى جنون..

من هو المجرم ابن الحرام.

أول تىء أقرؤه فى الصحف أخبار جهاز ضبط المعاكسات
التليفونية.. ماذا تم فيه.. وكم مبلغ إيجاره.. وما هى أطول مدة
لإيجاره؟..

وفى الحق أنى كنت فى حاجة إلى مليون جهاز.. جهاز لضبط
المعاكسات التليفونية.. وجهاز لضبط المعاكسات البريدية.. وجهاز
لضبط النظرات.. وجهاز لكشف نوايا القلوب.. وأخيراً جهاز
لضبط أعصابى وضبط غضبى حتى لا أنفجر.. وأطلق.. وأموت.

ألا يوجد عمل للناس فى الدنيا إلا زوجتى.

وكرهت الجمال.. وقرفت من الجمال.. وطهقت من الجمال
الذى كلفنى دم قلبى.

وطلقت الجمال.. واسترحت.

ومرت سنة.. ونسيت ما حدث لى من تحت رأس الزواج،
وعدت أفكر فى تكملة تصف دينى.. وهذه المرة كانت نيتى أن
أبعث عن زوجة وحشة مثل غراب البين حتى لا ينظر إليها أحد
وحتى أستريح من المعاكسات والمطارادات وأنام ملء جفونى.

واخترتها.. نقاوة.. ليس فيها عضو من أعضائها سليماً، شعراً
أكرت.. وجهها فيه نمش عيناها بها حول.. قصيرة لا تصل إلى
كتفى.. سمينة مدكوكة كالبرميل.. لا تعرف لها رقبة من وسط من
كتف من رجلين.

امراة فيها كل العبر..

واعتبرت نفسى رجلاً محظوظاً بكل هذه الوحشة لأنى سوف
أستريح من نظرات الناس.. وسوف أنام لا يدق إلى جوارى
تليفون.. ولا تنزل على تلاقيح الغزل.. ولا تطاردنى طواير
العربات حتى الباب..

واندبوا معى حظى التعس.. فهذا ما حدث بالفعل.. لم يفكر
أحد فى أن يعاكس زوجتى.. ولم يفكر أحد فى أن يدق لها تليفوناً..
ولم يفكر مجنون فى أن يطاردنا بعربته.. ولم يفكر مخلوق فى أن
يلقى لها بنظرة إعجاب.. ولم يصبص لها كلب بذنبه.. وكانت
النتيجة.. أنها جنت.. أصبحت تقف أمام المراة ثلاث ساعات
لنضع شكارة جيس على وجهها.. وتشد جسمها المدكوك
بكورسية.. وتلبس سوتيان صفيح يلقي بنهديها مترين إلى الأمام..
وتلبس حذاء كعبه عشرة سنتيمترات يرفع بها إلى فوق.. وتغشى
تمخبطر.. وتتقصع فى دلع.. منفرد.. مقزّر.. وتتنظر فى تبدل..
تستجدى الالتفات والغزل من كل من هب ودب من طلبة الست

عشرة سنة الساقطين فى ثانوى إلى العجائز من أرباب المعاشات
منعنى الكحة.

وأصبحت التعليقات التى تترامى حول أذنى من ماركة.. أعوذ
بأمة سيف الولية.. يانهار أزرق.. أوعى تقرب منها.. دى بتعض..
دى تلاقبها ست بيت على كيفك تنظف البيت أحسن من
المدى.. دى تلاقى جوزها حاططها فى البيت عشان تاكل
الصرصير.. ودى حاتموت ازاي دى ياخويا.. ده عزرائيل يخاف
منها.. يانهار أزرق.

ولم بعد التليفون يدق بالمعاكسات.. وإنا هى التى أصبحت
ندفه ونعاكس ونثقل السكة.. وتتاوه.. وتدير أسطوانات شادية..
وتستجدى مكالمة لله.. ألو لله.

وأنا أنتنح من الفيظ.. وأخبط رأسى فى الحائط.
أيس لى حق فى أن أكون عدو النساء رقم واحد.. عدو كل
حلو.. وكل وحشة.

لك حق والله العظيم.

المشقة

أنا فتاة في التاسعة عشرة من عمري جميلة حاصلة على شهادة الفلسفة من مدرسة فرنسية للمراهبات.. غنية.. ومن عائلة غنية.. لى أخت متزوجة.. وأخ أعزب.. بدأ الخطاب يتقدمون لى وأنا مازلت في الثالثة عشرة من عمري وبالطبع رفض والدى.. وكنت أحزن أحياناً لأنه بذلك يمنعنى من تحقيق أحلامى الصغيرة في الزواج.. فستان أبيض.. ملابس.. خروج.. نزاهات.. بيت أحكم فيه بأمرى ومتينتى.

حدث في هذه السن أن وجدت زميلانى يتكلمن عن الحب.. والد «بوى فرند» والقبلات والرقص فأخذت أسمع اليهن مشدوهة خائفة.. كيف يخرجن مع شبان.. ألا يخفن على سمعتهن!

ولكن كثرة الكلام في هذا الموضوع جعلته في النهاية يبدو أمراً عادياً ولماذا لا يكون لى «بوى فرند» مثل باقى البنات.. وهل أنا وحشة.. وكان هناك ضابط يسكن بجوارنا أخذ يطاردى.. واستمر شهوراً بعد شهر يطاردى بكل الطرق الممكنة.. كان

يهرج حولى في كل مكان.. ويعاكسنى في التليفون.. ويبيكى إذا قفلت في وجهه السكة.. ولا أطيل عليك.. قلت في نفسى: أجرب ولن أفعل مثل صديقائى.. لن أخرج معه.. إذا كان يريدنى حقاً فعليه أن يتقدم إلى والدى.. فالحب في نظرى لا معنى له بدون زواج.

وقبل أن نتخذ أى خطوة.. فكرت أولاً أن أصارح أخى بأعجابى بهذا الشاب.

وأطلعت أخى على كل شىء.. وفرح أخى.. واقترح قبل الخطوبة أن نلتقى نحن الثلاثة عدة مرات لكى نتعارف.. ونختلط بدون كلفة وبدون رسميات الخطوبة حتى نعرف بعضنا بما يكفى.. فإن انسجمنا كان بها.. وإن لم يكن.. قطعنا علاقتنا في هدوء وبلا ضجة..

وهكذا خرجنا.. وتكرر خروجنا.. مرة.. ومرات.. لمدة سنة كاملة.. وكان لقاءنا دائماً بتدبير أخى في وجوده.. وهكذا أتاح لى أخى فرصة نادرة لا تتاح لأى فتاة.

وأعجبت بالشاب وأحببته وأصبحت أنا التى أطلب من أخى أن يخرج ونخرج ونخرج.. وازداد شوقى وحبى.. وألح حبيبى فى الإسراع بإتمام الخطبة.. وتقدم بالفعل ليطلب يدى ووافق أبى ورحبت أُمى.. وباركته العائلة.. وفرحت.. وأصبحت أسعد إنسانة في الوجود.. وفجأة حدث أن وقع الاختيار على خطيبى للسفر في

بعثة سنة إلى أوروبا.. وطلب الإسراع بإتمام الزواج ليصحني معه.
ولكني آثرت الانتظار هذه السنة لأكمل تعليمي أنا الأخرى.
وهكذا سافر.. وكنت في وداعه على المطار.. وتواعدنا على أن
نكتب لبعض كل يوم..

وقد بدأنا نكتب بحماس فعلا خطاباتنا من يوم لآخر -
بدأت أنا أهمل الرد.. ولا أدري ماذا حدث لي بالضبط - ولكن
وجدت نفسي أتجاهله.. وشعرت بحبي يبرد ويقترب - وبينما كانت
خطاباته تنهال عليّ تسأل.. وتسأل.. كنت أنا.. ولا هنا..

ولا تتعجب.. فأنا ذاتي متعجبة من نفسي أكثر منك.
لا يوجد هناك رجل آخر.. ولم أنشغل بأية علاقة أخرى.
وحيثما رجعت لم أفكر في مقابلته.. ولم أرد عليه حينما طلقني
بالتليفون.. ماذا غيرني إذن؟.. سأقول لك الحقيقة.. إنه خوف
خوف شديد.. رعب من شيء اسمه الزواج.

أنا أخاف الزواج.. وأرتعد منه.. وكلما سمعت عن صديقة
تزوجت أكثر من زيارتها لأعرف نتيجة الزواج.. فأراها تنه
على أيام زمان.. أيام الحب.. والحريّة.. والجري.. لم أرى حين
إنسانة سعيدة بزواجها.. أختي أتعس بمخلوقات الله مع زوجها
البخيل.. أمي هي المسيطرة على البيت وأبي يختصها.. صديق
يتأفف من أعمال البيت والمسئولية والأولاد والطبيخ.. أغلب
الأزواج يخوتون زوجاتهم والزوجات يجاوين بالمثل.. وأسألني

فقد رأيت كثيرات منهم يحاولن محاولات مستميتة مع أخى.
أرجوك.. لا تقل لي تزوجيه.. فكلما اقترب موعد الزفاف
نهر أني أكرهه.. أكرهه.
ماذا أفعل؟..

هل سيكون معنى هذا أن أعيش طول عمري بلا زواج..
وهل هذا ممكن.. أم أن هناك حلاً؟!

والشطة حراقة ولكننا نأكلها ونحبها.. والحياة شاقة وصعبة
ولكننا نتمسك بها.

لا يوجد واحد لم يلعن الحياة.. ولكننا مع هذا نعشق الحياة
ونعلق بها ونستمتع في التعلق بها.

لا تصدقني ما يقوله المتزوجون.. إن كل شكاوى المتزوجين
كذب والمتزوج هو أول من يتزوج مرة ثانية إذا مانت زوجته.
والخيانة الزوجية نادرة.. وإذا كانت تبدو لك مألوفة ومنشرة..
فذلك لأن الروائع الكريهة من صفاتها أن تفوح وتنتشر ويكثر
حولها الكلام.. أما الزواج الناجح والعلاقات السوية.. والبيوت
السريفة فلا يسمع عنها أحد ولا يتكلم عليها أحد.. ولهذا يخيل
لك أنه لا يوجد في الدنيا شرف.

والإنسان من طبيعته الشكوى وعدم الرضا بالواقع.. ولهذا

فإن المتزوجة التي اشتكت من زواجها.. لو أنك قابلتها وهي بنت
لاشتكت من وحدتها وتعاستها ومن أنها لم تجد ابن الحلال الذي
ترتاح إليه وتتزوجه.

ومشكلتك الحقيقية.. أن عندك عقد المثققات المترفات..
القلق.. والدلع.. والمال.. والضجر من كل شيء بسرعة..
وأحسن علاج لك هو معاملتك بقسوة.. لو أن خطيبك هجرك
ولم يسأل فيك.. وكان أقوى منك في شخصيته وإرادته.. فنجريت
خلفه تتمسحين به كالقطة.

أشرب

أنا واقع في مشاكل لا أول لها ولا آخر.. وكلها بسبب
تفكيري في الزواج.. ولأبدأ من أول القصة.
أنا موظف مرتبي محدود أساعد به أبي وأمي وأخي العاطل في
معينتهم.

صارحت أبي برغبتي في الزواج فتطوع مشكوراً هو وأمي في
تبعث عن عروسة.

وبعد شهر من البحث جاء لي بفتاة قال لي إنها ستكون
رفيقة العمر التي ليس قبلها ولا بعدها.

ونزولا على رأي والدي واختياره خطبت الفتاة وشبكتها..
وبعد شهر من الخطبة بدأت الخلافات تدب.. فوالدي يشترط
على الفتاة أن تعيش معنا في عيشة واحدة.. في الغرفتين اللتين
تسكنها العائلة.. ننام نحن في غرفة.. وتنام بقية العائلة في الغرفة
الثانية.. ولم تقبل الفتاة.. وردت الشبكة ومقدم الصداق واعتبرت
نما نجت بنفسها من مصيبة.

وكعادة والدي.. أشاح بذراعه بلا مبالاة.. وقال لي
ولا يهملك النسوان على قفا من يشيل.

وذهب يبحث وينقب.. ويسأل ويستقصي.. ثم عاد ومعه عجب
غنية وارثة وشكلها على قد الحال.. وقال لي.. هي دى نوري
حاتريحك.. وحاتريشك.. ولىة كبيرة ومجربة وتعرف مزاجك
وحاتفرح بيك.. شاب صغير وأفندي موظف تملأ عليها البيت
وربنا يتوب عليك م الفقر الى أنت فيه.. يا الله يا شيخ اتكل عر
الله.. يعنى حاتأخذ إيه م الصغيرة.. ما هو كلهم فى الضلعة زو
بعض.

وهذه المرة خطبت وشبكت وكتبت الكتاب فى نفس اليوم.
واعتبرت إن الأمر غنيمة يحسن التعجيل بها على حد قول
الوالد وبدأت المشكلة.

المشكلة هذه المرة أثارها الناس..

الناس اتخذوا من زواجى موضوعاً للتريقة.. ومادة للتسلية ثم
شاهدوني فى طريق أنأبط ذراع الست.

حلاوتك يا بو طقم ستان..

سلامتك م الكحة..

نجيب لك لزقة..

يا شيخ روح هات لها كفن..

يارب خليكى يا جدتى..

والنتيجة طبعاً أنى بدأت أعانى من حالة عصبية ظلت تتفاقم يوماً
بعد يوم حتى وجدت نفسى فى أحد الأيام أرسل لها ورقة الطلاق
غيباً.

وبالطبع كانت صدمة للزوجة تلقتها فى ذهول.. لم تصدق أن
هذا الرجل الجريان الذى يتفق عليه يمكن أن يتجرأ ويطلقها..
هى بنت الناس وصاحبة الجادة.. واشتكتنى فى المحكمة..
ونار والدي وتبرأ منى.. واعتبرنى نذلاً..

وكانت خصومة استمرت شهوراً.

واخففت مدة.. وكنت ألتقى فيها إعلانات الحضور للمحكمة
فى خوف وخجل وإحساس بالذنب.. وكنت اقتطع من مرتبى
الصغير لأدفع للمحامى ووكيل المحامى.. ووقعت فى أزمة.

وكالعادة انتهت المشكلة وتصلحت مع أبى لتبدأ القصة من
جديد.. فقه راح أبى يبحث لى عن زوجة ثالثة.

وكانت الزوجة الثالثة طيبة جداً.. لم تشترط مهراً ولا شبكة
وه تسأل أين سذهب بها.

وعرفت بعد الزواج.. أنه لم يكن هناك ما يدعو لأن تسأل
وتشترط وتطلب.. فهى من عائلة فقيرة دقة.. تسكن فى حارة سد
فى غرفة واحدة.. يبقى حاتسأل على إيه؟..
وهى بالطبع قانعة..

ولكنى غير قانع.. وتعبان.. ولا أفهم كيف تزوجت.. وكيف
طاوعت أبى كظله فى هذه الزيجات الثلاث.. وكيف لم يكن لى
رأى..

الشعور بالذنب يطاردنى باستمرار.. وشعور آخر بأننى
لا أستطيع المضى فى هذا الزواج.. ولا أستطيع التمثيل على
نفسى للنهاية..

أريدك أن تجد لى مخرجاً علمياً بأننى لا أستطيع العودة إلى
الزوجة الثانية ولا الأولى.. ولا أستطيع أن أمضى فى هذه
الورطات إلى ما لا نهاية.

لا أفهم ماذا تقصد بهذه الورطات.

فأنت على حد قولك موظف دخلك محدود تنفق منه على أب
وأُم وأخ عاطل وتعيش معهم فى غرفتين فأنت إذن من البداية
لا تستطيع أن تفتح بيتاً.. وليست لديك مؤهلات الزوج.
وإذا كانت هناك ورطة فهى ورطة الذين قبلوك وارتضوك على
علاتك.

وأنت فى كل مرة تبرر خطأك بطاعة السيد الوالد أو طريقة
الناس.

والحقيقة أن طمعك وليس والدك هو الذى ورطك فى الزواج

بالقنية.. ولكنك تتحجك بالوالد وهى مباحكة لا تعفيك من
المسئولية فأنت لست طفلاً ولا قاصراً ولا فتاة عذراء.. ولا عذر
لك فى أن تقول.. وأنا مالى، أبويا قال لى اعمل كده.
متأسف.. ليس لك مخرج عندى.
من العدل أن تنظر موحولاً فى أعمالك.

خير بالنساء

أنا شاب، سنى ٢٠ سنة، موظف ولى إيراد غير وظيفتى من أملاك قليلة تدر على إيراداً آخر إضافياً لا بأس به.. أعيش حياة ميسورة ولى عربة ومشارك فى ناد رياضى.

أزاول الرياضة العنيفة.. وأندمج فى عدة لعبات.. والواقع أنى فى نفسى أعانى إحساساً شديداً بالوحدة.. والخجل والتردد.. اشتريت فى النادى وهويت الألعاب.. لأبعد عن نفسى هذا الإحساس ولأندمج فى الناس وأخرج من وحدتى.. وأكون علاقات.

ولكن مع هذا أشعر أنى ما زلت متحفظاً منظوياً بالرغم من كل أصدقائى.. وبالرغم من طول الوقت الذى أقضيه فى حياة اجتماعية..

تعرفت على فتاة ١٠ منذ سنوات.. وكانت فى تلك الأثناء مخطوبة..

وأذكر فى ذلك الوقت أنها هى التى شجعتنى على الكلام معها

وكانت حينها تلاحظ خجلى.. تقول إن الفتاة من حقها أن يكون لها صديق.. وكل رجل من حقه أن تكون له صديقة.. وأن الصداقة علاقة رفيعة.. وأن صداقة المرأة لرجل لا يمكن أن يكون فيها خيانة لزوجها، لأن الصداقة شىء آخر غير الحب.. وأنها مثلاً تحب خطيبها ومع هذا تشعر أن صداقتها لى شىء لا يشينها.

والحق.. لقد أعجبتنى عقليتها جداً.. وكنت أرى فيها مثال الفتاة العصرية النموذجية.

وبحكم اشتراكها فى النادى معنا - فقد كنت ألتقى بها كل يوم.. حيث نلعب معاً التنس.. والبنج بنج. ونشرب الشاي ونأكل الساندوتشات.. ونشر فى مواضيع لا نهاية لها.

ولم أشك يوماً فى طبيعة إحساسى نحوها.. فقد كنت أكن لها الصداقة والأخوة والود والعاطفة الرفيعة المنزهة من أى غرض.. وحدث بعد هذا أن تزوجت.. وكان زوجها موظفاً فى إحدى البلاد العربية.. وكان يتغيب معظم وقته عن القاهرة بحكم عمله.. فاستمرت علاقتنا بعد الزواج كما هى.

وظلت على مواظبتها فى الحضور كل يوم للنادى.. واستمرت صداقتنا..

وكان يحدث أحياناً أن نذهب إلى سينما. حيث نقضى الوقت نتأقصر فى الفيلم ونعلق على ما نراه.

ولم يتطرق إلى ذهني في أي مناسبة أن أعازلها أو أظهر
الحب، فقد كانت مشاعرنا فوق مستوى الشبهات.
ولهذا سرتني كثيراً في إحدى المرات أن رأيتها تطلب من
خمسين جنيهاً سلفة.. فقد شعرت أنها تعتبرني بالفعل صديقاً
فيه وتحترمه وتلجأ إليه وقت التردد.

وحينما اقترحت بعد هذا أن تقسط المبلغ على أقساط رفضت
أن أتحدث في الموضوع.. واعتبرت أن المسألة منتهية.. وإن
ما تحتاجه لها أن تأخذه من جيبى بدون حساب وكأني أخوها..
كأني نفسها.

وقلت لها إن هذا سوف يدخل على قلبي السرور.. ويشعري
باحترامى لنفسى وبشقتى بعلاقتنا.. والواقع أنها لم تتردد بعد هذا
في أن تطلب منى دفعات أخرى من خمسين.. وخمسين.. وعشرين
جنيهاً أخيراً.. وكنت أبادر بالدفع بسرور وسعادة.

والحق أنا لا أكذب عليك أنا كنت أشعر بسرور بالفعل وأنا
أرى علاقتنا تتوطد.. وأرى أنها تكاشفتني باحتياجها للمال من
وقت لآخر.. وإنى أنا.. وأنا بالذات أكون الصديق الذى يسارع
إلى مساعدتها.

هل هذا حب.

لك أن تسميه كما تشاء.. ولكنى متأكد أن مشاعرى نحوها
تتلوث لحظة واحدة.. وظننت حتى هذه اللحظة أنى أبادلها المشاعر

لرفيعة.. والصداقة الروحية التى لا يدنسها دنس.

ولا أنكر أنى أصبحت الآن فى حاجة إليها أكثر مما هى فى
حاجة لى.. ولهذا أصبحت أشعر بسرور خفى كلما ارتبطت بى
رباط الحاجة المادية.. وأشعر أنها أصبحت ملكى أكثر وأكثر..
وهو شعور خبيث.. ينجلى أن أشعر به.. ولكنها الطبيعة
الإنسانية.. والطبيعة الإنسانية كما تعلم لا تخلو من الشرور..
أصدقائى يقولون لى.. إنها تستغلى.. وإنى رجل خيالى..
ولكنى أعتقد أنى رجل خبير بالطبيعة الإنسانية.. ولو أنها كانت
امرأة من إياهن لتهورت فى علاقاتها معى لتستغلى أكثر..
ولتضمن احتياجى لها أكثر وأكثر.. ولكنها طوال علاقتنا كانت
مثالاً للشفقة والعفة والأخلاق الكريمة.. وهذا ينفى فى نظرى أية
سبهة للاستغلال.. فى حدود فهمى للطبيعة الإنسانية على الأقل
والأهم.. ما رأيك أنت؟



الحقيقة أن فهمك للطبيعة الإنسانية.. هو الذى ضيعك..
ولو أنك فكرت شوية فى الموضوع.. وفى الطبيعة الإنسانية
للى مغلباك.. كنت وجدت أن صورتها التى تظهر بها أمامك..
وهى صورة المرأة العفيفة الشريفة النظيفة المحترمة التى لا تشعر
بالتساعر الرقيقة والمخلجات الروحية الطاهرة.. الصورة دى
هى الصورة الأقرب إلى الاستغلال.. لأنها الصورة التى رفعت

سعرها في نظرك.. وجعلت المبالغ التي تطلبها خمسين جنبها فيها
فوق.. أما تهورها.. فإنه لم يكن ليرفع سعرها بل على العكس
يخفضه إلى شلن..

والدليل الآخر أنها امرأة متزوجة اختارت للزواج رجلاً يعمل
في وظيفة بالبلاد العربية ويتغيب أغلب الوقت عن القاهرة..
وظائف البلاد العربية كما هو معروف وظائف مجزية.. ومرتباتها
لا تقل عن ألف جنيه في الشهر..

ومعنى ذلك إن اختيارها للزوج كان اختياراً مبنياً على نفس
العقلية المادية.

ومع ذلك فهي تبتز منك مائة وسبعين جنبها في شهر.. ليه..
خلجات روحية.. ومشاعر رفيعة برده..

في الواقع أنا مش شايف روحية في الموضوع.
وخصوصاً أن الصديق الذي اختارته خلجاتها الروحية وهو
سيادتك.. صديق مليان مادياً.. وعلى نيته.. والا إيه.. والا
حانرجع ناني الحكاية خبرتك بالطبيعة الإنسانية.. على كيفك.

عذراء اسمها محمد

أنا وحيد والدي ووالدتي.. عائلتي غنية.. وكل ما أطلبه
أحصل عليه في الحال.. وبالرغم من هذا الدلع يعذبني الإحساس
بالمسئولية.. وأسعر بالذنب حينما أرسب.. وأبكي كثيراً..

وأنا أتلقى دروس في مدرسة إعدادية خاصة.. وقد رسبت في
السنة الماضية.. وبكيت كثيراً وأفضيت لأبي برغبتي في ترك
المدرسة والاستغال بأية شغلة.. ولكنه رفض.. وقال وهو يضحك..
ولا يهملك.. اسقط على كيفك.. اوع تزعل نفسك.. خد فلوس
زي ما أنت عايز.. إحنا فلوسنا كثير والحمد لله.. نشتغل ليه..
ونعجب ليه..

و ذات يوم سافر والدي إلى بلدنا بالواحات للزيارة وحينها
حضر فاجأني برغبته في أن أترك الدراسة.. ليه يا بابا.. ده السنة
في آخرها والامتحان قرب.

ولكنه رفض وقال لي أنت مخطوب من الآن وستزوج بعد
نعيد مباشرة.

وكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على نفسى قانا لم أتجهز
الخامسة عشرة بشهور قليلة وطولى ١٥٠ ستيماً.

وتعجبت.. وانعقد لسانى من الدهشة.. وأخذت عينائى
تتوسلان لأبى بالدموع.. وأخذت أبكى وأرجوه أن يقطع عن
فكرة زواجى.. ففى هذا قضاء على مستقبلى.. ورحمت استعطفه
واستقدم الوسطاء ليستعطفوه.. ولكنه ظل يرفض بشدة.. ويقول
يا بنى أنا عاوز أفرح ببك.. وأشوفك متجوز ومخلف قدامى..
وعيالكم يملعبوا حواليه.

قلت له كيف أعول زوجة وأنا غير قادر على إعالة نفسى..
فقال وهو يضحك..

عيب يا ابنى تقول كده.. أمال أنا قين.. إنت مالكنش دعوة.
اطلب الفلوس الى أنت عايزها.. إنت وزوجتك وعيالكم ملزومين
منى أنا.. فيه حد يلاقى الراحة ويدور على التعب.. خيرنا كبر
يا ابنى والحمد لله إيه لازمة الشقا..

وفشلت كل محاولاى فى منع الزواج.. وهو مصر على إقامه
قبل العيد..

ماذا أفعل؟

من الواضح أن أباك يعاملك كالبنات العذراء قليلة الخبرة.
مش مهم تسقط أو تنجح ما دام آخرتها البيت.. ومش مهم

تشتغل ما دام ربنا ساترها وبابا ربنا يطول عمره بيديها
المصروف.. وما يصحش تقول لا.. ساعة ما يجيها ابن الحلال..
عيب.. بابا عاوز يفرح بيها.. ويشوف ولادها وولاد ولادها
يجروا حواليه يملوا عليه البيت.

المنكلة ليست فقط مشكلة دلح.. لكنها مشكلة إهدار كرامة
رجل تماماً.. وإهدار حقه فى أن ينضج ويفلح ويتجح ويستقل
بحياته.. وإهدار حقه فى أن يحب ويختار شريكة حياته.. ويعيش
الحياة كما يحب أن يعيشها..

إن أباك يريد أن يعيش حياته.. ويعيش لك حياتك أيضاً..
إنه حريص على أن يفرح بك أكثر من حرصه على تفرح
أنت بنفسك.. هذه أنانية فظيعة وليست حناناً.. إنه يريد أن
يحرمك من إحساسك بذاتيتك.. فى سبيل إحساسه هو بذاتيته
وبأنه رجل قادر على فتح بيوت وبيوت.

تمسك بموقفك بدون دموع وبدون توسلات.. لتكن دماغك
ناشقة كالحجر.. وعزيمتك ماضية كالحديد.. فأنت رجل..

عش حياتك كما تريد أنت أن تعيشها.. فأنت لا تملك
إلا حياة واحدة.. وإذا أعطيت هذه الحياة لوالدك فلن يبقى لك
نفسى.

حب غريب

أنا أدخل اليوم عامى الثامن والعشرين.
منذ عشر سنوات وأنا أتعذب بحب صامت أحترق فيه
وأذوب وحدى دون أن يعلم بى حبيبى.
وحبيبى فى الستين.. لا تدهش ولا غصص شفئك فى
سخرية. ولا تقل عنى مراهقة.. أو خيالية.. فهذا الحب هو الحقيقة
الوحيدة فى حياتى.. والحقيقة التى تملؤنى وتصهرنى معها..
هذا الرجل فى الستين.. الذى تنظر إليه على أنه عجوز فى
خريف أيامه.. هذا الرجل كان دائماً ربيع أيامى.. كان شبابى..
وكان قلبى لا ينبض إلا له.

وقد نشأنا فى جيرة واحدة.. وكان صديقاً لعائلتنا. وقد تزوج
وأنا فى السابعة عشرة وكنت أنظر إلى زوجته بحسد.. وكنت
أعيش على خياله وأنام على خياله. وكنت أتمنى لو ماتت زوجته
ليصبح لى من جديد كما كان دائماً..

وقد ماتت زوجته فعلاً ومات معها طفلها الوحيد.. وعاد
حبيبى يعيش منفرداً فى بيته الكبير.. يطوى ضلوعه على حزن

واشم. وتبلل عينيه دموع حائرة تأبى أن تنزل.

وفهمت أنه يعيش فى ذكرى حب واحد هو حبه لزوجته.. وأنه
يحفظ لها إخلاصاً لا يموت.

وكنمت حبى فى نفسى.. وحاولت أن أنساه.. ولكنه كان
يستعل ويتأجج فى قلبى كلما رأيته بعينه الواسعتين الحزينتين..
وكان من عادته أن يتجول فى الحديقة فى الصباح ومعه كلاب
الصيد التى يقتنيها.. وهو لا يهوى فى الدنيا إلا أربعة أشياء
كلاب صيده والكمان التى يداعب أوتارها فى أوقات فراغه..
وصور زوجته ومهنة الهندسة التى يزاوها.. أما أنا فلا مكان لى فى
حياته.. إنه لا يشعر بوجودى.. لا يرى أنوثتى الفاضحة
ولا يحس بجمالى ولا يدرك عاطفتى المتأججة نحوه.. وأنا فى
اليأس الذى أعيش فيه وأمام حبه المتفانى لزوجته الراحلة
لا أجد الجرأة على مصارحته.

تقدم للزواج بى كثيرون وأنيحت لى فرص للزواج لا تتاح
لفناء فى دمشق. رفضتها جميعاً.. لأنى لا أريد أحداً سواه..
أنا زوجته أمام الله وأمام قلبى.. وسأطوى ضلوعى على سرى
وأعيش وأموت له..

لعلك تقول.. لا بد أنك قبيحة لا أمل لها أن يحبها أحد ولهذا
خلقت لنفسها هذا الوهم لتعيش فيه.

ولكن الحقيقة المؤسفة.. أنى جميلة.. ومثقفة.. وأحمل دبلوماً

عاليا في اللغة الفرنسية.. وأجيد العزف على البيانو.. ومعسوقة
من الجميع.. وعائلتنا ذات مركز مرموق.. وأعيش في مجتمع ينظر
إلى في حب واحترام.. ولكنني لا أشعر بهذا المجتمع.. لا أشعر
إلا بشيء واحد هو حبيبي.. بينما فارق في العمر يبلغ ٣٢ سنة
ولكنني لا أشعر بهذا الفارق.

إنه شبابي.. وطفولتي.. وحياتي.
ماذا أفعل.. أنا أتعذب.

هذه عاطفة غريبة.. لو كان سنك ١٦ سنة لقلت هذه هي
المراهقة بعينها.. ولكن سنك ٢٨ سنة ولك خبرة واختلاط
بالرجال.. وثقافة وحساسية.. وفنانة.. وجميلة.

لا شك أن الرجل فيه جاذبية.. فهو وحيد يعيش مغتربا في
بيته مع كلاب صيده ومع آلة الكمان التي يبشها أشجانه ومع صور
زوجته.. فهو إذن عاطفي حنون رقيق فنان موسيقى القلب مثلك.
إن بينكما شيئا يجمعكما..

ولكن ٣٢ سنة تفرقكما وهي كفيلة بأن تسحق أية عاطفة.
وإذا كانت عواطفك لم تسحق إلى الآن فالسبب أنك تشعلتها
بخيالك على الدوام.. أشك في أن هذه عاطفة امرأة لرجل.. ربما
كانت صورة من صور عشقك لأبيك وهو عشق يظل مكبوتا

بحكم كونه محرما حتى يجد علاقة مشروعة كهذه العلاقة فيظهر
فيها.

ربما كان حبا.

إن الامتحان الوحيد لأمثال هذه العواطف هو الواقع..
إن زوجا في سن الستين لا يستطيع أن يقوم بوظائف الزوج
في أغلب الأحوال.. وهولن يكون أكثر من صديق.. هل تكفيك
هذه الصداقة وأنت كما تقولين ذات أنوثة فاضحة..

هل ترتوي الأنوثة الفاضحة بلعسة حب أفلاطوني..
يشوقني جدا أن أعرف مصير مثل هذا الحب إذا تحقق له
لاقتران في الواقع.. أنك على الأقل ستفهمين نفسك.. وهو لن
يخر شيئا.. وأنا سأزداد خبرة..

التسكع في الشوارع والتطلع إلى الفترينات والأكل كل يوم عند صديق.. والمبيت عند صديق آخر.

وأحياناً كنت أبيت في الحدائق.. أو في محطات سكة الحديد متظاهراً أني أنتظر قطار الفجر.

وأخيراً قررت الرحيل من القاهرة.. وفي فجر أحد أيام شهر نوفمبر الماضى قررت السفر إلى الإسكندرية.. وبدأت السير من الطريق الصحراوي.

وسرت.. وظللت أسير حتى شعرت بالتعب.. فتوقفت وسط الطريق أشير للعربات لتحملني معها.. ولكنها كانت تفرق بجوارى دون أن تفكر حتى في أن تهدي من سرعتها.. وساعتها كرهت الدنيا ومن عليها وتميت لو تدهني سيارة فاستريح. وكان الليل قد حل.. وكنت قد قطعت أكثر من خمسين كيلومتراً.. وحل بي الجوع والعطش والتعب.. فارتيت في الطريق.. وسلمت أمري لله.. وفي تلك اللحظة مرت بي عربة فارهة تقودها سيدة. وتوقفت العربة بجوارى.. ونزلت السيدة وحملتني معها إلى الإسكندرية وأخذتني إلى بيتها.

ومكنت راقداً ثلاثة أيام مريضاً بالحمى.. وفي اليوم الرابع شفيت. وأحضرت لي السيدة طعاماً وشراباً.. وفي تلك الليلة جاءت إلى بقميص نوم شفاف.. وجلست إلى جوارى على الفراش.. وحدث ما لم أكن أتوقعه.. وتكرر هذا في الليلة التالية

معبود الأرامل

أنا شاب في الخامسة والعشرين من عمري ربيت في بيت كله قسوة وشقاء فأنا لم أر أمي بل زوجة أبي في أبشع صورها.. وكنت أبدأ يومي بعلقة تنتهي بتمزيق ملابس وحرق كتبي وأختم يومي بكنس المنزل ومسح السلم.. وأنام على الضرب والشتم وأصحو على السباب والإهانة.

لن أطيل.. عليك.. انتهت حياتي التعليمية ولم أستطع الحصول على الثانوية العامة.. ليس ذلك لكسل أو غياء مني.. فالكل يشهد بذكائي ونبوغى وكنت طيلة حياتي الأول.. ولكن إذلال زوجة أبي وقسوتها كسرا شوكتي وحطاً عقلى وذكائى.

وعملت في إحدى الوظائف المحترمة جداً بمرتب أكثر من عشرين جنيهاً.

لعلك تتساءل وماذا تريد إذن.. صبراً.. فإن تلك الوظيفة لم تكن إلا كالمهرم المسكن.. مفعولها مؤقت.. فقد كانت بعقد ستة أشهر.. وينتهى العقد بانتهاء ستة الأشهر.

وانتهى العقد وانتهيت أنا أيضاً معه.. لم يعد لي عمل سوى

والليلة التي بعدها.. وفي اليوم السادس أعطيت خمسة جنيهات
وقالت لي.. تيجي كل يوم خميس فكنت أذهب إليها وأمكث
عندها الخميس والجمعة وأتركها يوم السبت.. وتعطيني الخمسة
جنيهات.. وتكرر هذا أسبوعاً بعد أسبوع إلى أن كان الخميس
الماضي.. حينما رفضت أن تعطيني نقوداً.. وقالت لي.. إذا كنت
عاوز فلوس لازم تتجوزني.. وبشرط مؤخر صديق ألفين جنيه..
نصور ألفين جنيه.

نسيت أن أصف لك هذه السيدة.. إنها في الخمسين من
عمرها.. شكلها مقبول.. وغنية جداً جداً.. وشاذة..
هذه مشكلتي.

هل أتزوجها وأعيش طرطوراً.. وماذا يكون مصيري حينما
أفاجأ.. وأنا زوجها بوجودها مع رجل آخر..
إنها تنتظرنى.. انصحنى.



أنصحك يا أبو لمعة.. أنك تبطل فشر.. وأن تعالج فضلك
بأسلوب آخر غير أن تنام على ظهرك وتحلم بأن مليونيرة غنية
شاذة في الخمسين.. هبطت عليك من السماء.. في عربة فارعة..
وطلبت منك القرب وأعطتك خمسة جنيهات ثعناً لرجولتك الفذة
التي لا مثيل لها.

وليس أسهل عليك ولا أمتع لعقلك التعبان من وطأة الفضل

أن تحلم أنك مهبط الوحي والفتنة للأراذل من صاحبات الملايين..
وليس أسهل عليك من اختلاق المشاكل لتحتمل بها على عذابك..
ولكني لا أجد داعياً لأن تحتمل علينا أيضاً.

أفنى لنفسيك وحاول أن تستغل ذراعيك.. وهناك ألف مصنع
جديد يفتح في عرض البلاد وطوها.. في حاجة إلى شبائك..
ورجولتك.. قوم شوف لك شغلة.

سر السعادة

أنا شاب في الخامسة والعشرين. ولا أزال في الجامعة.. منظرى وشكلى جميل وهذا هو السبب في تعاستى ومصائبى..

لنا جارة ولديها طفلان.. زوجها كان متزوجاً بأخرى. وكان بطبيعة الحال يتغيب عنها بين يوم وآخر.. وفي هذه الأيام كانت تحاول أن تتصل بى، بالحديث على الباب بالمصادفة ثم بالخطابات.. ثم بالمقابلة.. وتكررت مقابلاتنا ثم بدأنا نتردد على دور السبتاء.. ثم بدأت تدعونى إلى شقتها.. وتسهل على الأمور وتهون على المغامرة.

وضعت أمام إغرائها. وأمام شبابى وحرمانى، وأصبح لقائنا فى شقتها وفى ليالى غياب زوجها عادة.

ولأعد قليلاً إلى الوراء فى سنوات نشأتى.. فقد كنت ملتهب العاطفة متدفق الحيوية.. وقد بدأت صباى بحب وحيد ملك على كل حواسى. ولكنى لم أستطع المضى فيه إلى نهايته الطبيعية بالزواج لأنى كنت لا أزال طالباً. وأمامى مستقبل.

وهكذا انتهيت إلى حالة من القلق والحرمان واليأس ألقت بى

فى أحضان هذه العلاقة السيئة.

وكانت نتيجة هذه العلاقة أزمة من نوع آخر.. فى الشك.. الشك فى كل النساء.. وكل الزوجات.

وأنا أتصور دائماً أنى سوف أتزوج. فتخوننى زوجتى. وأصبح طرطوراً أدخل البيت أشخط وأنظر وألقى أوامرى باليمين والسمال.. ثم أخرج فترتمى زوجتى فى أحضان رجل آخر. وتقول له أحبك.. أعبدك.. أنقذنى من زوجى. أنا لا أطيقه. هذا الزوج الذى سوف يكون أنا بالطبع.

وكبرت المسألة فى دماغى. فبدأت أتلفت حولى فى أهلى وأنظر إلى أختى فى شك وريبة. ثم إلى أمى التى يبلغ عمرها خمسين عاماً. أصبحت أشك فيها هى الأخرى. وأحاسيسها حساباً عسيراً على خروجها وغيابها.. وأسألها أين كنت. ولماذا ذهبت بمفردك لازم نفهمى أنى مسئول عن العيلة. وخناقات لا تنتهى.

وهكذا تسممت حياتى.. وتسممت أفكارى. والآن. أنا فى عذاب مستمر. أريد أن أتزوج والشك يقتلنى. قالت لى صاحبتى مرة.. وهى معى: ماذا تفعل لو كنت زوجتى واكتشفت هذه العلاقة.. فقلت لها على الفور أقتلك.. والعجيب فى الأمر أنى أحتقرها وأكرهها.. وأحتقر نفسى لأنى أضعف وأستجيب لإغرائها لمجرد ذلك الشيء الحيوانى الذى فى دمى. ماذا أفعل.. كيف أتزوج.. وأنصرف كزوج طبيعى. وهل هناك

أمل في أنى سوف أكون في أحد الأيام زوجاً طبيعياً. وكيف الخلاص من هذه العقدة؟

لكل شيء في الدنيا ثمن.. ولكل خطأ عقابه الفوري.. وأفعال
الطيبين لا تذهب عبثاً. إنهم يكافئون عليها مكافأة فورية..
بسعادة القلب واطمئنان البال.

أمثالك الذين يعيشون في تلذذ مسروق مختلس من بيوت
الناس.. يفقدون راحة باهم ويأكلهم الشك..
إنها ليست عقدة.. إنها مقابل طبيعي للفعل.

إنه فعل خال من الشرف في جوهره وطبيعته. فعل من أفعال
الخبثانة يسيطر عليه الخوف والقلق.. وهو لهذا يلد الشك وسوء
الظن.
ليست في المسألة عقدة.

إن الراحة والاطمئنان والسعادة لا يمكن أن تنبأ
إلا بتحقيق الانسجام بين الإنسان وبين عواطفه وتفكيره وأفعاله
وظروفه.

حاول أن تحقق هذا الانسجام في حياتك بترك هذه القذارة
والبحث عن إنسانة شريفة تحبها. وتزوجها ولا تمارس معها الحب
مع الاحتقار.

ملانكوليا..

نشأت في مدينة متوسطة من أبوين عصامين.. وأنا أصغر أبناء
خمس.. ثلاث شقيقات متزوجات.. وأخ في الدرجة الثانية في
إحدى الوزارات.

وأنا في العشرين من عمري في السنة الأولى من دراستي
الجامعية.. مشكلتي أن هناك رغبة جنونية تستبدني وتذلني.. رغبة
في تحطيم أى شيء يقع تحت يدي.. أحطم الأكواب مهما بلغ
سكها.. أحطم الأطباق.. والزهریات.. أى قلم أمسك به..
أغرس سنه في الورقة وأحطمه مهما كان ثمنه.. وأشعر بلذة وأنا
أحطمه.

وحينما أقف في طابور السينما أو الأتوبيس وأرى أمامي
شخصاً.. أشعر برغبة جامحة في خنقه والانقضاض على رقبته
بيدي.. وفعلاً ترتفع يداي في حركة لا شعورية إلى عنقه..
ولا أستطيع الخلاص من هذه الرغبة الا بتحريك رأسي بشدة في
عدة اتجاهات لأبعد عيني عن المنظر كله.. وأحياناً أعمد إلى دفعه
بيدي لأبعد عني.. وقد أوقعه على الأرض.. وتحدث هذه الأشياء

كثيراً وأنا مع أصدقائي مما جعلهم يتعدون عني.. ويقولون إن هزاري سخيّف.. وهم يظنون ما أفعله هزّاراً..

أحب السرعة في كل شيء.. في الأكل واللبس والمشى.. أغبر أصدقائي بسرعة.. ولا أشعر برابطة وجدانية نحو أحد..

حاولت كثيراً أن أعرف سبب حالتي وعدت بذاكرتي إلى الوراء لعلّي أجد سبباً في طفولتي.. ولكن طفولتي عادية.. اللهم إلا ضخامة هيكل العظمى التي كانت تخيف الأطفال.. وضخامة يدي.. وضخامة كتفي، وهم في المدرسة يسمونني الكتف الحديدى.

وفي العام الماضى حدث أن رفعت مائة كيلوجرام دون علم بوزنها.. وحاول المدرب إغرائى على التدريب.. ولكنى لم أحفل به.

حياتي الجنسية عادية.. فيها عدا إحساس شديد بالكراهية ينتابني ونفور حاد من المرأة.

ولهذا السبب أرفض الزواج.

لّى صديقة أحبها وأعيدها وتبادلنى الحب والعبادة.. وهى صغيرة وجميلة وغنية.. وأتمنى أن أتزوجها.. ولكنى لا أجد على اتخاذ هذه الخطوة خوفاً من انقلاب حبي إلى كراهية حينها أعاشرها زوجياً.

تنتابني نوبات فجائية من الانطواء والعزلة والصمت.. فأدخل غرفتي ولا أخرج منها يومين أو أكثر.

وقد يمضى يوم وليلة لا أتحرك من مكاني حتى تدخل أمى وتتزعنى بالقوة من الكرسي الذى أجلس عليه متجمداً كالتمثال.. لكى أكل..

أين كان عقلى.. وكيف سكنت معدتي لم تصرخ طالبة الطعام. إن حالتي تتدهور بسرعة.. وأنا الآن أتجنب ركوب التاكسي خوفاً من أن أنقض على السائق وأختقه دون أن أدري. ذهبت إلى أطباء نفسانيين.. وحاولوا علاجي بالجلسات والإيجاء بلا فائدة.

أرجوك انقذنى.

إن الطب النفسى لا يكفى لعلاجك..

أنت في حاجة إلى طبيب أمراض عصبية.. وعلاج منتظم في مستشفى.

إن حالتك.. حالة مرضية معروفة اسمها الملائكوليا.. والمريض في هذه الحالة يعاني من رغبات متسلطة.. ونوبات حادة من الانطواء والسكون والامتناع عن كل شيء حتى عن الأكل.. وهذه الحالة قابلة للشفاء بشرط المبادرة إلى الذهاب إلى مستشفى أمراض عقلية مختص.

جنون الغيرة

أنا شاب عمري ٣٠ سنة متزوج من سنتين.. وزوجتي مدرسة
بمدرسة الراهبات.. والشئ الذي لا يعرفه أحد أنى أعيش في
عذاب الغيرة.. طوال السنتين وأنا أكتوى بنار الغيرة.
زوجتي ليست جميلة.. ولا خفيفة الدم.. بل هي عادية جداً
جداً.. وظاهر تصرفاتها يوحى بالثقة.. وسمعتها حسنة.. ليس
عندى شئ أمسكه عليها.. ومع ذلك أنا أشك فيها.. أنك
ينهشنى.. والغيرة تأكل قلبى.

إذا ركبنا أتوبيس أقف بجوارها وأحلق في كل شاب في رية،
وإذا رأيتها تنظر حولها هنا أو هناك أغتاط ويغلى الدم في رأسى
وأشعل سيجارة وأروح أنفخ فيها.. ولا أجرو أن أجارها
بشكوكى.. وإذا حضرت من عملى ووجدتها واقفة في البلكون
أغتاط.. وإذا رأيتها تلبس فستاناً ديكولتيه مفتوح شوية أصاب
بالجنون.. ولكنى أكنم جنونى وغيظى ولا أصارحها حتى لا تقول
إنى متأخر ورجعى.. ولكنى ألاحظ أنها تأخذ بالها.

وإذا حضر زوار لآخوتها، في البيت وأخذوا يروحون ويحيثون

تعرت بالضيق مع أننا وحدنا في غرفة بعيدة.
وإذا وجدتها سرحانة ومش واخده بالها.. وكلمتها فنظرت إلى
في شرود.. أغضب في نفسى.. وأنام بلا عشاء.
وإذا ذهبنا إلى مكان ما للسهرة.. وكان حولنا شبان أظل
أتململ طول الوقت.. ولا يعاودنى هدونى إلا إذا رجعنا إلى
البيت..

إذا ضحكت في الطريق أتلفت حولى لأبحث عن الرجل
الذى ضحكت له.. وإذا عبت تتأبى الوسواس والظنون..
ويظل عقلى يخلق الظنون المتعبة.
وهى الآن حامل.. ولكنى أشك أحياناً في الجنين الذى تحمله..
أنك في أنه قد يكون من رجل آخر غيرى.
أنا أعيش في عذاب..

ولكن ماذا أفعل؟.. وأنا أحبها.. أعبدها.

أنت لا تحبها.. أنت تحب نفسك.

أنت تحقر زوجتك وتعاملها كما لو كانت من ممتلكاتك..
كما لو كانت تابعاً بلا حرية وبلا إرادة.. لا حق لها في أن تنظر
إلى اليمين أو إلى اليسار.. أو تضحك.. أو تعبس.. وأنت لا تكتفى
بامتلاك جسمها وإنما تريد امتلاك روحها.

وسبب جنونك هو شعورك بالنقص وبأنك غير كفء وغير قادر على الاحتفاظ بها.. وأنه لا وسيلة للاحتفاظ إلا بالعنف والتحكم والضغط واللجوء إلى الحق الشرعى.. ومواجهتها بصكوك الملكية.. ولكنك لا تجد حتى الشجاعة فى هذا.. ولهذا تجبن.. وتكتوى بالنار وتغناظ.. وتكتم فى نفسك.

وحينما تراها تضحك فى الطريق.. تتلفت حولك لتبحث عن الرجل الذى ضحكك له، لأنك لا تتوقع ولا تنتظر أن يكون هذا الرجل هو أنت.. أنت فى نظر نفسك نافه.. لا تستحق أن تحبك حتى زوجتك.

إن العقدة فى نفسك.. وإذا لم تغلب على هذا الشعور بالنقص فإن زواجك سيفشل.

إن زوجتك لن تحترمك لأنك لا تحترم نفسك.. ولن تعرف كيف تحبك وأنت لا تعرف كيف تحب نفسك.

الحقيقة الخفية

أنا زوجة.. وأعمل فى إحدى الشركات.
معى فى العمل شاب اعتبره أنا رجلاً مثاليًا جذبني إليه بأدبه وذوقه ورقته، فحفظت له أعظم تقدير.. وكانت نظراتي إليه كلها نظرات إعجاب بشخصه، حتى أنني كنت امتدح أخلاقه المثالية أمام زوجي.. إلى هنا والمشكلة تبدو طبيعية.

ولكن الواقع أن النظرات استمرت وتبعنها نظرات من جهته.. نظرات طويلة وغير عادية.

وذات مرة سألت نفسي ماذا وراء نظراتي له..
إنى أحب زوجي حبًا جمًّا وأقدس حياتي الزوجية ولا ينقصني شيء فى الدنيا.. وبرغم اشتغالي نصف يوم خارج بيتي فأنا لم أفكر مطلقًا فى إهمال شيء يبيتى أو زوجي.

وزوجي يحفظ لى كل حب ومودة وتقدير..
فما معنى هذه النظرات التى لا أستطيع أن أوقفها عند حد..
لماذا تعلقت به عيني إلى هذه الدرجة..

ولم أستطع الإجابة على هذا السؤال..

ولكنى كنت كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحزن.. شعرت بأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقاً أحكى له مشاكل وعذابي وآلامي.

ولكن هل هو كذلك؟

لا أعلم..

فبالى الآن.. وبعد مضى حوالى عامين من النظرات الطويلة المتبادلة.. لم يفتح فمه بكلمة.. ولم يصارح أحداً الآخر.. بدخيلة نفسه.

وفكرت فى معنى نظراته الطويلة نحوى.. واكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات.

ولست أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة.. مهما حاولت. فإنها شيء فوق الوصف.. نظرات كلها حنين وأنين وشجن وهمس وصراخ.

وأنا أحرص دائماً على أن أظهر له فى كل دقيقة أنى لا أهتم به ولا أفكر فى أى رجل سوى زوجى.. ولكن فى أعماق نفسى أشعر أنى معلقة به.. ويشعر هو الآخر بذلك.

وهو من ناحيته يحاول دائماً أن يبتعد عني.. ويتجنب الانفراد بى فى مكان.. ويحاول أن يهرب.. وكلما سنحت فرصة لنبقى معاً يشعرنى بأنه مضطرب ثم يسرع بالاستئذان.. وفى اليوم التالى

يحاول أن يظهر إهماله لى.. ولكن نظراته تعود فتفضحه.. نظرات كلها شوق ولوعة.

وهكذا تستمر المناوشات بيننا.. تقترب وبتبعد فى سلسلة من محاولات اليائسة للهروب من المصير المحتوم.. ولكن طول الوقت لا يبدو علينا شيء.. لا شيء سوى مظهر الزمالة العادية.. ويعلم الله ما بنفس كل منا.. والآن أشعر أن مشكلتى تتفاقم بسرعة.

وأصبحت أمضى الساعات الطوال أفكر فيه وفى نظراته التى لم أعد أستغنى عنها.

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه؟

ما رأيك؟

ومن الواضح أنك لم تتركى لى فرصة للرأى.. فأنت فى مواضع كثيرة من خطابك.. تسبقينى.. وتسبقين نفسك بوضع أحكام نهائية ترفض الجدل.

جذبتى أدبه وذوقه ورقته..

كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحزن وبأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقاً أحكى له عذابي وآلامي.. ليه الآلام دى.. وليه العذاب ده كله.. أنك زوجة وتحبين زوجك وزوجك

يحبك وتقديسين حياتك الزوجية ولا شيء ينقصك في الدنيا..
كما تقولين.

واضح أنك تفتعلين هذا العذاب لتجعلى من نفسك ضحية
مسكينة في حاجة إلى النظرات الخنونة.. المشتاقة.. الوهانة..
إلخ..

إنك تضعين حيثيات وهمية لتستحلى بعد ذلك أى شيء.
وهى نظرات.. يوه منها.

أنا لا أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة مهما حاولت
فإنها شيء فوق الوصف.. يا سلام.. لا ياشيخة.. نظرات كلها
حنين وشجن وهمس.. آى.

اكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات..
طبعاً بعد كل هذا الإخراج.. من الممكن.

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه
وأنظر إليه.

يعنى بتهددنى كمان.. بأنك لن تستطعى الاستمرار فى
عملك.. لو أنك تركته لحاله.

ناقص تقولى.. حاترفدى.. وتقطع عيشى لو قلت لى سيبه.
إن المشكلة طبعاً ليست مشكلة شاب فى محل عملك ينظر
إليك.

إنك كامرأة متزوجة سوف تجدين فى كل مكان رجلاً مستعداً
للنظر إليك طول اليوم.

إن المشكلة هى مشكلتك أنت.. ومشكلة رغبة مستبدة تنمو فى
قلبك.. خيانة زوجك.. رغبة بدون سبب.. فأنت تحبين زوجك وهو
يحبك.. مجرد تخريب.. عيب..

والنهاية طبعاً معروفة.

نظرات طويلة متبادلة فى محل العمل.. خبص عيني عينك..
وفضيحة بجلاجل.. وخراب بيوت.. وسمعة طين.

وفى النهاية بعد أن تخسرى كل شيء.. لن ينظر إليك حتى
الرجل الذى أعطيته نفسك باحترام.

سيظل يتخيل نفسه فى مكان زوجك الذى خنته وأنت تحبينه..
سيظل يشعر دائماً أنك من جنس لا أمان لعاطفته أبداً.. وهكذا
تفقدن كل شيء.. كل شيء وتنتهين تماماً..

أعود وحدي في أية ساعة من الليل.. أما هي فلم تكن تستطيع العودة إلى بيت الحكيمات في مثل تلك الساعة المتأخرة.
وفكرت.. وفكرت.. ولم أجد حلاً.. وأخيراً أخذتها معي إلى
منكنى لتقضى به بقية الليل.

التعود..

وأصارحك.. بأننا قضينا هذه الليلة كما نتمنى. وعوضنا الثلاث
سنوات التي كنا نلتقي فيها في الخارج.
وتكررت هذه الأشياء.. وأصبحت تتردد على منزلي.. وأصبحنا
لا نسأل عن سينما أو كازينو.. فالمنزل أحسن بكثير.. وكانت
تبيت معي لأن عملها يخول لها ذلك.. فهي حكيمة وعندها
ورديات بالليل.. وأحياناً ورديات بالنهار.

وأخيراً فكرت في الزواج منها وشجعتني على هذه الفكرة..
وقالت لي إنها ستساعدني في كل شيء.. ولا داعي لأن أحمل هم
التكاليف.

ولكن عندي في نفس الوقت أسباب تجعلني أتردد.. فهي
ليست جميلة.. وهي أكبر مني سنًا.. وهي في الدرجة السابعة وأنا
في الدرجة الثامنة.. وقد يدفعها هذا إلى أن تنصرف معي بفرور
واستعلاء.. وأصحابي يقولون عنها إنها حكيمة ولها عمل ولن
تكون متفرغة للمنزل ولا للزوجية.. هذا زيادة على أن طبيعة
عملها ومبيتها بالمستشفى تجعلها تفعل مع الأطباء والمرضى

أنا موظف صغير في الدرجة الثامنة.. أقوم بمساعدة أهلي في
الريف بجزء من مرتبي وأعيش بالجنهيات القليلة التي تبقى لي في
القاهرة.. في غرفة بمفردي.. ومازلت أعزب إلى الآن.
مضى على تعييني ثلاث سنوات لم أدخر فيها شيئاً للزواج.
تعرفت على فتاة منذ ثلاث سنوات تعمل حكيمة في الدرجة
السابعة بإحدى المستشفيات الحكومية.. سمراء.. ملفوفة.. تكبرني
سنًا بحوالي خمس سنوات.

كنت معها مثال الصديق المخلص طوال السنوات الثلاث من
تعارفنا.

كنا نتقابل دائماً في الخارج لنقضى الوقت في أحد
الكازينوهات أو إحدى دور السينما.

ثم حدث أخيراً أن دخلنا إحدى حفلات السينما التي تبدأ في
منتصف الليل وتنتهي في الثالثة.

وخرجنا في الساعة الثالثة لنواجه مشكلة.. أين تذهب.
أنا لم تكن عندي مشكلة لأني أعيش وحدي وأستطيع أن

كما تفعل معي.. وسوف تتأخر على كيفها ولن أستطيع أن أقول لها.. كنت فين؟

وهم يقولون أيضًا إنها في سنّها الحالي وبعد أن فاتها قطار الزواج لا يهملها إلا أن تحصل على زوج أي زوج لتكون في عصمة رجل.. ثم تعيش بعد ذلك على كيفها.

ولكن الحقيقة الأكيدة التي أشعر بها.. أنها تحبني وتعبدني. في الوقت الذي أحبها أنا فيه بعض الحب فقط. وأنا حائر.. هل أتزوجها؟

لا شك أن بحالتك الراهنة.. موظف في الدرجة الثامنة وجزء من مرتبك يذهب إلى أهلك بالريف.. تعتبر.. عريس على قد حالك جدًا جدًا.

وسوف تكون في حاجة إلى زوجة تعمل وتكسب لتعاونك.. إذا فكرت في الزواج.

وبإيرادك الحالي الذي لا يزيد عن سبعة جنيهات لن تجد من يرضى بك.. بسهولة.

وإنها لنعمة من الله أن تجد امرأة تحبك وتعبدك.. وتحلم بالزواج بك.. وفي نفس الوقت تحبها.

وحكاية الجمال كلام فارغ.. لأن التعود يقضى على الوحشة

وعلى الجمال.. والعين حينها تعود على وجه وتألفه.. يفقد هذا الوجه ما يشبه في النفس.. وتبقى الإنسانية والعشرة والأخلاق والحب والانسجام. وهي أشياء أهم من الجمال في الزواج. وما يقوله الناس عن المرأة العاملة من أنها ماخور يعب منها كل رجل كلام فارغ..

ورأيت إذا كانت شخصية صاحبتك تعجبك.. أن تتزوجها بالحلال وتوب عن حياة الخطايا التي ضيعت فيها نفسك ونفس من نحب طوال هذا الوقت.

فلست «لاجئاً فلسطينياً».. ولست مقطوعاً من شجرة.. وإنما أنا
مصرى.. وأبوأى على تقييد الحياة.
لقد كان كلانا صعلوكاً مغامراً.
ولا أدرى ماذا أفعل الآن..
أنا مخطفٌ وقد أوغلت في الخطأ إلى حد تعذرت معه العودة إلى
طريق السلامة.



سيدي..

أشكر أقدارك على أن ضحيتك ليست فتاة ساذجة.. وإنما هي
امرأة محتالة مثلك نازلتك بنفس سلاحك.
إن قصتك تذكرني بما قاله ميترلنك عن العدالة.
إنك لا تقابل إلا نفسك في طريق القدر. كن كاذباً تسرع
إليك الأكاذيب.. كن نصاً تتشبه بك الجرائم.. في أى طريق
تذهب لن يكون قدرك إلا صورة من نفسك.
إن نهر الحياة الدافق ينساب تحت قبة السماء ويمجى بين
حيطان السجون.. وإنما كل ما يعيننا هو حجم الكأس التي
نغمرها في مياهه، وإن هذه الكأس لتأخذ دائماً شكل أفكارنا
ورغباتنا.. وتساوى سعة أصداننا.
إن حظك من الحب عادل يا صديقي الصعلوك.. والكأس التي

الجزء من جنس العمل

أنا ترزى سيدات بالإسكندرية.

تعرفت في أحد الأيام بشاب فلسطيني من اللاجئين يغنى في
أحد الكباريات.. ودعاني صديقي لمشاهدة البرنامج.. حيث
عرفني براقصة من زميلاته.. وقدمني إليها على أنى ابن عمه.
وأصبحت الراقصة زبونتي.. وعن طريقها تعرفت بامرأة غنية
في السابعة والثلاثين من عمرها.

وقدمت نفسي للغنية الجميلة أنى لاجئ فلسطيني مقطوع من
شجرة وقدمت لى نفسها على أنها أرملة عراقي كبير ومن عائلة
معروفة.

ونشأ بيننا حب جارف.. وشربنا كأساته حتى الثمالة..

ثم اكتشفت فجأة أنها تكذب على.. وأنها قوادة مستهجرة تتجر
بالأعراض وليست أرملة عراقي وإنما هي أرملة كل الناس.
ولم أستطع مكاشفتها لأن حبي لها كان قد ذهب بى بعيداً.
وعبر حدود العقل والمنطق.. ولسبب آخر هو أنى أيضاً كذاب.

تشرّبها تساوى سعة قلبك ولون ضميرك.
كلاكما طائران متشابهان وأسلم لكما وللمجتمع أن تظلا معا
إلى نهاية الطريق.

مناقسة غير شريفة

توفى زوجى منذ أعوام.. وكان عمري حينذاك ثلاثين عامًا..
ناركا لى ثروة كبيرة وثلاث بنات أكبرهن فى العاشرة..
وكرست حياتى لبناتى حتى كبرن وتزوجت اثنتان إحداهما
بدرس فى كلية الهندسة.. والثانية بدكتور كبير.. أما الثالثة
الصغرى فقد كبرت وأصبحت قمورة فى سن السبعين..
وشامت الأقدار أن تتعرف على شاب.. وسرعان ما أحبه
وتغلت به.. وأصبح محور أحاديثها فى كل وقت.

وأنا تعودت دائما ألا أتدخل فى شئون بناتى من ناحية اختيار
الأصدقاء وفى العادة اكتفى بالإشراف من بعيد ولكنى حينما
علمت أن هذا الشاب متوسط التعليم وأنه حاصل على التوجيهية
فقط فزعت وخفت أن تنتهى هذه العلاقة إلى زواج فاشل غير
متكافئ لا يليق بنا.. وطلبت من ابنتى أن أتعرف عليه.

واجتمعت به فى النادي لأول مرة.. وقضينا فترة نتحدث.
كلمنى عن حياته وآماله ومشاكله.. وتكلم بصراحة مطلقة لم

أعهد لها في شاب.. تحدث عن ظروفه في عدم الاستمرار في التعليم وكيف أنه دخل كلية الآداب ونجح فيها لمدة عامين ثم خرج لأنه كان يحلم أن يكون مهندساً.. ولم يجد في الدراسة الأدبية شفاءً لأحلامه.. وكيف أنه دخل الجيش وقضى فيه سنة ونصف سنة ثم خرج.. وكيف استقر أخيراً في وظيفة محترمة بمرتب كبير، وكيف اقتضت منه الوظيفة أن يسافر إلى عدة بلدان أجنبية.. وأن يتقن ثلاث لغات.

وبتعدد مقابلاتي له بالنادي أدركت أنه يمتاز باطلاع واسع في مختلف الثقافات.. في العلم.. والأدب والفلسفة.. وأن عنده مكتبة تضم حوالى خمسمائة كتاب.. وعرفت أن له شخصية قوية.. ولم يكن هذا رأيي وحدي.. فإن الكل كانوا يهابونه ويحترمونه.. وأزواج بناتي كانوا يشكرون في أخلاقه وسلوكه.. في الحقيقة اطمأننت إليه.. وقلت في نفسي.. مادام مركزه محترماً وصفاته حسنة وشاب مؤدب وفوق ذلك ابنتي تحبه.. شجعت هذه الصداقة.

وأصبحت ابنتي لا تبتعد عنه.. وتتصل به كل يوم في التليفون.. ويتقابلان كثيراً.

وكانت طوال الوقت تحدثني عن كل ما يحدث بينها.. ومن حديثها عنه كنت أشعر أنه ذو أخلاق كريمة.. فهو لم يحدث أن عانقها أو قبلها بالرغم من أن الفرص كانت تواتيه وكان يحب

ابنتي ويقدرها ويحترمها.. ويحدثني عن علاقة الرجل بالمرأة على أنها علاقة إنسانية قبل أن تكون علاقة جسد.

وبتوالي الأيام وحديث ابنتي عنه.. كنت أحس باشتياق له وانتظر موعد حضوره في النادي أسبوعياً بلهفة شديدة.. وتحول اشتياقي إلى حب جارف ملتهب.. وكانت تؤلني نظراته لي كأم حيث أنه فقد والدته وهو طفل.. ومع ذلك كنت أحبه وأعشقه وأتمناه زوجاً لي.. ولم لا؟ فهو الرجل الذي يستطيع أن يسد مكان زوجي، والشباب القوي الذي احتاج إليه في هذه السن.. ستقول عني أناية وخاتمة في حق ابنتي.. ولكن أنا سيدة فقدت زوجي في الثلاثين والآن أشعر بالوحدة وسأكون وحيدة بعد أن تتركني ابنتي الثالثة.. وأنا أحبه.. وأعشق رجولته وشهامته.

وهكذا بدأت أفرق بينه وبين ابنتي حتى قطع رجله تماماً من البيت.. ولكن الذي حدث كان أكثر من هذا.. فقد قطع رجله من النادي أيضاً ولم أعد أراه.. ولم يعد يتصل بي ولا بابنتي، وكدت أجن من الشوق والتفكير.. ولازمني القلق.

وأخيراً تشجعت وطلبت بالتليفون وقلت إني أريده بالمنزل لمسألة هامة.

وأخليت المنزل.

وحينما دق الجرس ورأيت أمامي.. فقدت أعصابي وألقيت بنفسي على صدره.. وعانقته وقبلته قبلات كثيرة.. كثيرة.. لم أفق

منها إلا على صفة.. لطمني بها على وجهي وهو يبعدني في
اشمزاز وإنكار وأدار وجهه وخرج.. وتركني ذليلة مكومة على
أريكة.

منذ تلك اللحظة وأنا أعيش في صراع فظيع.. وأفكر في
الانتحار وأفكر في أني حقيرة.. ولكن ما ذنب ابنتي.

إن ابنتي تبكي ليلاً ونهاراً.. وهو لا يتصل بها.. وهي تعتقد أنه
سيخطب إحدى قريباته.. وهي لا تعلم الحقيقة.. ولا أجد عندي
الجرأة لأقول لها الحقيقة.

ماذا أفعل؟

إنني أتمنى أن يعود إلى ابنتي.. ولا أمل لي أكثر من أن يعيش
الاثنان سعداء معي.. وأرى أسعادتها من حولي.
اكتب له ليعود.

* * *

إنه لن يعود..

إن الشهامة والرجولة والأخلاق.. لا يمكن أن تعود إلى أمان
هذه البيوت.. البيوت التي يخليها أصحابها، ويستدعون الرجال
بالتليفون للخدمات المستعجلة.

إن ابنتك بريئة.. ولكنها تعيش معك في البيت.. والبيت ينقل
عدواه لمن فيه.. ولا شك أنك كنت بريئة.. وأنت في سنها.. وهذه

البراءة لم تمنعك من السقوط في سن الخمسين.
وأسوأ ما يخافه شاب أن يختتم حياته الزوجية بشناعة، إن
شناعة في سن الخمسين أسوأ ألف مرة من سقوط في سن
العشرين.. لأنها شناعة يائسة مخجلة ليس لها عزاء فيها تبقى من
العمر.

الفريسة والصيد

أنا فتاة في السادسة عشرة من عمري.. جميلة.. وجذابة.. بدأت مشكلتي منذ حوالي ستة ونصف حينما كنت أعيش مع أمي.. لم يكن ينقصنا شيء في حياتنا.. فأمي امرأة غنية جداً ترك لها والدي قبل وفاته أربع عمارات ذات إيراد كبير وعربة أنيقة جداً.. وكانت تنفق بإسراف على زينتها وأناقيتها ومظهرها.. وتعرفت أمي في هذا الوقت على شاب في السنة النهائية بكلية الآداب.. وكان شاباً أنيقاً.. وشرعت في إغرائه بالفلوس.. التي فرشتها تحت قدميه.

وكانت أحياناً تصحبه معها إلى البيت الذي نعيش فيه.. وتكرر ترده إلى البيت كثيراً.

وفجأة وجدت أمي تخبرني بزواجها من هذا الشاب الذي انتقل إلينا وأقام معنا.. وكان في هذا الوقت قد تخرج من الكلية والتحق بعمل محترم.

ولاحظت أنه بدأ يتودد إليّ وبدأ يعاملني برفق وغزل.. وفي يوم كانت أمي في الخارج.. وجاء هو إلى المنزل وكنت

وحدى فأخذ يلاطفني حتى وجدت نفسي تحت تأثير كلماته المعسولة ملقاة على صدره وقد تلاقى شفتانا في قبلات حارة ومنذ هذه اللحظة وأنا أحبّه حباً كبيراً لا أقوى على مقاومته.

وأصبحت انتظر اللحظات التي نختلي فيها بأنفسنا وأقسم لك أن علاقتنا لم تتعد القبلات والأحلام الجميلة.. واتفق معي على كل شيء.. اتفق على أن يطلق أمي ويتزوجني.. وفعلاً تم الطلاق.. وحتى هذا الوقت لم تكن أمي تعلم بشيء حتى فاجأتها بأني سوف أتزوج من هذا الشاب الذي طلقها فجئ جنونها وثارت وهددتني بحرمانى من الميراث وبرغم ذلك صممت على الزواج منه.. إني أحبه.. أحبه.. أحبه.. سنة كاملة وعدة شهور ونحن نلعم في نسوة الحب.

وقد تعقدت المشكلة أخيراً حينما أخبر أهله بنية زواجه فهاجموه جميعاً ووقفوا حائلاً ضده بحجة أن الشرع لا يبيح مثل هذا الزواج.

إني أنعذب.

لم تكن جريمة أن أحب شاباً يقرب سنه من سني حباً شريفاً خائفاً.

لقد اعترف لي أنه أخطأ بزواجه من أمي.. وأن حاجته إلى الفلوس في ذلك الوقت هي السبب.

إننا نتعذب.. ماذا نفعل؟

تؤكدى أن الشرع على حق.

إن الرجل الذى يشتهى الأم وابنتها فى نفس الوقت لا يمكن أن يؤمن على كلمته أو على نظرنه.. إنه زائع الشخصيه.. عينه زائغة بين فلوس أمك.. وشباب ابنتها.. وتأكدى أن عقله الطماع يرمى إلى مرام بعيدة.. فهو يعرف جيداً أن أمك لا يمكن أن تحرمك من الميراث.. وأنها مهما كانت قاسية فإنها سوف تلين فى النهاية وتعطيك حقلك.. وهكذا تفعين له كما تقع الفاكهة المستوية.. على أنك صيدة.

إنه ينظر إليك بنفس المنطق الذى كان ينظر به إلى أمك.. جمال ومال.

إن كل شخصيه لها منطق يحكمها.. والشخصيه تغير سلوكها ولكنها لا تملك أن تغير منطقها.. لأن منطقها هو جوهرها وروحها.. وهذه روح صاحبك.

إنه رجل سيئ.. تجنبه.. ليس بسبب الشرع فقط.. وإنما لأنه إنسان كذاب.. عواطفه كذابة.

أخواتى جميلات

هاتان الكلمتان هما كل مشكلتى «أخواتى جميلات».

هما كلمتان ولكنها بالنسبة لى.. حكم بالإعدام.. فلا أحد ينظر لى.. ولا أحد ينودد لى.. وإذا مشيت مع أخواتى فى الطريق سمعت كلمات كالغسل تتساقط على أذان أخواتى على حين ترشقى السخريات كسهام مسمومة وكأنى أنا الخادمة أو الداذة أو المربية أو لقيطة من الطريق.

كل أملى فى الحياة أن أموت لأستريح من هذا العذاب.
صداع.. صداع.. صداع.

الصداع القاتل لا يبارحنى لحظة.

وقد رسيت فى الجامعة وضاعت على سنة بسبب هذا الصداع الذى يمزق رأسى.

لا أطيق النظر إلى مرآة ولا أطيق النظر فى عيون الرجال.. مع أنى لست قبيحة بل أنا مقبولة جداً بين البنات العاديات، ولكنى إلى جوار أخواتى أقل منهن بكثير.

جاء إلى الخطاب ورقضتهم لأنى أعلم أنهم يخطبون مركز أبى

وثروته ولا يخطبوننى لذائق.. وأنا أريد رجلاً يسعى إلى لذائق
يغازلنى ويبادلنى الحب ويتمنائى دون أن يعرف من يكون أبى ومن
يكون أهلى.

حاولت الانتحار وأنقذنى أبى وبكى من أجلى.
أمى وأبى وأخواتى يعاملوننى بكل رقة ومحبة واحترام ولكنى
أشعر أن هذه الرقة إشفاق وعطف وأشعر أنها كالإحسان الذى
يبدل لمسول مقطوع اليد.

أشعر بنظرات العطف تحرقنى، تكوينى، تلسعنى كالنار.
لماذا خلقتنى الله لأتعذب.

لا أريد منك كلاماً أى كلام.

ولا أقبل منك مواساة.

أقنعنى.. أريدك أن تقنعنى.

أريد كلاماً مقنعاً.

أريد أن أفهم لماذا تخلق أخواتى جميلات وأخلق أنا أقل منهن.
ولماذا لا تكون هناك عدالة فى السماء.

كيف يفعل هذا؟ إله كامل قادر عادل.

لماذا يظلمنى فى وجهى وملاحى.. وماذا فعلت لأتلقى هذا الحظ
الضئيل الهزيل منذ يوم ميلادى.

لماذا يكون نصيب الأخريات الحب والإعجاب والانبهار

والتعلق والمطاردة فى كل مكان.. وأمشى أنا فلا يشعر بوجودى
أحد.

لماذا.. ولماذا.. وألف لماذا.. ثم صداع فظيع يغلف رأسى
كالضباب وحقد ومرارة وكراهية لكل ما هو مفرح.. ورغبة فى
الانتقام وأعود إلى نفسى فإذا بى أتمنى أن أدمر نفسى، أحرق
نفسى، أشق نفسى حتى لا أعيش فى هوان وإحساس مرير
بالتقص على الدوام.

أريد أن أفهم.

أين العدالة فى هذا..

المعذبة

ليلى. م

الدنيا تقوم على التفاضل وعلى التفاوت والاختلاف..
كل منا يولد.. فريداً منفرداً نسيجاً وحده مختلفاً عن غيره..
ولو أن كل النساء خلقن متطابقات متساويات فى الأوصاف
لأصبحن كملايين النسخ التى تغنى عنها نسخة واحدة.. ولما أصبح
هناك داع للتعدد فهو لا يحمل معه أى تفاوت ولا أى تلوين.
إن حكمة الله اقتضت هذا التفاوت والتباين.
ولكن الله لم ينس أحداً.

وغلظتلك أنك تصورت أن النعمة الوحيدة التى يمكن أن

يعطيها الله لامرأة هي جمال وجهها - والثروة الوحيدة التي يهبها لها هي ثروة الملامح والتقاطيع.

وهذا غير صحيح.

فيمكن أن يعطي الله لواحد الثروة في وجهه ولآخر الثروة في صحته ولثالث الثروة في قوته الجسدية ورابع الثروة في جيبه ولخامس الثروة في قلبه.

والله يمنح الموهبة والذكاء والعبقرية كما يمنح الجمال.

وقد يأتي الذكاء اللامع مع الوجه الدميم.

وقد يأتي الصوت الذهبي الرائع مع وجه يسمع في الإذاعة ولا يرى في التلفزيون.

وقد تأتي العبقرية مع جسم مريض بالسل.

وقد يخرج الشعر الملهم من رجل مشلول في الفراش أو امرأة كسيرة.

ولكن الله دائماً لا ينسى مخلوقاته. إنه يعطي لكل واحد منهم كنزاً وعلى كل واحد أن يكتشف كنزه.

وغلطتك أنك تبحثين عن كنوزك في وجهك وملامحك.. تبحثين عنها في المرأة وفي عيون الرجال ومعاكسات الطرق.. وهذه نظرة محدودة الأفق.

لماذا لا تبحثين عن كنوزك في مكان آخر غير مقاسات جسمك ولون شعرك واكتناز شفقتك.

قد يكون الكنز في صوتك فتكونين خليفة أم كلثوم.
وقد يكون الكنز في عقلك فتكونين خليفة مدام كوري.
قد يكون في موهبة فنية كامنة فيك فتكونين خليفة أنامانياتي.
قد يكون الكنز في قلمك فتكونين خليفة أميلي برونتي وجورج صاند.

ابحني عن نفسك ودعي الحقد، والمرارة والكراهية فهي ستائر مظلمة تحجب عنك نفسك.

لا تتحسسي شعرك وإنما تحسسي أعماقك.

حاولي أن تنظري إلى الناس وإلى الحياة وإلى الدنيا وإلى الله بكل محبة.

وتأكدى أن جمال الوجه هو أول جمال يذبل.

أما جمال النفوس والمواهب فهو يزداد تألقاً ولمعاناً مع العمر. وها هو صوت أم كلثوم يزداد جمالاً.

وهيلين كيلر البكاء والصياء ملنقى إعجاب الملايين في حياتها وموتها وخي أكل الناس حظاً في كل شيء.

تأكدى أن الله لا ينسى أحداً.

ولكن نحن ننسى أنفسنا في دوامات الحقد والكراهية والحسد فلا نعرف أين نجد آثار النعمة التي اختصنا بها الخالق ونضيع منا حياتنا دون أن نكتشف كنوزها.

من كان يتصور أن الصحراء الجرداء القفر تخفى ثروة من الذهب الأسود في باطنها.

ولكن الأمر احتاج إلى جهد مضن وإلى حفر.

وعليك أن تحفرى فى داخل نفسك بحثاً عن منجم الذهب.

يا أخت ليلى.. الحسد يعميك تماماً عما هو فى نفسك.. يشل كل قدراتك وحواسك ويحول بينك وبين الانفتاح على نفسك وعلى العالم.

إن الله لا يظلمك.. ولكنك أنت ظلمت نفسك بأن أسدلت على عينيك ستار العمى الذى لا يرى إلا حلاوة الشكل.

ولكن الإنسان ليس بمجرد شكل.

المرأة ليست سجادة.

المرأة روح وقلب وشعور وعواطف ووجدان قبل أن تكون

بمجرد لحم ودم.

ابنتى تحب

ليست المشكلة خاصة بى فمشاكلى تعودت أن أحلها بنفسى ولا أستشير فيها غير أطراف النزاع.. وبالنسبة لرجل زار معظم دول أوروبا وتعرف على مختلف العادات والتقاليد وكان له شباب حافل بالمغامرة مثلى فما أسهل أن يحل ما يعترضه من مشاكل معتمداً على خبرته ومعاناته.

ومع ذلك أعترف أنى فى هذه المرة عاجز تماماً عن الحل.. ربما لأن المشكلة ليست مشكلتى.. وربما لأنها تخص أعز ما أملك فى هذه الدنيا.. ابنتى الوحيدة.

والمشكلة يا سيدى هى مما يحدث فى كل بيت. ولكن لا يعجبنى تصرف كل بيت تجاهها.. فابنتى تحب شاباً فى الثانية والعشرين من عمره ما زال طالباً فى كلية الطب وأمامه إلى أن ينهى دراسته ثلاث سنوات.

ولكن المشكلة أنى بعد أن عرفت بعلاقة ابنتى بهذا الشاب لم أنشأ أن أعاملها بقسوة وأطلب منها قطع كل علاقة به. إيماناً منى بأن هذا الشيء لا يد أن يحدث يوماً.. وإيماناً منى بأن أوروبا كلها تمارس هذه العلاقات بحرية شديدة، وأنا نفسى كنت على علاقة

بكثير من البنات وكان أهلهم يستقبلونني في منازلهم، وكلهن من عائلات محترمة جدًا.. ولكن لم تزل في أعماقي تلك النزعة الشرقية إلى الحفاظ على العرض والغضب لكل ما يجرح الشرف والسمعة ولو بخدش صغير.. فكيف أرضى على نفسي أن تخرج ابنتي لتقابل أحد الشبان وتركب في سيارته «هذا الطالب له سيارة»، وتخرج والله أعلم أين تذهب - وهل ذهبت إلى كازينو أو إلى جلسة بريئة على شاطئ النيل كما قالت.. أم أنها ذهبت إلى شقته الخاصة.. وما أكثر وسائل الإغراء في خلوة وغرفة مغلقة على اثنين.. ومهما كانت القيم والتقاليد ينتصر الشيطان دائمًا في النهاية.

وكيف أسمح لنفسي وأنا أسغل وظيفة محترمة جدًا أن يتكلم عني الجيران وعن ابنتي بأنها تمشي مع فلان وتخرج معه في العربة. والله أعلم إلى أي حد ينتهي مثل هذا الكلام وأنت تعرف كلام الناس.

ولو فرض حتى أنها خرجت معه خروجًا بريئًا إلى أحد الكازينوهات، فمن المؤكد أنه قبلها مرارًا وتكرارًا.. وكيف أسمح لشخص كل ما يربطه بابنتي هي كلمة «إن شاء الله لما أخلص تعليمي أتجوزك».. أن يفعل معها كل هذا.

وما أدراك أنه لا يخدعها ويضحك عليها ويغري بها..

وكيف أطمئن إلى نواياه وأخلاقه.

وماذا يقول مثل هذا الشاب عن عائلة صاحبه التي تسمح له برفقتها متى شاء.. هل يقول إنها عائلة متحررة أم عائلة بطالة؟ ألف سؤال وسؤال يدور في ذهني ولا أصل إلى جواب حاسم. والمنسكلة أني كنت طيلة شبابي أنادي بضرورة الاختلاط في جميع سنى الدراسة وفي جميع مجالات العمل.. وأنادي بحرية الفتاة في أن تحب من تريد.

ولكن هذا تغير عندما أصبحت أبا.. فقد ملأت المخاوف رأسي وعادت الأفكار المحافظة تعشش في عقلي.. فأنا أتكلم الآن عن البيئة الشرقية وضرورة اختيار السلوك الملائم لكل بيئة.. فما دما نعيش في الشرق فيجب علينا أن نتصرف كشرقيين.. وإذا كنا في إنجلترا.. نستطيع أن نتصرف كإنجليز.

وأمام ابنتي أشعر بالحيرة.

هل أجبرها على قطع علاقتها بهذا الشاب برغم تصريحاتها المتكررة بأنها تحبه جدًا جدًا.

هل أسمح لها بالعلاقة وإلى أي مدى.. خاصة وأنى أقرأ في الصحف عن محتالين يقررون بالفتيات ويدعون أنهم أطباء ومحامون ومهندسون.

كيف أحمي ابنتي؟

سيدى.. أنا لا أعرف تمامًا ماذا أفعل وكيف أتصرف.

أنا أمر بأزمة نفسية يمكن أن تكون هي مرحلة التطور من

القديم إلى الحديث ويمكن أن تكون بداية العودة إلى القديم.. أو
الاندفاع إلى الحديث.

وأرجو أن أستمع إلى رأيك في هذه المشكلة.

وأرجو أن تحكم على أساس أن هذه البنت هي ابنتك، وإنك
أنت الأب الذي تمر بهذه الأزمة.

المهندس
م.أم

لا شك أن مشكلتك دقيقة جداً.. خاصة وأنت أب منححر
تتمتع بأراء متحررة روجت لها وقمت بالدعوة طول حياتك إلى
هذا التحرر بالقذوة والمثل والتوجيه.. وأنت نفسك استمتعت بهذه
الحرية بغير حدود.

وأنت بعد هذا تطرح المشكلة بعد أن خطت خطوات بعيدة.
فهذه المقابلات التي تكررت بلا اعتراض قد اكتسبت شرعية،
فهذه المقابلات توطدت إلى حب «جداً جداً» كما تقول ابنتك،
فالمنع الآن بالإكراه والعنف غير منطقي فضلاً عن أنه غير مجد..
فأمام الأمر والضغط يمكن للفتاة أن تقول لك.. لن أقابله.. ثم
تقابله في الخفاء.. وهذا أسوأ.

وإحكام الرقابة مستحيل فضلاً عن أنه سخيف وغير مقبول
من أب مثلك.

وكل ما يمكن عمله الآن هو أن تحاول ادخال هذا الشاب في
العائلة لاضفاء مزيد من الشرعية والاحترام على هذه العلاقة
ولتكون طرفاً ثالثاً يشهد ما يجري وتستطيع التعرف على هذا
الشاب، وتلمس محاسنه، وعيوبه، ودخائله. ونواياه.

رأى أن تدعوه على مائدتك، وأن تفتح له بيتك ليتردد عليه
كابن عزيز.. ومثل هذا الاحترام الذي سوف تسيفه عليه سوف
يجعله يخجل ويتردد ألف مرة قبل أن يبتذل حبه لابنتك.

والعلاقة بصورتها الجديدة سوف تجعلك في مكان النصح
والتوجيه. إنها أسلم مكان تمسك منه الدفة لتوجه السفينة إلى بر
الأمان.. وهذا ما كنت أفعله لو كنت في مكانك.

ونحن في بيئة شرقية لكن بناتنا يجلسن مع الشباب جنباً إلى
جنب. في مدرجات الجامعة.. وإعلانات السينما في الشوارع حافلة
بصور شبه عارية، والتليفزيون يعرض علينا رقصات مكشوفة،
والمجلات تروي لنا حكايات مكشوفة.

لم تعد بيئتنا شرقية وهي تتطور بسرعة نحو شكل غربي.
والعلاقات التي نخشاها على الجيل الجديد سوف تحدث رغماً عنا،
ولكن في الخفاء وراء العيون وفي سرية بذئثة وخصوصية مبتذلة
وسوف نتحول إلى آباء مخدوعين نتكلم عن الشرف المصون
وبناتنا تسوى الهوايل.

لا بد من مواجهة المشكلة في صراحة.

وصداقة في النور وفي جو عائلي وتعارف يشترك فيه جميع الأطراف سوف يكون فيها عنصر الاحترام الذي سوف يصونها من الابتذال.

وهي أفضل ألف مرة من علاقات الظلام.

والحارس الذي يصون البنت هو القيم التي تزرعها فيها وليس عقريت بابا ولا عقريت ماما.

يجب أن نقيم منها حارسة على نفسها.. وهذا دور التربية وليس من مهمات البوليس المنزلي.

والحرية خطر ولكن سلب الحرية وتخطيم شخصية البنت أخطر لأنه سوف يسلبها احترامها لنفسها وثقتها في نفسها وهي وسائل خلاصها.

ولا بد لنا أن نختار.

وعلينا أن نختار عصرنا بكل أخطاره حتى لا نعزل عنه ونفقد الفعل والتأثير عليه.

غرام أفلاطون في السويد

أنت لا شك سوف تضحك.

شاب يكتب عن غرام أفلاطوني في السويد.. بلاد المرح والجمال والمنع المتاحة والعلاقات المتحررة من كل عرف وتقليد ومن كل قيد وشرط حيث الحب رخصة كافية ليمنع كل جنس نفسه للآخر بدون تحفظ.

في جنة الحوريات حيث كل لذة حلال بلال.. وحيث الحرية الجنسية حق يمارسه الأولاد والبنات بلا ندم.. ودون أن يعتبر ما يفعله أي منهم متافيا للباقة والأصول والآداب.

من هذه اللجنة يكتب لك شاب عن غرام أفلاطوني!.. لا شك أنك سوف تضحك.. ولك الحق.. أنا أيضا أعجب لحالي مثلك ولا أعرف لنفسى دواء.

وأبدأ لك الحكاية من أوطأ.

أنا شاب مثالي طالب بيكالوريوس هندسة متفوق دائما.. حسن المظهر.. ميسور جدا من الناحية المالية.

سافرت إلى السويد مرتين.

في المرة الأولى كنت صغيراً رومانيكياً في العشرين.. عالم العينين.. شاعرياً.. شديد النقاء.

التقيت بها في أقصى الشمال، طويلة فارعة بيضاء كالثلج، متفتحة كالوردة، ندية كفاكهة الصباح، شعرها كسنابل القمح ذهبي فاتح مسترسل في خصلات كثيفة، كم أحببتها.

كنا نجلس بالساعات نتكلم.

وفي كل لحظة أجد عندها موضوعاً جديداً.

كانت تقرأ كل شيء.. وتفهم في كل شيء.. المسرح.. القصة.. الموسيقى.. النحت.. حتى الهندسة.. والسياسة.. والدين.. والفلسفة.

وكنْتُ أجلس عند قدميها كالعابد الزاهد.. لا أطمع في شيء سوى أن يمتد بنا الأجل إلى أبد لا ينتهي. لمست يديها وعانقتها وقبلتها.. ولا أكثر. وأصارحك الحقيقة لم أكن أفكر في أكثر.

كان وجودها معي فيضاً من النعمة بالنسبة لي.. وكأننا مترعة ترويني وتسكرني فلم أكن أفكر في المزيد.. وإنما كنت أتمنى أن يتوقف الزمن عند لحظات لقائنا الرائعة.. فلم يكن في وسع الزمن

ولا في وسع المستقبل - أي مستقبل - أن يكون لديه أجل من تلك اللحظات.

ومها حاولت أن أصف لك فلن أستطيع أن أنقل إليك حقيقة إحساسي، فهناك شيء.. شيء في أعماق مشاعرنا ليس له كلام يشرحه ولا توجد له حروف ولا كلمات يمكن أن تدل عليه.

وانتهى ذلك الصيف وعدت إلى بلدي وقد ازدادت إغراقاً في الرومانتيكية. وقد تلون كل شيء أمامي بلون شفاف وردى. ثم انقطعت رسائلها.. وأرسلت لي إحدى صديقاتها تقول إنها مريضة بالسنتفي.

وطال مرضها.. ولم تكتب لي!

وكنْتُ أشعر أن حياقي كلها قد تأجلت إلى حين أعود فألتقي بها أو أموت.

ومرت سنتان لم أشعر لها بطعم ولا معنى.

كنْتُ أتحرك وأنا غائب الوعي تقريباً.

وفي أول صيف كنْتُ أطيّر إلى السويد.

وما كدت أضع قدمي على أرض السويد حتى أسرعرت إليها.

كانت قد شفيت من مرضها ولكن جسمها نحل وصارت كما نقول نحن كالبوصة ولكن نحوها زادها نقاء وشفافية وكأنها أصبحت خيالاً.

ونظرت إلى في استغراب وهي تمسح عن عينيها وكأنها
تتذكرني وقالت لي بصراحتها المعهودة.. أنها لطول ما عانت في
المستشفى من عذاب وآلام قد نسيته.. نعم.. نسيته..
وصدقتها.. فهي لم تكذب، فلم تكن بيننا موثيق ولا عهود
ولا اتفاق على أى شيء..

حسنًا.. لقد جاءت النهاية إذن.

وما مضى أصبح من المستحيل بعثه.

كم شعرت بالوحدة بعد هذا اللقاء..

وكم استبدت بي الوحدة بعد ذلك.

رحلت أنشد السلوى في علاقة أخرى.. وأخرى.. وأخرى..
وفي هذه المرة كانت علاقاتي تصل إلى كامل غاياتها.. لم أتغف
عن شيء.. غرقت في إشباع مستمر.. أمتع حواسي بكل شيء..
وفي تلك البلاد كل شيء ممكن وما أيسر أن يصل الحب إلى
الفراش.

وكلهن بيضاوات كالثلج.. شقراوات كأنهن متوجات بالذهب
موردات الخدود.. دمويات الشفاه.. فيهن حيوية وصحة وشباب
وكانهن فاكهة طازجة مليئة بالعصير.. وكلهن محدثات لبقات
ذوات ثقافة واطلاع وذوق فني رفيع.

لم تكن فيهن واحدة أقل جمالا ولا أقل رقة من صاحبتى.
الأولى.

وبعضهن كن أكثر منها جمالا وثقافة.

وفد وجدت في أحضانهن كل ما يرغب فيه شاب.

ولكن مع ذلك لم أرتو أبدًا.

ولم أشعر بالسعادة أبدًا.

ولم أشعر بالهناء أبدًا.

إنما هي وسائل أيدد بها طاقى حتى يهدنى النعب فأرتقى على
العرائس لأنام.. وأبكى.

نعم كنت أبكى كالطفل اليتيم المسكين.

حاولت أن أنسى.. ولكن طيفها ظل يلاحقني.. ولحظات النقاء
والسر والحلم التي عشتها معها كانت أقوى من كل الواقع
الممتع الذي أغرقت نفسي فيه.

عدت إلى بلدى وحاولت أن أندمج في جو بلدى الجديد.
وحاولت أن أجدد عواطفى الميته بعلاقات مع بنات بلدى.
ولكن كنت في كل مرة أشعر أن بنات بلدى تافهات.. فهن
بعد المقابلة الثالثة والرابعة يفقدن القدرة على الحديث.. ثم
لا يعود لديهن شيء يقلنه ويكتفين بالانصات.. أو الانشغال
بشيء.. أو يتفوهن بكلام تافه.

لئى فتاة قريبتى عزيزة على.. فكرت في أن أخطبها.. ولكنى لم
جد في نفسى القوة على أن أقدم على هذه الخطوة، فأنا أقارن

بينها في كل لحظة وبين حبيبتي الأولى. وأشعر أني أظلمها وأظلم نفسي لو ادعيت أني أحبها كما أحب الأولى.

أنا مقتنع تمامًا بأن بنت بلدي ستكون زوجة أحسن لي وستكون أكثر وفاء وإخلاصًا ولياقة من أي أجنبية.. ولكن ماذا أفعل في قلبي وماذا أفعل لعقلي الذي يريد أن يستمتع ببنت تتذوق الثقافة والمعرفة والفن.

لماذا لا تقرأ بناتنا الكتب؟؟

لماذا لا يتعلمن؟

لماذا لا يتحدثن كما تتحدث بنات الشمال؟

أصارعك الحقيقة أنا ألعن اليوم الذي سافرت فيه إلى الشمال.. فقد أفسدت هذه السفرية على طعم حياتي وغيّرت القيم والألوان أمام عيني.

هل أنا أطلب الكثير؟

هل أنا أطلب المستحيل؟

هل أعيش في وهم جسمه خيالي وأنا في مستهل ربيعي أفكر باستمرار.. هل يتحرك قلبي فيحب من جديد.

وهل سيكتب علي أن أتزوج من لا تفهمتي؟

ألا يتخرج في مصر جيل من البنات المثقفات الواعيات يتحدثن بهذه اللباقة التي تتحدث بها بنات الشمال.

أنا لا أنتقد بنات بلدي، فأنا أيضًا أعلم أني أولى بالنقد أكثر منهن ولكني مسكين.. صدقني.. مسكين بعقلي وعاطفتي.

أحمد

هذا هو الحب الأول وأوهامه مرة أخرى.

وأنت متفق معي على أن فتاة أحلامك لم تكن أجمل من قابلت.. فأنت تقول إنك قابلت بعدها من بنات وطنها من هن أجمل وأكثر ثقافة منها، وأنت وجدت في أحضانهن كل ما يرغب فيه الشاب. وأنت معترف أن بنات وطنك أكثر لياقة وأكثر إخلاصًا وأكثر وفاء.

إنه إذن وهم الانطلاقة الأولى.. ونشوة القبلية الأولى.. وخیالات الحب الأول ورسوماته الحادة في الذهن.

وحكاية الأفلاطونية هذه كانت في رأسك أنت وحدك.. كانت تقابلك أنت والعفة التي حملتها إلى الشمال من بيتك.. أما صاحبك التي كنت تجلس كالزاهد عند قدميها فهي لا شك كانت تفكر بطريقة أخرى وبتقاليد أخرى، وكانت لا شك تعجب لحال هذا الولد الخجول الذي لا يمضي في حبه معها كما يجب أن يمضي كل حب تعرفه.

ولا شك أن حبك من جهة نظرهما.. كان حبًا ناقصًا.. ولهذا ما لثت أن طواه النسيان.

أما حكاية بياضها الذى فى نقاء الثلج وملائكتها وأشعارها
واطلاعها الواسع فى الفن والفلسفة، فأنت بتفلسك اكتشفت أن
هذا حال كل بنات الشمال.. وأن هذه الثقافة والنقاء والملائكية لم
تكن تمنع من انتقال الغرام إلى الفراش وإطفاء النور فى كل
حالة.

كانت أفلاطونيتك إذن أفلاطونية من جانب واحد.
وكانت من وجهة نظرها شذوذاً.

والرسم الذى رسمته لها فى خيالك كان وهماً صورته لك
نشأتك وتقاليدك.. وهم لا وجود له فى الواقع.. فهى بنت متحللة
مثل أى بنت متحللة أخرى من بنات الشمال.

ولو أن قريبتك التى تفكر فى خطوبتها تصرفت بهذه الحربة
وذات نصف هذه المتع التى تتمرغ فيها بنت الشمال لما قبلتها
زوجة حتى ولو كانت لها عقلية شكسبير ولياقة فولتير.

وصدقنى أن هذا النسيء الذى تتصوره عيباً فى بناتنا.. هو ميزة
عظيمة فيهن كزوجات.. فالمحديث قد يحلو فى جلسة غرام ولكنه
فى زواج وفى حياة مستمرة بين زوجين يصبح ثرثرة لا نطاق.
والزوجة القليلة الكلام نعمة من عند الله.

أما الزوجة التى تحادثك كل يوم وكأنها ناقدة وتحلل وتعلق
وتعقب على كل كلمة تقولها.. فإنها مصيبة.

وهناك اعتبار أهم من كل هذه الاعتبارات، هو وحدة التقاليد
وانسجام العادات.. وهى راحة لن تشعر بها إلا إذا تزوجت من
بيتك ومن وطنك.. وهى وحدة مفقودة تماماً فى أى زواج أو حب
بين مصرى شرقى وسويدية شمالية.. وما عدا ذلك أوهام.. مهما
خيل إليك أنه حقيقة.

أما أنك ستحب ثانية.. فهو أمر مؤكد.. فأنت ستحب حباً
ثانياً وسيكون حباً أعمق.

وستنسى صاحبك وستتحول ذكراها إلى كارت بوستال جميل
غير ضار.. بين الكروت التى جمعتها فى سفرياتك.

صرخة إلى الذى يرحم

لماذا أكتب لك دون سابق معرفة؟
هل ترانى أطمع فى أن أجد لديك حلا.. لا أظن.. فلا جل
هناك؟

أترانى ضقت ذرعاً بصمتى الطويل فأردت أن أخفف عن
نفسى بالكلام؟.. ربما.

شاب فى الثالثة والثلاثين.. فى تلك السن المفرحة التى يقول
فيها الرجل.. لقد أحببت.. لقد تزوجت.. لقد أنجبت طفلاً.. لقد
حققت نجاحاً فى عملى.. لقد.. لقد..

سن العمل والحب والمخاطرة.. سن التضج والإقبال على الحياة
بملء القلب.

أما عندي فهى سن الانكسار.. سن اليأس.. السن التى
أغلقت فيها كل الأبواب وكل المنافذ التى يدخل منها النور
ولأبدأ من البداية.

البداية المشرقة.. وأنا فى المدرسة الابتدائية آخذ الجوائز
الأولى فى الرياضة وأنجح كل سنة بتفوق.. وينظر إلى زملائى فى

حسد.. وأنظر أنا إلى نفسى فى زهر واقتخار.

وفى المدرسة الثانوية وأنا أفقر من سنة إلى سنة وأتصدر
الفصول وأخذ التوجيهية بمجموع عظيم يؤهلنى لكى أختار
وأخطط لمستقبلى كما أشاء.

ولكن القدر كان قد خطط لى بالفعل واختار لى مصيرى
وكتب لى قسمتى دون أن ينتظر إمضائى.

إنه الحرية التى تكتب عنها دائماً فى كتبك خرافة.

ولعلك تكتب عنها لتطمئن نفسك.. فالحياة بدون «وهم
حرية» وأقول «وهم حرية».. شىء غير مستطاع.. أقول هذا مع
إعجابى الشديد بكل ما تكتب.. ولكن ما رأيك فى هذا الذى
حدث لى بعد ذلك وكيف تفسره.. مرض بطىء خبيث راح يزحف على
كبانى كله فى بطنى ولكن فى إصرار.. يتفاقم يوماً بعد يوم.. ويسير
من سبىء إلى أسوأ برغم طب الأطباء من كل لون ومن كل بلد.
ضعف خبيث يلم بالعضلات.. وعضلات الحركة بالذات.. يبدأ
خفيفاً بسيطاً ثم يتفاقم.

أصحو فى الصباح فما أكاد أغسل وجهى وألبس ثيابى حتى
أشعر أنى قمت بمجهود عنيف وأن عضلاتى بدأت تتخاذل، وكأنى
قضيت ساعات أرفع فيها الأثقال.. وأتحامل على نفسى وأنزل
السلم فأشعر أنى أجر نفسى جراً.

وما يكاد النهار يتنهر حتى أرتقى فى فراشى وكأنى كنت

أجري طوال الوقت مع أنى لم أقم بمجهود ذى بال.
ويومًا بعد يوم تتفاقم الحالة.. فأشعر بأنى فى حاجة إلى من
يعاوننى فيصب على رأسى الماء ويناولنى البشكير ويلبسنى الجاكته.
ثم أشعر أنى فى حاجة إلى تاكسى فى متوار لا يزيد عن محطة
ترام.

ثم لا أعود أستطيع الوقوف انتظارًا للأتوبيس.. عضلاتى
لا تقوى على حملى.. ساقاى تتخلدانى وتتهاويان تحتى فأشعر بأنى
فى حاجة إلى رفيق أستند عليه.

ولكنى لا أكاد أتثبت بهذا الرفيق حتى تكل ذراعاى وينخلع
كتفى.. وتتهاوى ذراعاى الاثنان أيضًا.. ثم أتهاوى مثل غرارة
من القش وكأنى فقدت أطرافى تمامًا.

ثم يتفاقم الأمر ويستلمنى العجز من الصباح فلا أعود قادرا
على مبارحة الفراش.. أطرافى تتحرك فلا تكاد تقوى على حملى.
ثم يتفاقم الأمر أكثر فلا أعود أستطيع أن أجذب الغطاء على
جسدى فى ليلة باردة فأظل أرتجف.. والبيت كله نائم.. لا أملك
سوى انتظار الصباح.. أو انتظار معجزة أن يصحو أحدهم
ويدخل على بالمصادفة فيجذب على جسدى الغطاء أو يغلق
النافذة التى تركت مواربة.. وأنا أخجل أن أوقظهم بصياحى فهم
يقضون النهار فى خدمتى وماذا فى وسعهم أكثر من ذلك.
وقد اكتشفت حقيقة هامة.. أن الإنسان ثقيل، وهو يصيح

ثقيلًا جدًا حينها يمرض ويفقد القدرة على خدمة نفسه.. والإنسان
السليم قد يتحمس مرة للمساعدة.. وقد يشفق مرات.. وقد
يعطف يومًا بعد يوم وشهريًا بعد شهر.. ولكن عواطفه سوف
تعب.. وصبره سوف يتقد، وخاصة حينها يشعر أنه لا أمل
ولا فائدة ولا نهاية.. وحينئذ الويل للمريض من السليم.. إنه
سيتحول بالنسبة له إلى رفيق كئيب.. وضعيف ثقيل.. وحمل كريمة..
وكابوس.. إلى شىء مثل الصرصار فى رواية كافكا يتمنى له الكل
أن يقع فى البالوعة ويموت وحينها يتباطأ فى موته ترى الكل
يتابعون إلى كنسه بمكنسة والقائه فى البالوعة.

وأنا أحكى لك عن الناس حولى.. وعذابهم.
أما عذابى أنا فأنت يمكن أن تتصوره..

ساب فى العسر ينحدر ببطء واستمرار إلى هوة فظيعة من
العجز.. ويظل يتدهور شيئًا فشيئًا حتى يرتقى فى فراشه لا يبرحه
ولا يستطيع حتى أن يغير الجنب الذى ينام عليه.. والأطباء
يدخلون ويخرجون ويضعون السماعات ويطلقون عضلاتى
بمطارفهم ويقلبوننى على كل جنب ثم يتجهمون ويقولون فى
نبرات متقلة.. إنه ليس شللًا.

ليس شللًا؟.. الحمد لله.. أقول أنا فى نفسى.. ولكنهم
يتجهمون فالشلل يشفى.. وهناك ألف طريقة وطريقة لعلاج
الشلل وما أعانى منه ليس شللًا إنه «ميوباثى» حالة غامضة

تضمحل فيها العضلات وتفقد القدرة على أداء وظائفها لغير سبب معروف حالة لا علاج لها ولا أمل فيها.. والمستقبل فيها أن تتدهور أكثر وأكثر.. ولا تتوقف إلا بالموت.. بعد عمر طويل.. أو عذاب طويل على الأصح.
إذن لابد أن أعد نفسي لمواجهة المستقبل ولقبول حياة كالموت.

أنا ابن العشرين.
وأحاول أن أخلق لنفسى عالماً خاصاً أبنيه بخيالى من الكتب والروايات التى أقرأها.
الكتب.. كل أنواع الكتب.. المترجمة والمؤلفة.. الحديثة والقديمة.. الروايات والبحوث والقصص والدوايات.. أقرأ وأقرأ لأقتل الوقت قبل أن يقتلنى.. وأقرأ لأنسى نفسى فى خيالات الآخرين.. حيلة العاجز لمحاربة الضجر ومقابلة الآلام.. والمساءلة فى النهاية كما يقول الإمام الشافعى حينما قال له أحدهم.. لقد حفظ فلان البخارى فقال الإمام.. لقد زادت نسخة فى البلد.
نعم إن كل ما فى الحكاية.. أنها نسخة تزيد.. من كل كتاب أقرأه.

ثم لا شئ أكثر.
الوقت يمضى.. شكراً للمؤلفين يشغلوننى عن نفسى بخيالاتهم.
سنة خمس وعشرون سنة.

سنى ثلاثون سنة.

إنها بنت عمى التى كنت أبادها وأنا طالب نظرات الحب.. وكانت هى تبادلنى العشم.. ظلت تنتظر سنة بعد سنة.. ولكن كما قلت العواطف تتعب.. وهى تذبل كما تذبل أوراق الشجر حينما لا يروىها الأمل.. وهى تجف.. وهى تسقط كما تسقط أوراق الخريف.

وبنت عمى تتزوج.
وهذا أمر طبيعى بالنسبة لها.
ولكن بالنسبة لى.. قطعة أخرى من حياى تؤخذ منى.. كذراعى وساقى التى لم أعد أملكها.
لست أنا لئلا لأتصور أنها يمكن أن تنتظر.. وكيف تنتظر.. وتنتظر من.. وتنتظر ماذا؟..
ولست غيباً لأطالبها بالوفاء لعهد لا وجود له ولرجل لا وجود له.
ولكنى مع ذلك.. أنا بشر.
نعم.. أنا بشر.

وهناك أنواع من الحزن هى اللا معقول بعينه.
وحزنى على حبيبى الذى راح هو حزن من هذا اللا معقول.. أغاليه بالإغراق فى الخيال.. بالابتسام.. بالتبلىد للقدر.. كلما شدد

من ضرباته شددت من عنادى وكأني أنطحه كما ينطحني.
وأسمع بأذني التعليقات من وراء ظهرى.
إنه يبتسم.. إنه فقد الشعور والإحساس كما فقد القدرة على
الحركة.

والله وحده يعلم كم أشعر.. وكم أتألم.
الله يعلم أنه التجلد لا التبلد.

سؤال واحد يحيرنى.

أسأله لنفسى ألف مرة كل يوم.. حتى ليكاد عقلى ينفجر.
لماذا اختارنى الله لهذه المحرقة التى قيدنى بها ليل نهار. لماذا
اختارنى أنا بالذات دون بقية الناس.. هل ترائى اقترقت ذنباً
دون أن أشعر؟ لا أظن.. فقد كنت متديناً شديد التمسك بالإيمان
أصلى وأصوم وأحب للآخرين ما أحب لنفسى.. وحتى ولو على
أبعد الفروض أنى ارتكبت ذنباً فأقصى عقوبة نعرفها نحن قساة
القلوب هى السجن المؤبد خمس وعشرون سنة أو الإعدام وقد
استنفدت الأولى وتمنيت ومازلت أتمنى أن أنال الثانية لأريح
وأستريح.

والسجن والإعدام دستور القساة الخطاة ذوى العقول
القاصرة والعدالة العاجزة أمثالنا نحن البشر.. إنه قانوننا نحن
الناقصين.

وحتى فى قانوننا هناك العفو والتنازل عن ربع المدة

والاستئناف وإيقاف التنفيذ وقبول التعويض بدلا من السجن.
فما بال ربنا، العظيم فى رحمته، العظيم فى قانونه.
لقد أجمعت كل الأديان على أنه الرحمن التواب الغفور.
لماذا لا يرحمنى.

أنا أصرخ.

وهو يسمعنى.

ولكنى ما زلت أنلوى على المحرقة.. وحالى يتدهور يوماً بعد
يوم وساعة بعد ساعة. واليقين الوحيد الذى أعيش فيه هو يقين
العذاب والعذاب أكثر وأكثراً.

هل تفهمنى.

سوف تعزبنى بأن لى الجنة بعد الموت.. ولكن من يدري بأنى
داخل جنة.

أنت تفهمنى ولا شك.

أنا أعلم أنك الوحيد الذى تفهمنى.. أنت الطبيب الأديب..
فماذا تقول؟

ألا تزال تؤمن بأنى حر؟

عادل

أنت فى بلاء عظيم.. وأى كلمة عزاء هى كلمة مبتذلة بالنسبة

لما تعانيه.. فقد دفعك عذابك وصبرك وجلدك إلى أشرف مكان
فلم تعد بالإنسان القليل الخيرة الذي تقال له النصيحة وإنما أنت
بما تعانيه نبع حكمة وكثر معرفة.

وما يشيره عذابك من أسئلة.. هي أسئلة لا جواب عليها.
هي أسئلة تحيرني كما تحيرك.. كما تحير كل من حاول أن
يفكر في نزاهة وصدق.

وطالما سألت نفسي وأنا أرى الأرض غارقة في المظالم سابعة
في الدم منذ أن بدأ تاريخها.. وأنا أرى بشاعة الآلام على أسرة
المرضى والمحتضرين.

وأنا أقف مشدوهاً أمام طفل مشلول يبكي: يا إلهي وماذا فعل
هذا الطفل أيضاً ليتألم.

وأنا أرى الأوبئة تحصد كل شيء حتى الأجنة في بطون
الأمهات.

وأنا أبحث عن الرحمة فلا أجدها.
وبرغم كل شيء.. فأنا لم أشك أبداً في عدل الله ولا في
حكيمته.. ولكن حكيمته أحياناً تخفى على العقول.

ويبدو الأمر غير مفهوم بالمرة..
يبدو أنه اللا معقول بعينه.

ولا أحد ممن فكروا في الشر قد وجد له تفسيراً واحداً
معقولاً..

إنه عقاب.. عقاب لمن؟.. والأطفال أول من يذهب من
ضحاياها أنا لا أعرف.

ولكني أعرف أنك حر.. فأنت لا تنهار تحت الردم.. وإنما أنت
تصرخ.. وكما تقول في خطاباتك أنت تغالب الغلب بالابتسام.
وكلما شدد القدر من ضرباته كلما شددت من عنادك وكأنك تنطحه
كما ينطحك.

أنت موجود إذن وإرادتك المتمردة تثبت معدنها الصلب الذي
لا يلين في مواجهة تلك المطرقة الهائلة التي تنزل عليك بلا هوادة.
والحرية ليست فقط حريتنا في أن نتحرك.. وإنما قدرتنا في أن
نحتفظ بعزائنا صلبة مشرعة في مواجهة عوامل الهوان والإذلال
هي دليل حرية.. أي حرية.

ولا أحد منا يملك الحرية المطلقة.. وإنما هي دائماً حرية نسبية
في مواجهة طاحونة القدر الدوار.

وهي حرية ضئيلة ولكننا سنصل بها إلى القمر وسنفزو النجوم
وبين يوم وليلة سوف يكتشف طبيب مخلص الدواء الشافي لمرضك.

وكما اكتشف دواء للسيل وعقار حاسم للتيقود ولقاح للحصبة
وكانت كلها أمراضاً بلا دواء.. فلا بد أن يكتشف دواء للميوياثي
إنه ليس أملاً خالياً.. ولكنه أمل متواضع في حدود العلم والحكمة.

ابتسم صابراً، وثق أن هناك ألوفاً من العلماء لا تعرفهم
يفكرون كل يوم من أجلك.

وتأكد أن هناك حكمة لعذابك ولكنها محجوبة عنك وعننا،
وتأكد أن الله يخفى لك أجراً عظيماً فهو الرحيم الذي تتجاوز
رحمته رحمة كل الرحاء.

حيوان

سیدی..

هل خلت الدنيا من المبادئ.. هل تدهورت الأخلاق..
وفسدت القيم.

أكتب لك الآن وأنا أبكي.
وسوف أبدأ معك من البداية.

نشأت في أسرة كبيرة العدد متيسرة الحال.. أحببت أمي وأبي
وأخوتي وكنت أنظر إليهم على أنهم مثل عليا.. إلى أن كان يوم
جاءت فيه خالتي لزيارتنا فطردتها أمي وعلمت فيما بعد أنه كانت
هناك علاقة بين أبي وخالتي.. أبي الذي اعتبرته أكمل رجل في
الدنيا.. وخالتي السيدة الفاضلة المحترمة زوجة الرجل الكامل
كانت صدمة جعلت كل القيم تهتز أمامي وبدأت أفتح عيني لأرى
كل شيء حولي.

ورأيت العجب.

رأيت أخي الأكبر يقبل الخادمة في المطبخ.
ورأيت زوجته تغازل أخاه الأصغر.

وضبطت خطاباً غرامياً في حقبة أختي المتزوجة.

حتى أمي الشريفة العفيفة رأيتها تقبل هدايا من أصدقاء أولادها وتحفظ بتذكارات لهم.. وحينما فاتحتها في الأمر قالت لي إنها لا مانع عندها من أن تضحك على أي رجل عييط وتدعه يجري وراءها ما دام لا ينال منها شيئاً، وإن ضميرها لا يؤنبها ما دامت لا تسلم نفسها لأحد.. وانهارت أعصابي.. وقاطعت العائلة كلها.. وتبدلت نظرتي إلى الدنيا وإلى الرجال والنساء.. فأصبحت نظرة احتقار وازدراء إلى كل رجل وكل امرأة.. ورفضت كل من تقدموا لخطبتي.. وسيطر على الخوف فأصبحت أتجنب الانفراد بأي رجل في أي مكان حتى ولو كان أخي.. وأرتجف اشمئزاً من النظرات التي تنفرسني في الطريق.

كم تعذبت وكم تألمت بسبب هذه المخاوف.. إلى أن كان يوم منذ عام تقريباً وكنت قد تخرجت لتوى من الجامعة والتحقت بإحدى الشركات. جاء إلى القاهرة رجل أمريكي استضافه أخي في البيت عدة أيام، لأنه كان قد تعرف به في أثناء وجوده في أمريكا.

وفرح الجميع به فهو من مظاهر المدنية التي يتشددون بها.. ورأيت الرجل.

ولأول مرة في حياتي نسيت خوفاً من الرجال.. ونسيت كل شيء إلا أنني أمام إنسان مهذب.. رجل يختلف تماماً عن كل

الرجال الذين عرفتهم.. ينظر في عيني عندما يحدثني ولا ينظر إلى صدري وساقى.. مثقف.. عاقل.. مهذب، وتحرك في قلبي إحساس حلواني.

وذاًت يوم اعترف لي بحبه وعرض عليّ الزواج.. وقال إننا سنتقاسم التضحيات.. هو يضحي بدينه وأنا أضحي ببلدي وأسافر معه، فاتحت أمي بالحكاية وصارحتها بأني أحبه ولا أستطيع أن أعيش يوماً واحداً بدونه.. بكيت وتوسلت.. ثم أذعنت للأمر الواقع.. وكذلك الجميع.. وباركوا حبنا.

وفي أيام كنا قد استكملنا الإجراءات، وبعد ساعات كنا نعلق فوق السحاب طائرين إلى أمريكا زوجين سعيدين.. وكنت أمسك بيده وآلاف الصور والأخيلة الحبيبة الأليفة تمر بذهني.. سينا روكسي وإسكندرية وميامي وعم عبده اليواب وذكريات الطفولة.. وآلاف الأشياء الصغيرة التي كانت في الظلام تم غمرها النور فجأة.

وحينما نزلت الطائرة على أرض أمريكا رأيت نفسي فجأة بين وجوه غريبة.. والتفت أصدقاءه وأقاربه حولي.. وشعرت بوحدة ووحشة.. ونسيت بيده بشدة ليحمني من هذا الإحساس الغامر بالقرية.

ثم بدأت المفاجآت..

اكتشفت أنه أعلن إسلامه كذباً ورياءً ليتزوج بي فقد عاد من

أول يوم إلى التردد على الكنيسة، وأصر على أن يصحبني معه فرفضت. وكانت المفاجأة الثانية هي السهر والشرب والرقص.. كل ليلة يصر على أن يصحبني معه في كل مرقص ويقدمني لأصدقائه.. وكل واحد يتقدم ومع المراقبة ملاطفة.. ثم ما هو أكثر من الملاطفة.. وكأنس أخرى في صحة سمراء النيل.. رجال كثيرون كلهم سكارى وروائحهم كريهة، وكل واحد معه زوجته وكل واحد يرقص مع زوجة الآخر ويلاطفها ويقبلها.. ويختل بها في ركن.. وفي نواد ليلية خاصة يتم تبادل الزوجات والأزواج في حرية أكثر.. حيث يختل كل اثنين في غرفة برضاء الجميع وباتفاقهم على اعتبار أن هذا اللقاء الأسبوعي ينعش الحواس ويعالج الملل.. هذا غير الشذوذ الجنسي بين الرجال.. والتفنن في القذارة وفي الدعارة من كل نوع.

وطبعاً رفضت هذه السهرات.. رفضت مراقبة أى رجل غير زوجي.. ورفضت الأنخاب المتتالية في صحتي.. وتوسلت إلى زوجي أن يتركني وحدي في البيت ويسهر كما يشاء.. وطبعاً تشاجر معي وقال عني رجعية ومعقدة. ثم أصبح يسهر وحده ثم اكتشفت أنه أصبح يسهر مع شقراء أمريكية متزوجة أخلاقها على شاكلته.. واجهيه بالحقيقة فضحك قائلاً.. ولم لا.. إنها على الأقل تفهمني.

وأصبحت لا أراه إلا لما لم أعد أطيق حياة الغربة والمذل

في بلد غريبة وطلبت منه أن يطلقني.. فبادر إلى تطليقي وبدون تردد.. وحجز لي تذكرة على أول طائرة.. ولم يفكر حتى في توديعي.

وعدت إلى بلدي ذليلة منكسرة واستقبلتني أمي استقبالا هون على الأمر.

ولكني لم أستطع الحياة.. وحاولت الانتحار مرتين وفي كل مرة أنفذوني.. وفي كل مرة كنت أستيقظ لأجد أمي تبكي وتتوسل لم فعلت هذا.

ماذا أقول لها؟

هل أقول إنى صدمت فيها وفي أبي وفي إخوتي.. وفي زوجي وفي الدنيا كلها.. وإنه لم تعد لي حياة في هذا العالم الذي خلا من القيم.

أغلق على باب غرفتي.. وأبكي.. وأشعر أنه لا يوجد حل لأمنائي سوى الموت.

عرض على أخي أن أعود إلى العمل خاصة وقد أصبحت أتقن اللغة الإنجليزية.. ولكنني لا أريد أن أرى أحداً.. فقدت الثقة بكل شيء وبكل الناس.

سمراء النيل



لابد أن تعودى إلى العمل الآن وفوراً وبلا تردد، وتقلعي عن

هذه الفلسفة المراهقة بأن الدنيا فساد في فساد، وأن الحياة مر
وقدارة ودعارة ولا أمل فيها. فنحن أحياناً نأكل بيضاً فاسداً
ونمرض ولا يعنى هذا أبداً أن كل البيض فاسد. ولا شك أن
زواجك بالأمريكي وسفرك إلى أمريكا كان غلطة، ولا شك أن
المحيط الذى عشت فيه مع أصدقاء زوجك كان وسطاً داعراً
منحلاً.. ولكنك غسلت يدك من هذه الغلطة وهذا الوسط..
وعدت إلى بلدك، ومصر غير أمريكا.

ومهما كانت هناك مبادئ عند بعض الناس فما زال الخير
والفضيلة والعفة هي القاعدة عند الأغلبية من الرجال والنساء.
والدنيا لسه بخير يا سمراء.

ولو خرجت عن دائرة صلاتك المحدودة وازددت احتكاكاً
بالدنيا من خلال عملك، فسوف تجد الشرف والخلق والرجولة
الكاملة عند الكثيرين.

لا تدفنى أملك ولا تضعى حياتك لأنك ضببت خطاباً
غرامياً في حقيبة أختك، أو لأنك رأيت أملك تقبل هدايا وتذكارات
من أصدقاء أولادها، أو لأنك سمعت أن أباك كان على علاقة
بخالتك كل هذه مسائل تافهة.. وكل واحد له عالمه الخاص وله
سقطاته وله ضعفه.. وحينما تتخلى امرأة عن أخلاقياتها فليس
معنى هذا أن الأخلاق انتهت والعالم انتهى.

والحياة بحر أنت مازلت على شطآنه.

وأحياناً لا بد لنا أن نخوض الأوحال والرمال لنصل إلى اللؤلؤ
والمحار والمياه الصافية والأعماق الشفافة.
ورسالتك وعذابك وآلامك قالت لى إنك إنسانة عظيمة..
والإنسانة العظيمة لا تنتحر.
وانما تعمل وتكافح لتصل إلى رجلها العظيم.

الحب الذليل

أنا شاب في الثامنة والعشرين من عمري تخرجت منذ عامين في الجامعة.. أتمتع بوجه دميم وذكاء نادر كما يقول الجميع. بدأت القصة وأنا في السنة الثانية بالكلية حينما سكنت في الشقة المقابلة لأسرة جديدة.. وعندما عدت من الكلية وقفت في البلكونة أتفرج على السكان الجدد وشدت بصرى فتاة في الخامسة عشر ربيعاً فيها جمال أفروديت. وكانت طالبة في الإعدادية في ذلك الوقت.

وفي اليوم التالي تبادلنا والدتي والدتي تحية الصباح.. وكلمة من هنا وكلمة من هناك أصبحتا صديقتين حميمتين كل واحدة تحكي للأخرى أحوالها.. وطبعاً حكيت أُمى لجارتها عن نبوغى وتفوقى فقالت أم الفتاة على الفور إنها ترجو أن أعطى أبنيتها درساً في الرياضة والعلوم.. وكانت فرصة ذهبية.. بالنسبة لى أن أعرف على هذا الجمال.

وبدأ أول درس جاد جداً.. وفي الدرس التالى تكلمنا.. وعرفت فيما بعد من الفتاة أن أمها تدفعها دفعاً.. تتيح لنا

الفرص لينفرد بعضنا ببعض طويلاً وكنت في ذلك الوقت أتقاضى من الكلية ١٣ جنيهًا مكافأة شهرية على نجاحى بتقدير ممتاز من السنة الأولى للسنة الثانية.. وكنت أشتري بنصف هذا المبلغ هدية لتلميذتى كل شهر.. وكنت أتعلل بأسباب كاذبة لضياح المبلغ فأقول لأبى إني اشتريت به كتاباً أو دفعتة خصومات للمعامل نظير ما كسرت من أجهزة.. وكان الرجل الطيب يصدق إذ تعود منى الصدق دائماً.. وكانت هذه أول مرة أكذب فيها.

وكنت أدهش حينما أرى الفتاة تلبس ما أعطيها من هدايا بدون خوف من أمها. ثم علمت بعد ذلك أن أمها على علم بكل شيء وأنها تنسجها.

وسارت الحياة طوال السنة الثانية على هذا المنوال ونجحت كالعادة بتقدير ممتاز.. لم يكن حى يشغلنى وإنما كان يشجعنى على الطموح والعمل.. كنت أحلم بأن أفوز بجائزة عيد العلم وأكون أول الكلية في البكالوريوس.. وفعلاً نجحت مرة أخرى بتقدير امتياز من السنة الثالثة إلى الرابعة.. ونجحت الفتاة في الإعدادية ثم قعدت في البيت انتظاراً لأن أتقدم لخطبتها وكان هذا ما نويته بالفعل حينما أخرج.

وجاءت السنة الرابعة - أى البكالوريوس - ونجحت بتقدير ممتاز ٩٣٪ في الترم الأول وانهالت على القبلات من الأسرة.. واندحجت في المذاكرة والتحصيل ومقابلة الفتاة في منزلها مرة وفي

منزلنا مرة أخرى وكنت لا أكتفى بالمذاكرة والكشاكيل بل كنت ألهم المراجع حتى أصبحت مثل عود القصب.

وفي يوم مشنوم ليته لم يأت ولم تطلع شمس.. كانت أمي تبحث عن قلم لوالدي.. ففتحت أدراج مكتبي فشمت في أحد الأدراج رائحة عطر جميل فأخذت تعبث بالدرج حتى عثرت على خطابات كثيرة أعطتها لأبي ليقراها.. وعرف الجميع القصة. ومن تلك اللحظة بدأت المأساة.

منذ ذلك اليوم وأمي تغلق الأبواب والشبابيك بشدة أمام كل من يقف في بلكونة أو نافذة عندهم.. وبالطبع قوبلت هذه الإهانات بأبلغ منها.

وحذرتني أمي من هذا الحب ومن هذه العائلة، ولكن لم أسمع كلامها وتركتها دون أن أنطق بحرف ولم أذاكر كلمة في ذلك اليوم وكان هذا أول يوم في حياتي لا أذاكر فيه.

وفي اليوم التالي شغلت عليها فأرسلت لها خطاباً مع الخادمة فرأيتها تخرج من البلكون لتمزق الخطاب أمامي وتدوسه بقدميها. وأصابني الذهول، ولكني لم أياس فأرسلت لها خطاباً آخر وآخر وآخر وكل واحد يلقي نفس المصير.

وظللت أسهر الليالي أسود الخطابات لتمزقها في الصباح واستمر حالي يتدهور من سيئ إلى أسوأ حتى كنا في أبريل ١٩٦٣ وباقى على الامتحان العملي أيام وعلى الامتحان النظري

سهر وأنا لا أذاكر وأسهر أعد النجوم وأسود الخطابات. ودخلت الامتحان ونجحت بتقدير جيد ٧٠٪ وضاعت جميع آمالي في الأولية وجائزة عيد العلم وفي الاشتغال معيذاً بالكلية.. وبكيت كالطفل.. وبومها أرسلت لي الفتاة ورقة صغيرة مكتوب فيها: أيها الذكي الطموح الجشع.. لقد تحطمت كل أحلامك على يدي أعز إنسان لك.. ألا وهي أمك.

وبالطبع لم يكن هذا أسلوبها فأنا أعرف أن كلامها ثافه، وأنها لا تستطيع أن تكتب جملة مفيدة وأن معلوماتها عن السياسة والعلم والأدب لا تزيد عن معلومات طفل رضيع.

وبعد شهر من الحزن والالم والندم، وبعد أن سحبت أوراقى من الكلية أعلنت إحدى الشركات عن حاجتها لخريجي علوم فتقدمنا جميعاً وكنت الأول في ترتيب الامتحان من خمسمائة شخص متقدم.

وعادت إلى ثقتي وقررت أن أخلص في عملي في خدمة الشركة لأفوز بتقدير الجميع.

وبعد شهر من التحاقى بالعمل وبالرغم من حداثة عهدي بمسؤولياتي الجديدة إلا أني فزت بثقة الجميع.

وطلبت من مدير القسم أن يوافق على أن أتقدم للماجستير فوافق فوراً وأمدني بعمل وأجهزة ومواد خام، وأخذت نقطة بحثي في موضوع يهم الشركة وهم مستقبلها.

والآن لعلك تسأل.. أين المشكلة؟

والمشكلة هي الفتاة.. حبي المجنون الذي لا أعرف كيف أتخلص منه.

تصور أني أنتظرها حتى تخرج فأخرج وراءها كالأبله من شارع إلى شارع ومن زقاق إلى زقاق.. أحاول أن أكلعها فلا أجد الجرأة.. وإذا وجدت الجرأة وكلمتها نظرت إلى نظرة اشمزاز من فوق لتحت.. تفعل هذا أمام الناس.. ثم نستدير وتركني مبلولا في مكاني.

وكلما مرت الأيام ازدادت اشمزازا مني واحتقارا للناس، وازددت أنا حبا وملاحقة لها في كل مكان.

حدث منذ أسبوع أن كنت في أحد مطارداتي لها في أنوبيس وفوجئت بأنني أقف وجها لوجه أمام مساعد فني يعمل معي في الشركة اسمه إبراهيم ولاحظ إبراهيم نظراتي للفتاة فقال في خبث:

- أنت معجب بالبنات دي.. دي الجو بتاع سعيد.. وسعيد هذا هو أحد عمال الشركة.

فقلت له وأنا أداري ارتباكى.

- يا شيخ دي باين عليها بلدى..

ولاحظ إبراهيم نظراتي اللاشعورية المستمرة.. فقال في إشفاق..

- الظاهر أن سيادتك بتحبها قوى.

- بلاش كلام فارغ.

- سعيد قال لي على كل حاجة.. ما عندوش مانع يجيبها لحد عندك ما دمت بتحبها قوى كده.

- أرجوك بلاش الكلام الفارغ ده.

ويومها كتبت عنه تقريراً زى الزفت وكتبت مثله في زميله سعيد وهددتها بالنقل من المشروع إلى المصانع - من يعمل في المشروع يتمتع في العادة بميزات خاصة - وأصبحت كلما رأيت سعيد وإبراهيم أتذكر الفتاة.

وأدمنت التدخين - أربع علب كل يوم بعد أن كنت لا أقرب سيجارة - واضطربت أحوالى واسودت الحياة في وجهي وكرهت الناس.

وأنا أكتب لك هذا الخطاب بعد مطاردة استمرت ساعة بين أنوبيسات القاهرة انتهت بأن بصقت في وجهي.. وهذا طور جديد من أطوار الحب الذي أصبح ذلاً وجعلني أقل مركزاً وأهون شأنًا من نعل الخذاء.. أشعر أني سوف أستقيل من عملي في شركة أو أكون السبب في فصل العاملين وهذا ما لا يرضى ضميري.. أنقذني من نفسي ومن حبي.

المعذب

م. ق

لا أظن أن ما يعذبك هو حبك.. فأنت في الحقيقة لا تحب الفتاة وهي في نظرك تافهة لا تستطيع أن تكتب جملة مفيدة.. وإنما يعذبك فشلك.. وأنت مدمن نجاح وانتصار وتفوق.

والتفوق والانتصار يداوى شعورك بوجهك الدميم ويعالج إحساسك بالنقص ويمدك بالتوازن الضروري للحياة.

وهذه الفتاة التي وقفت أمامك لتبصق في وجهك مزقت رداء الأمان الذي ترتديه.. مزقت التفوق الذي تحتمى به من شعورك بالنقص.. وكانت هي ذاتها الصرخة التي تذكرك بأنك دميم ناقص تثير الازمئزاز.

وما تهدف إليه الآن من مطاردتها ليس شفاء حبك.. وإنما شفاء غليلك وانتقامك.. تريد أن تستردها لتكرس عينها وتذللها كما أذلتك وتنتصر عليها.. وبذلك ترقق الثوب الذي تمزق.. ثوب النصر الدائم الذي تغطي به إحساسك بالنقص الدائم.

وحل مشكلتك لن يكون بمطاردة الفتاة، ولا باستعادة حبها. ولكن الحل الحقيقي هو أن تواجه نفسك وتكف عن هذا الشعور المستمر بالنقص.. وتقبل وجهك الدميم وترضى بنصيبك الضئيل من الوسامة، وتعقد مصالحة مع هذا التمرد الدائم داخل نفسك، وتدرك إدراكًا واضحًا أن الشكل والوسامة والبشرة الخمرية مسائل يفتك بها دمل ويعبت بها الزمن من يوم إلى يوم وأنها

ليست بذات قيمة حقيقية.. وإنما القيمة الحقيقية هي إنسانيتك وليس شكلك.

وإذا أدركت هذا، فسوف تنتهي مشكلتك وسوف تكتشف أن حبك المزعوم لم يكن له في أحد الأيام وجود.. وأنت في الحقيقة كنت غارياً تبحث عن معارك تنتصر فيها وهذا كل ما في الأمر.

المرأة الرجل

أنا فتاة عمري ٢٣ سنة.. في السنة النهائية بإحدى الكليات.
نشأت في بيئة ريفية يسودها التحكم والتسلط والقسوة.. بين
أب مظهره الشدة والتعسف والاستبداد وباطنه الطيبة.. وأم
ظاهرها الضعف وحقيقتها الحقد.

قضيت سنوات دراستي الأولى في مدرسة داخلية إلى أن نلت
شهادة التوجيهية.. وفي سن ١٢ وربما أقل عرفت المتى مع
الصبيان وفي سن ١٣ تورطت في علاقة مع أحد الأولاد.. وكان
يقبلني كلما سنحت الفرصة.. وعرفت آخر وآخر.. وآخر.. وكانت
كلها علاقات طياري.. وكانت تنتهي دون أن تترك أثراً.. وكنت
أنا أبادر بإنهاؤها.

ثم جئت إلى القاهرة والتحقت بالجامعة.. وعشت سنة عند
أختي وعانيت الأمرين من تحكم زوجها في شئوني.

وكانت اللحظة التي خرجت فيها من بيت أختي لأدخل بيت
الطالبات هي ساعة الخلاص بالنسبة لي.

وفي بيت الطالبات كنت مثالا للفتاة الهادئة المؤدبة المهذبة..

وفي المدرج بالكلية كان وجهي يحمر خجلاً إذا تطلع أي طالب في
عيني.. كان هذا هو ما يظهر أمام الناس من سلوكي.. أما ما كان
يحدث في الخفاء فكان شيئاً آخر تماماً.

كان عمري ١٦.. وكان يحدث أن ألتقي بالصدقة في الشارع
بصديق من القرية فأذهب معه إلى بيته وهو يعيش بمفرده..
ولا أبالي أي شيء.. ويتكرر ما يحدث معه ليحدث مع أي رجل.

كنت دائماً تجدي في الكلية لابسة كماً طويلاً وآخر حشمة.. وفي
مكان آخر ما مانع من أن أخلع ملابس كلها بالساعات.
كنت أصلي وأصوم.. متدينة جداً.. وأخاف الله.. ومع هذا كنت
أكذب لأسباب تافهة جداً.. ولمجرد الكذب.

لو سألتني لماذا كنت أفعل هذا.. لما عرفت كيف أجيبك؟..
وصدقني لم أكن سعيدة بما أفعله.

كنت في أعماقي أشعر بأنني إنسانة غير محبوبة.
كنت أسهر أن أمي لا تحبني.. وأخواتي لا يحببنني أيضاً.
وكنت أشعر أن الرجال كلهم خونة.. والأزواج كلهم يخونون
زوجاتهم.. وليس هذا مجرد خيال.. فقد كانت هذه الخيالات تحدث
معى.

كان أول حب لي هو حبى لإحدى البنات صاحباتي في
الثانوية وكان حباً عنيفاً جداً.

في طفولتي كانت أمي تعتبرني أجمل أخواتي.. لا أدري لماذا

فأنا أشعر أن شكلي عادى.. وليس في شيء يلفت النظر..
كنت ذكية جدًا في دراستي وأنجح باستمرار.. ولكنه نجاح
لمجرد النجاح.

كنت أذاكر لأتخرج.. لا أكثر.. وعقيدتي في هذا أن الدنيا
مجرد فلوس ومراكز.. وكانت هذه أيضًا عقيدة أبي مع أنه رجل
غني ومتدين يصلي الفرض بفرضه.

كنت دائمًا طماعا.. أريد الكثير من الدنيا، لم أعرف
الأمراض في حياتي.. اللهم! إلا حاجات بسيطة مثل الزكام
والانفلونزا.

سمعت في الكلية كانت على الدوام.. مقيش أحسن من كده
لدرجة أنهم يعتبرونني طالبة مثالية.. تصورا

الأساتذة يحترموني جدًا، ويعتبرونني قدوة ومثالا في الأخلاق
وفي الحشمة. وفي الإخلاص للعمل.

المشكلة أنه في هذه السنة عقدوا خطوبتي على ابن عمي في
أثناء الإجازة في القرية.. حدث هذا رغما عني.

والحقيقة أنني لم أكن أحلم بهذه الخطوبة.. فخطيبي شاب
مركزه محترم.. وأخلاقه حسنة.. وحالته جيدة.. ومع هذا فأنا
أرفضه.. وأعود فأشعر بقاية السعادة لزواجي به.. ثم أعود فأشعر
بالجزع والخوف من نفسي، والخوف من رغبتى الشريرة في
خيانتة.

وهي ليست مجرد رغبة.. فأنا لا أكف عن علاقاتي المتعددة.
وآخر هذه العلاقات كانت مع شاب من بلد عربي.

وقد أحببت هذا الشاب جدًا.. ولكنني حافظت على علاقتي به
طاهرة بريئة لا تتجاوز اللقاء في كازينو.. أو على الكورنيش،
ولا تزيد عن القبلات.. ولم تكن هذه الطهارة نتيجة يقظة ضمير
أو خلاقه.. فقد كنت لا أتورع في نفس الوقت عن إتيان
المكرات مع غيره، وإنما كانت عفة، ربما لشدة الحب والإعزاز،
لست أدري.

والحق أنني لا أستطيع أن أسميها عفة.. فقد كان يحدث أن
التقي في الصباح بخطيبي.. وفي العصر بحبيبي حيث يقبلني في
نفس المكان الذي قبلني فيه خطيبي.. وفي المساء أقضي الليلة مع
رجل ثالث.

سوف نقول إنها قذارة.

أنا أيضًا أقول إنها قذارة.

والغريب أنني كلما اختليت بواحد فقدت اهتمامي به واشتقت
إلى آخر.. فإذا التقيت بهذا الآخر شعرت بالشوق لثالث.
لم يحدث أن شعرت بشيء في يدي أبدًا.. كل ما يقع في يدي
يفقد طعمه.

ومع هذا أشعر أحيانًا أنني أحب خطيبي جدًا.

وخطيبي على فكرة حمش قوي.. ومحافظ.. وشديد.. وهو يشق

في ثقة عمياء.. شيء يضحك.. ومع هذا فأنا لأشعر بتأنيب ضمير وأنا أخونه.. لأنني أشعر أنه ربما يكون مثلي.. ليه لأ.. أنا أيضا أبدو في الظاهر آخر أدب وحشمة وفي الحقيقة آخر قذارة فلماذا لا يكون هو أيضا من نفس الصنف وليس هذا مجرد شك.. فقد اعترف لي مرة بأنه كان على علاقة بامرأة متزوجة وعرفني بها. إنها ليست مبالغه مني.. ولكنني صدقتي.. أنا أعتقد أن كل الناس الذين يبدوون في الظاهر أتقياء أصفياء.. هم في الحقيقة شياطين، وبرغم هذه الشقاوة فأني في الإجازة الصيفية ألزم بيتنا الكبير في القرية فلا أخرج منه ولا أرى أحدا ولا ألتقي برجل. أشعر أحيانا بأن جسدي قذر وأحتقره.. ولا يخفف من شعوري هذا سوى يقيني بأن كل الدنيا نفاق وقذارة. ما يخيفني أنني أفعل كل هذا وخطيبي معي في مصر. ماذا أفعل حينما يسافر عائدا إلى القرية.. ويخلو لي الجو. أشعر أن ربنا ظلمني بهذه الأخلاق الزفت.. وظلم الناس بمظهرى البرىء المذهب المحتشم.

العاطفة الوحيدة في حياتي هي حبي لأبي الذي أشعر أني أحبه أكثر من أى شيء في الدنيا.

الرجل المثالي في نظري.. رجل صارم قوى.

والآن.. وهذه أخلاقي بصراحة.. ما رأيك؟

هاجدة

وصلتني هذه الرسالة القريية.

وقد وقفت أمامها طويلا.. فهي ليست مجرد اعتراف.. وليست مجرد مشكلة خلقية.. بل هي ليست مشكلة خلقية إطلاقا.. إنما هي حالة مرضية.. ومعضلة نفسية.

هل يمكن أن تضىء لنا بعض سطور هذه الرسالة الطريق إلى فهم نفسية صاحبها.

بعض العبارات.. لها دلالة.

قوله إن العاطفة الوحيدة الجميلة في حياتها هي حبها لأبيها، وأن رجلها المثالي هو رجل صارم قوى، أى صورة من أبيها الذى قالت عنه في بداية الرسالة إنه أب شديد.

نظرتها إلى أمها امرأة تبطن الحقد.. وأنها لا تحبها.. واحتقارها لجسدها.

هل يمكن أن يكون احتقارها لجسدها رمزا لاحتقارها لأنوثتها واحتقارها لأمها.

وهل يمكن أن تكون إباحيتها وتحررها الجسمي رمزا لتشبهها بالرجل.. بالأب الذى أحبه.. إنها في تصرفاتها أشبه برجل أكثر منها بفتاة مراقة.

إنها لفرط حبها لأبيها تمنى لو أضحت مثلا رجلا.. تمنى لو أنها تخلصت من وصمة أنوثتها.. تحتقر الأنوثة التى تمثل لها الأم الحقود التى تكرهها.

وهي تلبس ثياباً بكم طويل.. ومظهرها مؤدب مهذب حش
يعني راجل في لبسها.

وهي تلتقط الرجال من الطريق لتذهب إلى شققهم الخاصة.
وهي شقاوة من النوع الرجالي.. وليست من النوع الذي تقدم
عليه امرأة.

والرجل في نظرها خائن.. ولهذا فهي تخون.. وهو يعتق
وسيجر.. ولهذا فهي تعشق وتهجر.

وأول علاقة لها هي حب عنيف لبنت من صاحباتها.. إنه دور
رجل من أول الحكاية لآخرها.

وفي بيئة ريفية تعطى كل الحقوق للرجل وتسلبها من الأنثى.
كان من الطبيعي أن تدفع الظروف التربوية هذا الانحراف إلى
مداه.. وخصوصاً بالنسبة لفتاة ذكية طموح تريد من الدنيا
الكثير.

أعتقد أن هذه المشكلة يمكن أن تفسر بأنها ارتباط عاطفي
شديد بالأب انقلب إلى حنين لأن تصبح البطلة رجلاً.. وتتصرف
كرجل بما أدى إلى هذه النهاية من ازدواج الشخصية.. التي
أخذت هيئة تدهور خلقى فاضح.

وهذا نوع نادر من سوء الخلق.. لا يمكن علاجه بالعظة
الحسنة، وإنما بالفهم.

ومثل هذه الأخلاق يصلحها الطبيب النفسي، أكثر
ما يصلحها الواعظ.

اعترافات طالب خائب

كانت كلمات أبي التي يكررها كلما رآني.

- نفسي أشوفك أناجح ومتقدم ومعاك أعلى الشهادات
ومركزك أعلى المراكز.

وكانت هذه أمنية أبي بل منتهى أمله ومناه..

وكنيت بكل أسف.. لعبياً كثير الزوجان كثير الهروب.. أذهب
إلى المدرسة يوماً وأتغيب أياماً.. ولم أكن وحدي.. كانت هناك شلة
من الطلبة الصياح كلهم على شاكلي.. إذا حدث في المدرسة
إضراب أو قامت مظاهرة.. فرحنا ورقصنا واعتبرناها فرصة.. ولم
يكن تندمج في المظاهرة.. أو نشترك فيها.. ولماذا نهتف وننبح
أصواتنا بالكلام بالفارغ.. ويعيش ويسقط.

كنا نسرع إلى السينما حفلة عشرة.. أو تجردنا في القهوة
موزعين بين الطاولة والكوتشينة والدومينو.. فإذا لم يكن هذا
ولا ذلك كان الشارع مأوانا.. وكان سيرنا وتسكعنا معاكسين
البنات والستات حتى نلتقي بالقريسة ويكون هذا نهاية المطاف..
إذ لا يبقى بعد ذلك إلا البحث عن مكان مناسب بعيد عن

العيون، حيث تتسلل داخلين واحداً بعد الآخر كل في دوره.
ودفع بنا هذا السلوك إلى دروب بعيدة ملتوية ومظلمة
الكذب.. قفز الأسوار.. السرقة.. لعب القمار.. وممارسة الحب
المراهق وغير المراهق.. والسهر إلى أوقات متأخرة بعيداً عن
رقابة الكبار بدعوى أننا نذاكر معاً ونجتهد معاً.. ونكافح في
تحصيل العلم وطلب العلا.

ولم يكن غريباً بعد ذلك أن يجيء الامتحان فتهرب أو نغامر
بالدخول ومع كل منا البرشام.. ثم النتيجة التي لا تخرج عن
أحد احتمالين.. أن ينكشف أمرنا ويكون مصيرنا الطرد من
الحرمان لمدة عام.. أو أن نرسب بجدارة بالرغم من البرشام ومن
الغش الهام ومن المراقب الذي يغمض عينيه رحمة وإنفاقاً.
ومرة بعد مرة وسنة بعد سنة فوجئنا وفوجئ الكبار بأننا نفقد
حيث بدأنا بالسنة الثانية صنایع والبخت ضائع.. ولا خطوة بعد
ذلك إلى الأمام.. بل طرد وفصل وحرمان من كافة فرص التعليم
وبعد أن كنت طالبا في الصنایع أصبحت أحمل لقب صایع..
وخایب.. ونایب.. وجلاب المصایب.. إلخ.. إلخ..

ألقاب كثيرة فاخرة دفعت بي إلى البحث عن عمل أى عمل
وبالابتدائية وبالواسطة وبالرشاوى وبالمساعي الحميدة وغير
الحميدة استطاع أبى أن يوظفنى في التليفونات.
وصدر قرار التعيين.. معاون تليفون درجة تاسعة بترتيب خمسة

جنيهاً وبشرط أن أقبل العمل في المكان الذي يتطلبه صالِح
العمل أينما كان.. قبلى أو بحرى.. في الصحراء أو في الواحات.
وسافرت إلى الصعيد الجواوى.. إلى سوهاج.. إلى نجع حمادى،
إلى إسماء.. ثم عدت شمالاً إلى أسيوط.. المنيا.. الفيوم..
يو كساء.. بنى سويف.. القاهرة.

وفي كل يوم كنت أكفر عن أخطائى وسيئاتى وذنوبى.
وفي كل يوم كنت أدرك أن الله حق.. وأن المذاكرة حق.. وأن
البلطجة لها ثمن.. وأى ثمن.

ولكل هل انعطت واستفدت من العبرة.. ومن حالى الذى
تدهور فأصبح أهون من حال المرمطون؟.. أبداً.
الذى حدث وحياتك هو العكس.

كبرت وكبرت معى أخطائى.

في كل مكان ذهبت إليه كانت نزواتى تسبقنى.

أقمت في الأحياء الوضيعة والمناطق المشهورة.

أوقعت بكثيرات وكانت لى في كل بلد ضحية.. وفضيحة..

كنت أذهب ضحية نزواتى وشهواتى البهيمية.

كادت تصيبنى رصاصة.. وكاد يقتلنى شقى مأجور.. لولا كثرة
تنفلاتى وأسفارى المتصلة لمدة عشر سنوات.

ومازلت إلى ساعتى هذه وأنا أكتب هذا الخطاب.. أسيراً..

لكل حواء.. ضعيفاً أمام الإغراء.. مقاومتي أضعف من مقاومة
جناح ذبابة.. أغرق في العسل ولو فيه موتى..

قالوا لى تزوج.

وكيف أتزوج يا صاحبي؟

وكيف تكفينى وتكفى امرأتى الملالم التى أقبضها؟

وكيف أثق فى زوجة.. وقد استبحت كل ما صادفتى من
أعراض وفيمن عرفت زوجات وحرائر؟

وماذا يوجد من أمل فى حياتى التى تتدهور يوماً بعد يوم؟

شاكر

أغرب ما فى خطابك أن ضعفك أصيل.. وأنه بتفاقم معك سنة
بسنة.. فأنت تزداد انحلالاً مع العمر.. وتزداد استسلاماً لنزواتك..
لا يردعك فقر ولا فشل.. ولا انتقام يتربص بك ولا رصاصة
قاتلة تنطلق خلفك.

إصرار غريب على الإثم وكأنه رسالة مقدسة.

لا محاولة واحدة لانتشال نفسك.

ليس فى خطابك لمحة واحدة للتوبة.. ولو فى المستقبل البعيد..
وأنت تتكلم عن الزواج وتكاليفه.. مع أنك تدفع فى حياة الملأى
الذى تعيشها نفقات أمدح.. تكاد تدفع عمرك راضياً.

ولا أظن أن مشكلتك هى فقرك الذى يستحيل معه الزواج.
لأن فقرك نتيجة لشخصيتك.. وليس سبباً لها.

مشكلتك هى شخصيتك.

عجزك عن ضبط نفسك أمام أى لذة عاجلة وهو العجز الذى
ضعك كطالب.. وضعك كموظف.. وأنا لست من الذين يعتقدون
بأن شخصية الإنسان قدر لا مفر منه.

أنا أعتقد بأن الإنسان قادر فى كل سن وفى كل وقت أن يطور
شخصيته ويسمو بها ويحارب ما فيها من ضعف.

أعتقد أن الإنسان يستطيع أن يكون سيد نفسه.

وأؤمن بأن الإرادة يمكن تربيتها واكتسابها بالكفاح والمجاهدة
مع النفس.. وأن الإنسان ليس عاجزاً أمام أهوائه.

وكل ما تحتاج إليه.. لحظة ثورة..

نورة تنبع من داخلك نتيجة لوعيك وإدراكك لأى نصيحة..
نورة تنتقل بك من رضوخك واستسلامك إلى حالة من التطهر
واليقظة واستجماع العزم.

هذه النورة الداخلية أهم من أى عمل مادى.

فمشكلتك المادية يمكنك حلها بالبحث عن عمل إضافى فى
أوقات فراغك أو بزواجك من شغالة مثلك.. ولا شك أن مرتبك
الآن وبعد عشر سنوات من العمل قد تضاعف.. والخمسة
جنيهاً فى أول تعيين لم تعد خمسة جنيهاً.

المهم أن تتغير وجهة نظرك إلى الدنيا وتتحول من إنسان
خائر العزم تركبه أهواؤه وملذاته.. إلى إنسان صلب الإرادة
يسوس نفسه ويحكم غرائزه.. وهو تحول شاق.. ولكن الآلام التي
عانيتها يمكن أن تحفزك وتساعدك على هذا التغيير.. ولا شك أنك
ستكون درسا طيبا لكل طالب كسلان يظن أنه يستعجل لذاته
بتأجيل المذاكرة والعمل.. والحقيقة أنه لا يؤجل مذاكرته فقط..
وإنما يؤجل لذاته أيضا وسعادته لأجل غير مسمى.

البومة

أنا في نهاية مرحلتى الجامعية ورغم ذلك فأنا معقدة ليس
عندى ذرة من الثقة بالنفس ورغم مجاهدتى المستمرة في بناء
شخصيتى.

ولدت من أبوين غاية في الجمال وكنت واحدة من إخوة آية
في الحسن.. أبى تركى وأمى أعربية والاثنتان في لون المرمر
الأبيض الملون بالورد.. وشعر أمى ذهبى.. وشعر أبى حرير
فضى.. وأنا لا أعرف لأى جد ملعون جئت.. ومن أى عرق
خسيس من عروق العائلة أخذت دمائى.. أنا يا سيدى سوداء
جعدها الشعر جاحظة العينين رجلاى خشنان ولها عرقوبان
وكانها رجلا ماعز.

وكان يمكن أن أعوض عن هذا القبح بجمال فى الشخصية
وجاذبية فى الطبع وخفة فى الدم ولكن تربيتى السيئة فى فترة
طفولتى حطمت البقية الباقية من إرادتى.. فمئذ طفولتى والجميع
«إخوة» والأقارب.. حتى الوالدين يسمونى «الغوريلا».

وبدلا من كلفة الدلع الحلوة.. وشوشو.. وإش إش.. وقطتى..

وفلتى.. وكتكوتتى.. كنت أسمع الكرتة.. السوداء أم رجل معزة..
العبدة.. الزربونة.

وكانت الدنيا تظلم في عيني ولا أستطيع أن أنبس بكلمة أو
حرف وأتسلل إلى فراشى ورأسى في الأرض لأغلق باب الغرفة
وأبكى وأبكى.. وأبكى حتى أنقطع.

وأصبحت أكره الجميع ولا أحب رؤية أحد وأتعر بالحقد
والرغبة في التخريب والهدم وأحلم بزلزال.. يبتلع الأرض ومن
عليها وقيامه تقوم فلا تبقى على مخلوق.

كنت أشعر كأني حيوان مجروح كل الناس تلغ في دمه.
الناس ظلموني..

الطبيعة ظلمتني.

مظلومة حتى في جسمي.

وأدى بي الحقد إلى حالة رفض كل شيء.. الدنيا والناس
والأهل.. وانطويت على نفسي.. أبكى في صمت وأمضغ مهانة
ومذلة لا حد لها وأصبحت طباعى شرسة.. حتى في المدرسة
أطلقوا على لقب «البومة».. وفي البيت حينما يأتي أصدقاء العيلة
ويبحثون عني أسمعهم يقولون: فين البنت الوحشة اللي لقيتها
على الكوم الأسود.

يقولون هذا ويتضحكون.. بينما أنا أتمزق.. تمزقني كلماتهم
كالكساكين.

وكنت أجد مخرجاً واحداً لكل هذا الإذلال.. هو أن أتفوق في
المدرسة على كل البنات الجميلات.. وكأني أعاقبهن بذكائى.
وكنت أتعمر بعقدتى ومركب النقص الذى أعيش فيه.. وكنت
أجهد للخروج منه.. وفي الجامعة حاولت أن أخفى وجهى المقيح
تحت ابتسامة مصطنعة، وأخفى عقدتى تحت ستار من المرح
والمزاح ونهد الجميع بأن دى خفيف ولكنهم لم يرحموني.. كنت
أسمع التعليقات والهمسات وأنا أسير في حوش الجامعة.

- شايف يا بنى البراهين على نظرية داروين!

- اسكت يا جدد لا تعضك.

- منى دى الى راسمينها على قرايز بوليس النجدة.

- دى مش من هنا يا بنى دى هريانة م الجنيانة.

باين عليك وأخذ الققص إلى جنبها ها ها ها ها.

- ونماكسها ازاي دى.. دى تأكلنا.

- قول لها عجيب الفلاحة ازاي.

- احذف لها سودانى.

كنت أسمع هذه الهمسات.. وأحس بدوار.. وارتبك وتتخاذل
رجلاتى عن حملى وأكاد أهوى على الأرض مغشى على.

لم تكن هناك فائدة.. كنت أسير مفضوحة بالرغم من كل
الابتسامات التى أرسمها على وجهى. تمثال منقر للقيح والدمامة.

وماذا ينفع العلم وما جدواه لأتشى فقدت كرامة أنوثتها..

درهم جمال ولا فنطار مال.

كنت أسمع هذه الأمثال من أفواه الأقارب.. واقتقد آخر أمل.. التفوق الذى عقدت عليه آمالى.. ماذا سوف يجدر التفوق.. ولماذا أتفوق.. ولأى هدف.. ولمن.. ولا أحد يغتر لى قبحى..

وفى ثورات عصبية جنونية كنت أمزق الكتب وأشد شعري وأبكى وتدهورت إلى حالة من الانطواء الشديد والسوداوية. وعدت إلى حالى القديم وأصبح الجميع يلقبونى «بالفيونكة» يعنى «عقد».

وانهارت شخصيتى تماماً.

إذا فتحت كتاباً الحروف تتراقص أمامى تسخر منى.

كلما رأيت شيئاً ثميناً فكرت فى كسره.

أخشى أن يذهب عقلى.. وهو كل ما تبقى لى من هذه الدنيا القذرة.

لا تنقل لى ابنى شخصيتك من جديد.

لا تنقل لى إن الجمال هو جمال الروح وليس جمال الوجه.. فقد حاولت أن أغطى قبحى بشخصية حلوة، وأستر وجهى بابتسامة مرحة.. حاولت أن أنسى الحقيقة المريرة ولكن الناس كانوا يوقظونى فى كل لحظة على حقيقتى.

الناس رفضونى وطرّدونى فى قسوة من يجتمعهم الضاحك السعيد.. أبوا علىّ حتى الوهم والحلم والأمل.. وأرجعونى فى وحشة إلى عالمى القبيح.. إلى البومة والغوريلا.

أنا لا أطلب منك أن تجعلى جميلة وحلوة.. فأنا أعلم أن هذا مستحيل، ولكن أطلب حلاً ناقماً مفيداً صريحاً وممكنًا. طريقة التعامل بها مع هذا العالم المتوحش.

لو طلبت منى أن أنتحر فسوف أنتحر بلا تردد.

أنا أطلب نجدة تبقى على ما تبقى من إيمانى.

حلاً ممكنًا أغير به مصيرى المظلم.. مد لى يدك.

المعذبة

البومة

أكبد مسكلك ليست فى وجهك وحده ولكن فى نفسك وفى رفضك الشديد لكل تعامل حتى التعامل معى.. فى الوقت الذى نطلب فيه المعونة ترفضيتها محذرة: لا تنقل لى ابنى شخصيتك من جديد.. لا تنقل لى أن الجمال جمال روح وليس جمال الوجه.. يعنى مد لى يدك.. ثم تقطعنيها.

وماذا بقى لى.

ترفضين أى حل نفسى وتقولين إن الحل الجسدى مستحيل.
«حاصل إيه».. إن المشكلة لها وجهان.

إجراء جراحة تجميل إذا كانت عيوبك من اختصاص طبيب التجميل.

وإجراء جراحة نفسية وهذا ما يمكن أن تجاهدي في سبيله ولا يوجد حل ثالث.. وأنت تقولين إنك حاولت مرة برسبب ابتسامة مزيفة وافتعال مرح كاذب.. ولكن بناء الشخصية لا يكون بالافتعال والكذب.. ولا يمكن كسب قلوب الناس بالتعامل المصطنع والمحبة المفتعلة.

لا بد أن تنتزعي حقدك أولاً بجهد مخلص وحقيقي.. فالتناس لا ذنب لهم في أنك ولدت بهذه الصورة.

والتريفة عادة الناس في المدن وفي إمكانك أن تدخل تريفة لتريفة أنت أيضاً وبكلمة ذكية رقيقة لاسعة يمكنك أن تجعل أجدع راجل يسبح في عرقه ويبلغ ريقه.

ونحن نتبارز كل يوم وباللسان كما كنا نتبارز بالقرون والمغالبة أيام زمان.. أننا نحمل وحسيتنا وطباعنا الحيوانية قينا.

وأنت أيضاً فيك الحيوان ولكنه مجروح كما قلت.. ولو كان حيواناً سليماً لبادرت بالطعان والتزال والعدوان. ولكن لك ضحايا بين زميلاتك الوحشات.

هذه هي الحياة.

إن ما في الناس فيك.. وحقدك لا مبرر له.

وكلنا مظالم.. بعضنا ولد مشلولاً وبعضنا ولد أعمى.

وبعضنا يحمل السل في رثيته.

والذي ينجو يوم مولده.. يفترسه المرض فيما بعد.. أو تذهب به حادثة أو يتوه في حرب.
والجدري والجذام والأورام الخبيثة لها مستشفيات ويسقط بها آلاف الضحايا كل يوم.

وفي قصر العيني عنبر للمحروقين ممتلئ عن آخره بالمشوهين. والوحشة هي الحال الغالب بين النساء والجمال هو النادر. ومن تولد قبيحة حالها أرحم ممن تولد بعاهة.

وبالرغم من كل هذه المصائب فأنت لا تحسين إلا بمصيبتك وحدها وكأن العالم ليس فيه سواك.. وليست فيه مأساة سوى مأساتك.

ولكن الطيبة لا تتدفق من القلب إلا حينما نشعر بمصائب الآخرين ونحس بالأمهم كما نحس بالآلما.

والطيبة حينما تنعكس على الوجه تغير شكله صدقي. والوجه الطيب أجمل من الوجه الحقود.

حينما تبدئين في الشعور بالمأساة المشتركة لكل الناس في هذه الدنيا. وحينما تتدفق الطيبة من قلبك القاسي المتحجر فسوف يتغير شكلك.

وأخر الليل حينما يطفى الأزواج النور لا يعود هناك فرق

بين جمال وقبح.. وكل ما يتبقى هو الصورة النفسية وانطباع
العشرة.

والنفس الذكية الحساسة الطيبة تستطيع أن تمنح السعادة
واللذة.

والنفس الحقود لا تستطيع أن تمنح إلا ليلة نكدة.

والرجل يتعود على شكل زوجته مهما كان، ولكنه لا يستطيع
أن يتعود على حقدتها أبداً. والحقد والشراسة والعداوة تغير شكل
صاحبها لأنها تقلب سحنته وتؤدي إلى توتر ملامحه.. في حين أن
السماحة والطيبة.. تضي على الوجه الوضاعة والبشر.. أمامك
إذن معركة لا بد أن تكسبها مع نفسك ومع الدنيا.. فأنت لست
مظلومة فقط ولكنك ظالمة أيضاً. وإذا كسبت نصف الطريق
فسوف يتغير مصيرك وسوف تصبحين قردة معشوقة.. وما أكثر
القرادات المعشوقات في هذه الدنيا.

وتذكرى أن الجمال مسألة نسبية، وإذا كنت نرين نفسك
قبيحة هنا فسوف تكتشفين أنك ملكة جمال في قبيلة مثل نيام نيام
وسوف يتقاتل عليك سلاطين القبيلة هناك.. وإذا هاجرت إلى
أستراليا فستكونين فرخة بكشك لأن سكان أستراليا رجال
بلا نساء وهم يشمشمون هناك على رائحة امرأة.. أى امرأة.
وإذا كنت أجمل جميلة في القاهرة فأنت في بلد مثل السويد
صفر على عشرة.

وأرض الله واسعة والبضاعة التي تبور في مكان يتقاتل عليها
ألف شاب في مكان آخر.. وكل قوله ولها كمال.

وفي النهاية شكلك قدرك.. وقدرك لا خلاص لك منه.. إنه
الضرورة التي لا مفر منها.. فإذا احتضنت قدرك في رضا ومحبة،
فسوف تكسب نفسك على الأقل بدلا من أن تخسر الاثنين..
نفسك وجسدك.

والسعادة هي أن تدير ظروفنا وإمكانياتنا بحكمة.. وهي
لا علاقة لها بقبح ولا جمال.. فمن الممكن أن تدير امرأة جمالها
للدعارة وأن تصعد امرأة على قبحها لتكون ذروة إنسانية.
وعقولنا وإرادتنا هي التي تصنع مصائرنا في النهاية.
قودى نفسك بحكمة وفطنة، وعاملى الناس بمحبة وسماحة
بضىء وجهك بالجمال المستحيل.

ولم اقتنع بإجابتك فأرسلت لك برقية علمت بعد ذلك أنها لم تصلك ولعلها تاهت في فترة من فترات عزلتك.

ومرت سنوات ثلاث وأنا أعيش في هذا الذي وصفته في ردك بأنه المستحيل.. أعيش حياتها لا حياقي أنا.. ست سنوات وأنا أستمع بفاني من لقائها. كانت عمري قبل أن يكتب ذلك أحمد شفيق كامل.

ست سنوات.. كانت عدد مرات لقائنا فيها أكثر من خمسة آلاف وثلاثمائة لقاء.. كل لقاء كان أحر شوقاً وأكثر حباً من سابقه. كنا لا نفكر في نهاية المشوار، كان حباً ليس كمثل حب، كانت رسالتي إسعادها، وسعادتي أستمدها من بسمتها ولمسة يدها. منذ شهور أحسست - وإحساس المحب الصادق لا يخيب - أنها ليست معي في قمة حبنا.. وبسببها لم تنكر أنها بدأت تحب وأن حباً آخر أصابها فجأة.. هكذا بالسكينة.

كانت صدمة لي وخصوصاً أنها جمعت فترة بين علاقتنا نحن الاثنين، لم تخف الصدمة حينما تأكد لي أن حبيبها ينوى الزواج بها.. فلم يستطع عقلي أن ينكر عليها حقها في الحب والزواج.. وبينها زوجة وأبناء واختلاف دين.

ولعلك تسأل الآن.. وماذا كنت ترجو منها أن تفعل.. أجيبك بأني لا أنكر عليها حقها في حياتها.. فأين المشكلة؟! المشكلة الآن في دموعي.. دموعي لا تنقطع برغم إرادتي.

الباب المغلق

منذ سنوات ثلاث كتبت لك عن حبي.. حباً ليس كأي حب، وحدثتك يومئذ عن نفسي.. كزوج.. وأب.. وشرحت لك حياة الفراغ العاطفي التي أحياها.. وكتبت لك عن زواج لم يوفق منذ بدايته، حتى إنني كنت على موعد مع فتاة من فتيات الليل غداة ليلة زفافي.. وكنت أهيئ وراء كل عاطفة حتى وأنا أعلم أنني أشتريها إلى أن التقيت بها.

كانت تصغرنني بخمسة عشر عاماً لكنها أخذت بيدي بعيداً عن كل فساد.. وأعطتني حناناً.. وحباً.. ودفعت الثقة إلى نفسي وحققته لي معجزة الأمل.. فأحببت حياقي من أجلها، نجحت في عملي نجاحاً تناقلته الصحف والمجلات بفضلها.. سعت لزيادة دخلي.. استقامت حياتي الزوجية وعرفتني أبنائي بعد أن كنت لا أعرف طريقاً لبيتي إلا بعد أن هدتنى إليه.

لقد كتبت لك الكثير يومئذ من سنوات ثلاث فكتبت لي رداً صغيراً في صباح الخير تقول فيه «إلى صاحب الأمل في السراب.. هذا هو المستحيل».

كل منظر.. كل كلمة.. كل لحظة تردني إليها تندفع من عيني
الدموع.

لقد كنت عزيز الدمع.. إلا معها في خلوتنا.. وفي سنوات حبا.
كنت أحب أن أجفف دموعي بأناملها.. وكنت لا أطيق رؤيتها
تبكي، فإذا انهمرت دموعها كنت ألتقطها بقمي من مآقيها.
ولكني الآن فقدت السيطرة على نفسي، وأصبحت أبكي أمام
الناس حتى خيل لبعضهم أن خللا عضوياً أصاب عيني.. وفي
العام الماضي هبط دخلي إلى الثلث.. وفي أوائل هذا العام نفذ
رصيدي كله وكان مكوناً من أربعة أرقام، وما كان ذلك إلا بسبب
نفسيتي..

كنت أوصف بين الناس بالحزم والحكمة إلى أن فقدت هذا
الصدر الحنون فأحسست أنني فقدت حتى الأمل في الأمل.
فكرت في الانتحار ولكني جيت.. ولو أنها أمرتني لما ترددت
رحلت بدموعي إلى مكان بعيد مليء بالأخطار أعرض نفسي فيه
على الموت عسى ألا يجين علي لقاتي، رحلت وأنا مقتنع كل
الاقتناع بوجوب الاختفاء من حياتها حتى لا أؤذي الناس
بدموعي.

ولكن فشلت كل وسائل العلاج.

لم يشدني بيتي.. وكانت تهديني إليه.

أنهكت نفسي في عملي فارتبكت وأخفقت.

صديقة كبيرة أحست مأساتي من خلال دموعي فحاولت
مكورة أن تعيش معي في قصة حب جديدة فأبى قلبي ونأيت.
تناولت نفسي بالعذاب والحرمان من كل متعة أو لذة.
لا تسخر مني حينها أصرحك أنني أسجن نفسي وأضرب
نفسي ضرباً مبرحاً.. هل هي مبادئ جنون.

لو أن سوق الرقيق قائم لبعت نفسي لها مرة أخرى حتى
تعفني متى تشاء فأبيع لها نفسي راضياً حتى ينقضي الأجل.
إني أعيش في مهجري لا يريد دمي أن ينقطع.. إني أتنفس
على البعد أنفاسها.. وأرى دنياي هنا كلها في أغوار عينيها.. ثم
أتلصق دفء لمسة أناملها فلا أجدها وأكلم خيالها بصوت مرتفع.
ثم أنهار وقد عجزت حيلتي.

إني أخجل من نفسي فأنا على مشارف نهاية الحلقة الرابعة من
العمر وفي عداد الرجال وليس اليكاه من شبة الرجال ولكني
عاجز عن حبس دموعي ليل نهار.
هل نجد لي علاجاً.

أخشى ما أخشاه أن تستمر دموعي هكذا حتى أفقد عيني.
سأبذل جهدي للحصول على صباح الخير حتى أجد إجابتك.

دليل السراب

واضح جدًا أنك كنت لمدى ست سنوات تجمع بين علاقيتين في وقت واحد.. علاقتك بزوجتك وعلاقتك بحبيبتك.. وربما كنت تجمع بينهما في فراش واحد أيضًا.. أو في فراشين منفصلين.. أو شقتين على أحسن الفروض.

وواضح أنك كنت سعيدًا جدًا بهذا الوضع لدرجة أن ارتفع رصيدك إلى أربعة أرقام.. ورددت الصحف أصداء نجاحك وأصبحت تعيش مع زوجتك وأولادك في وفاق.

ونسيت في سعادتك أن هناك امرأة تعيش في وضع مهين ذليل هي حبيبتك أو المرأة التي زعمت أنك تحبها.

هذه المرأة التي سلبتها ست سنوات من زهرة عمرها في حب بلا أمل لرجل متزوج وله أولاد ومختلف عنها في الدين.

هذه الفتاة المسكينة التي جرجرتها خلفك وأنت سعيد ورصيدك يرتفع لأربعة أرقام واسمك يعلو.

هذه الفتاة مر عليها رجال في هذه السنوات أحبوها وعنفوها وعرضوا عليها قلوبهم فلم ترهم ولم تشعر بهم لأنها كانت تحبك أنت أيها اليأس.. أنت أيها الباب المغلق.

والآن وبعد سنوات من الظلم ومن السجن بدون ذنب تحاول المسكينة أن تفلت من قيدك الغاشم.. فتكون النتيجة أن تشكو لأنك في مشكلة.

وما هي المشكلة؟!

إنك تبكى.

كان المفروض أن تبكى من زمان وتحزن وتضرب نفسك وتقتل في عملك ويضطرب رصيدك إذا كان حقًا عندك قلب.. ولكن الذي حدث أن رصيدك كان يرتفع.. واسمك يعلو.. وقلبك يرقص فرحًا.. ولم تكن دموعك في ذلك الوقت دموع عذاب، ولكنها كانت دموع الترف العاطفي في الخلوة اللذيذة الشهية التي ينقها محترفو الغرام.

وأنت الآن لا تريد أن تدفع حتى ضريبة الدموع.. عن ست سنوات سجن لفتاة بريئة أغلقت في وجهها المنافذ والأبواب، ولكنها مع ذلك حينها كانت مهينة ذليلة تجرجرها وراءك كانت تتعذب أضعاف عذابك.. ولم تشك لأحد.. ولم تبك لأحد.. وإنما حملت خطأها على كاهلها بشجاعة وتألمت في صمت.

وكان يجب أن تتعلم منها الرجولة والشرف.. والشرف هو أن نحمل وزر أخطائنا، ونُدفع ثمنه دموعًا على الأقل.. وهذا أضعف الإيمان.. ولكنك.. حقًا.. لا تتصف بهذا الشرف.

أنت رخو جدًا.. لا تريد أن تدفع أي ضريبة عن السعادات التي استمتعت بها في غفلة عن صاحبته.

ولا أريد أن أقول لك حكاية أن سوق الرقيق.. ولو كان فيه سوق رقيق لبعث نفسي فيه عشانك.. إلخ.. إلخ ده كلام جرايد.. وكلام سبيل.

نصحتي لك أن تبكى بشدة كل يوم حتى تحمر عيناك، ثم
تعود فتبكي من جديد لأنك لم تبك بما فيه الكفاية.
ألم أقل لك إن الدرب الذي تسير فيه هو درب المستحيل؟

انقذني من جمالي

من قال إن الجمال نعمة.. إن الجمال خراب ودمار.. إنه مصيبة
لكل فتاة جميلة.. إنه لعنة يبتلى الله بها عباده.
إني ألعن الجمال في كل مكان وزمان.
أنت تقول الآن إني مجنونة.. ولكني عاقلة ومؤمنة بكل حرف
أكتبه.. دعني أشرح لك الحكاية.

نشأت في عائلة فقيرة بين أب طيب وأم صالحة وأخ يكبرني
بست سنوات.. وكنت جميلة.. جميلة جداً.. بيضاء ذات شعر
كستنائي مسنرسل وعينين خضراوين.. وكنا نسكن في حي فقير
يتلاءم مع مرتب أبي الموظف في وزارة الصحة، وكنت أجهل بنات
الحي، بل كانت أمي تبخرني كل يوم خوفاً من الحسد.. ومع بداية
نضوجي بدأت المشاكل.

في سن ١٤ كنت أسير في الطريق /تزفني/ التعليقات
والمعاكسات والمداعبات الكبيرة والصغيرة، والشباب والكهول.
الكل سواء في القمزات واللحزات والكلمات «الأبيحة»، وكنت
صبر وأصبر نفسي. وأقول هذه هي ضريبة الجمال.. والحقيقة أنني

كنت أشعر بجمالى وأختال به وأتباهى به على سائر بنات الحى.
وبلغت السادسة عشرة وحدثت أولى المصائب التى أوقعتنى
فيها جمالى.

كان أعمامنا اثنان من الشبان.. واحد فى الثانوية العامة..
والآخر فى إحدى الكليات النظرية.

والاثنان كانا يطاردانى فى ذهابى وإيابى.

كان أحدهما يمشى خلفى حتى يوصلنى إلى مدرستى فى الصباح
والآخر يعود خلفى فى أثناء عودتى.. وكأنها دورية قسماها بينهما.
وذات يوم بينما كنت عائدة للمنزل والمذكور من خلفى يتبعنى
كظلى.. حتى وصلنا إلى بداية الحى الذى أعيش فيه وإذا به يسرع
فى خطواته حتى يصبح فى محاذى ثم يبدأ يكلمنى عن غرامه
وهيامه وانشغاله بالليل والنهار.

لم أتكلم.. ولم أرد.. واصلت مسيرى.. وزدت من سرعة
خطواتى، ولكن ذلك لم يوقفه.. وفجأة إذا بى أرى صاحبنا الآخر
قادمًا من بعيد منطلقًا كالسهم وقد أنا، حتى بلغنا، وإذا بمشجرة
تقوم بينهما، بل وأكثر من ذلك فقد اشتركت العائلتان واتسعت
المشجرة وتحولت إلى معركة وإصابات. كان من نتائجها إصابة
أحد الطالبين بعاهة مستديمة فى وجهه.

وانتقل الكل إلى القسم.. وأصبحت فضيحة بجلاجل.
وانتهى المحضر بأن أجمع أهل الحى على مقاطعتنا بسبب إلى

«ما تسمى» يقصدوننى.

ولم نجد حلاً سوى أن تنتقل إلى حى آخر.
وليقطع أبى دابر المشاكل معنى من المدرسة وأقعدنى فى البيت
وأمر ما فى الأمر أنى بدأت أفقد أعز ما كنت أعز به.. ثقة أبى
وأخى وأخى فى سلوكى وأخلاقى.. فقد بدأ الجميع ينظرون إلى
نظرات مريبة من جانب عيونهم.

مرت على هذه الحادثة عدة أشهر.. وذات يوم عاد أخى
مكفهر الوجه، يتطاير الشرر من عينيه وقد سمع عنى أخباراً
سببة من زملائه ولا أعلم من أين أتت له هذه الأخبار.. وانتظر
حتى عاد أبى من الوزارة.. وإذا به يقص عليه قصة لا أول لها
ولا آخر ولا أساس لها من الصحة عنى وعن صلاقى بشبان..
ولما كان والدى يحبنى جداً فقد ثار فى وجهه.. وإذا بالاثنتين
بتبادلان الصياح وفجأة بدأ أخى يبوح بما كتبه فى صدره سنين
طوالاً حتى فاض به الكيل.

حكى لنا كيف أن العيون كانت تلاحقه أينما سار والألسن
تنهامس.. هو ده الشاب أخو البنت إياها.. البت الكتكوتة..
يا حلاوة الكتاكيت.

وأينما كان يجلس كان الكل يتلفتون وفى عيونهم سخرية.
هل تصدق.. لقد كنت وصمة له.. بل إن جمالى كان وصمته
التي لا يعرف كيف يتخلص منها.

وكان اعترافاً هبط على هبوط الصاعقة فكتمت أنفاسى.. ولم

أعرف كيف أرد ولا كيف أدافع عن نفسي.

وتركنا أخى وسافر إلى الاسكندرية بحجة نقله.. وأنا أعلم تمام العلم أنه تركنا برغبته ليهرب، ليهرب متى، من أخته ومضت الأيام.

جاء اليوم الذى تتمناه كل فتاة.. خطبنى طبيب لا يزال فى أول الطريق والمستقبل مفتوح أمامه.

وبعد ثلاثة أشهر كنت له زوجة.. وعشنا فى بيت صغير فى إحدى ضواحي القاهرة.

كنا نبنى لأنفسنا قصوراً فى الهواء.. وآمالاً وأحلاماً.. كم ابنا وكم بنتاً سوف ننجب، وأين سنقضى الصيف، وأين سنسافر فى الشتاء؟ إلى آخر تلك الآمال الساذجة.

وكان يظن أنه سوف يصبح أسعد زوج مع أجمل زوجة. وكنا فى بداية زواجنا ترتاد الأماكن العامة فتتجه الأنظار كلها نحوى مبهورة بجمالى، ويسلط الرجال عيونهم على من رأسى إلى قدمى.. وكان زوجى يبدو سعيداً فخوراً.. يتباهى بذلك أمام أصدقائه.. فله زوجة أجمل من زوجاتهم جميعاً.. وكانوا هم يقولون ذلك أيضاً..

ولكن بمضى الوقت.. بدأ يتغير.. بدأ يقلل من خروجنا إلى الأماكن العامة.. ولم أعترض.. بدأ يحدد مرات خروجى من المنزل.. ولم أعترض.

وبداً فى كل مرة أخرج فيها يطلب منى أن أقدم له خط سيرى بالضبط.. ثم تقريراً مفصلاً عن قابليت ومن كلست إلى آخر هذه التصرفات الصيانية التى تملئها الغيرة.

وكنت أعذره فى موقفه وأعطف عليه.. وأقارنه بأخى الذى لم يحتمل أن يعاشرنى كأخت.. فما بال زوجة.

احتملت هذه المعاملة ستين إلا أنه زاد فيها وبدأ يستعمل القسوة والضرب أحياناً.

ولكنى كنت أراه فى قرارة نفسه يتألم طول الوقت. إلى أن جاء ذات يوم مبكراً على غير عادته.. وبدأنا نتجادب أطراف الحديث وكان يبدو غير طبيعى.. وكنت أعلم أن فى الأمر شيئاً وكنت على حق فما لبث أن انفجر.. وإذا بى أرى صورة من أخى.

نعم.. هو الآخر فاض به الكيل.. زملاؤه فى العمل يتهامون حينما يرونه وينظرون إليه تلك النظرات الغامضة الساخرة. وهو يعيش فى غيرة وشك قاتل يشغله عن عمله وعن عيادته ويبلبل ذهنه طول الوقت.. النظرات الشهوانية التى يصوبها الرجال نحوى تفقده عقله.. حياته تحولت إلى جحيم لا يطاق.. إنه يتصورنى على الدوام فى مواقف خيانات زوجية.

ولم يستطع أن يستمر.. طلقنى بعد مشاجرات متصلة.. وانتهيات عصبية.. ونجا بنفسه قبل أن يدخل مستشفى المجاذيب

وعدت إلى منزل أُمِّي.. وكانت قد تزوجت برجل آخر بعد وفاة والدي.

وبالرغم من تظاهرها بالفرحة لرؤيتي.. وكلماتها الطيبة في مواساتي.. فقد كنت أرى كل مظاهر الحزن والحسرة بادية في عينيها، فهي لم تكن تتصور أن ابنتها الجميلة التي كان يحسدها الناس قد انتهت إلى هذه الحالة من التعاسة.

على أي حال.. عشت مع والدي.. وكان زوجها رجلاً ينظر بالطيبة.. وما لبث أن بدأ يظهر لي على حقيقته.. بدأ يغازلني.. ويطاردني.. واحتملت وصبرت صبر أيوب.. حتى ضبطته أُمِّي مرة وهو يحاول تقبيلي عنوة.. وكانت النهاية بالنسبة لزوجها.. فقد تركت المنزل وذهبت إلى شقيقتها في إحدى بلاد الوجه القبلي.

واتجهت أنا إلى عمي.. ومكثت عنده إلى يومنا هذا. والدور الآن على عمي المسكين الذي أعيش معه ليبتلى بمصائب جمالي.

تقدم لي حتى الآن ثلاثة عرسان يطلبون يدي ورفضتهم جميعاً دون إبداء أسباب.

ولعلك تعرف الآن سبب الرفض.

فكرت في مشاكل التي لا حل لها.

فكرت في الانتحار لأستريح.. وأريح الناس.

فكرت في تشويه جمالي لأتخلص من اللعنة التي تطاردني. ماذا أفعل.. صدقني.. أنا معذبة.

المعذبة بجمالها

أنا أصدقك. فالجمال في أغلب حالاته يعذب صاحبه ويعذب الناس.. فهو يطلق الفيرة والشك والوساوس من عقالها.. ومتى بدأت الفيرة تطل برأسها بدأت السعادة تتوارى.. وتحولت الجنة إلى جحيم.

ولكن الحل لا يكون بالانتحار.. ولا بتشويه الجمال.

الحل هو البحث عن رجل عاقل.. رجل شخصية.

إن الرجل لا يغار على زوجته الجميلة إلا إذا فقد الثقة في نفسه وفي لياقته.. وسعر أنه ناقص وغير كفء لجمالها.

ولكن إذا شعر أنه نذل لها وأنه شخصية جذابة مثلها هي امرأة جذابة.. وأنه ليس بحاجة إليها وإنما هي التي بحاجة إليه، حينئذ ربما انقلبت الآية فأصبحت هي التي تغار عليه وتخشى أن تسرقه منها امرأة أخرى.

أنت في حاجة إلى رجل شخصية.. تشعرين بجواره أنك تافهة وأن جمالك تافه.. ويشهر هو بهذا الشعور فيستريح ويطمئن فلا سئء فيك يخشى عليه.. فهو يمتلكك حاضراً وغائباً.. وإذا كان لا بد أن يقلق أحدهما.. فهو يشعر أنك الأولى بهذا القلق.

تحملي عذابك بجمالك حتى تعثرى على هذا الرجل
وعزاؤك أن عذابك بجمالك مها يكن فهو عذاب لذيد وأرحم
ألف مرة من عذاب القبيحة بقبحها.

أرض الأحلام

أكتب لك هذا الخطاب بعد تردد طويل وبعد ليلة مؤرقة
سهرتها أعانى من عذابي حتى الصباح.

ولأعرفك بنفسى.. أنا سيدة فى السابعة والعشرين، من عائلة
ذات أصل عربى وذات تقاليد وعادات وريثها أجيالاً بعد أجيال،
وما زالت متعصية لها.

بدأت مشكلتى منذ ١٣ سنة، وكانت سننى فى ذلك الوقت ١٤
سنة، وكنت فى فورة الصبا والأنوثة والعاطفة الجامحة، وبحكم
تقاليد العائلة كنت سجيننة البيت لا أهرحه.. وأكبر مشوار كان
مسموحاً لى أن أقطعه هو بضعة أقدام من الفراش إلى البلكونة
حيث أقف وأتفرج على الشارع من بعيد وهكذا كان تعارفنا
الأول من البلكونة.

كنت أراه كل يوم فى ذهابه وإيابه إلى مقر عمله.. وكنت
أنتظره كل ليلة حتى يعود من سهرته وأحياناً أقف الساعات
الطوال حتى بعد منتصف الليل لكى أتزود منه بنظرة قبل أن أنام.
ولم يكن فى البداية يدري من أمرى شيئاً.

ثم بدأ يلاحظ أنى أنظر إليه.. وأنى أقف له كل يوم في
البلكونة ساعة خروجه وساعة عودته.

رجل أنيق ممتلئ بالرجولة.. في سن الثلاثين.. فارق كبير في
السن بينى وبينه طبعاً.. ولكنى لم أشعر بهذا الفارق.

وصورت عواطفى له صورة مثلى في عيني.. فكنت أنظر إليه
وكأنى أنظر إلى إله يمشى على الأرض.

وفي ذات ليلة في طريق عودته.. أشار إلى يده بحركات لم
أفهمها.. ثم تكررت هذه الحركات والإشارات فابتسمت له
ورددت له الإشارات بإشارات مثلها.. ثم دفعنى طينى فكبت له
رسالة شرحت له فيها حبنى ومشاعرى وألقيتها له وأنا لا نعى
الدنيا من الفرحه أجاب على رسالتى برسالة أحر منها.

ومرت الأيام ونحن تتبادل تلك الوريقات الصغيرة.. ونختلص
النظرات.

ومع مرور الأيام أخذ حبه ينمو ويكبر في قلبى وأنا سابعة في
دنيا الخيال والأوهام.. مغمضة عيني عن الواقع المرير الذى تحتم
علينا فيه تقاليدنا عدم الزواج من غير أبناء العائلة ومن غير أبناء
القبيلة.. إلى هذا الحد كنت أعيش في حلم.

ولكنى صحت من حلمى أخيراً.. وكانت صحوه فجائية
كالصدمة تلاشت فيها الخيالات الجميلة التى كنت أسبح فيها..
أيقظتنى منها زغاريد مجلجلة ردد صداها صحن الدار.. ثم علمت

أنى أصبحت عروساً وأن ابن عمى خطبنى.. ابن عمى الذى
لا أحل له أى شعور سوى شعور الأخوة.

ونم زفانى وأنا في السابعة عشرة.. وأغلقت قلبى في محاولة
ساقية لأنسى ولكن محاولاتي فشلت.. ولم أستطع أن أتوافق مع
زوجى.. كنت أشعر كلما اقترب منى أنى في جحيم.

وكانت لمستته تقرزنى.

وبعد شهرين من العذاب والصراع هربت منه وعدت إلى
بيت أهلى.. وثارت ضجة حولى.. وانتشرت إشاعات عن نشوزى
وتفردى.. ولكنى صعدت أمام العاصفة.. وصممت على ألا أعود.
وكان أكبر ما يخيفنى من العودة هو أن أنجب منه فيتحتم على
البقاء معه طوال العمر.

وما كثر الكلام والقبل والقال غادرت البلد وسافرت إلى
قارب لى في بلد بعيد.. ومكنت هناك سنتين.. وهناك سمعت أن
حبيبى تزوج وأنجب فتحطمت آمالى وصدمت صدمة كادت
تنفضى على حياتى.

وعدت إلى بيت أهلى.. إلى موطن الذكرى.. وعلمت أنه
يتسم أخبارى من الأخباريات.. ثم أصبحت أراه كسابق عهدي..
وكتبت له رسالة أهنئه بزواجه وبإنجابه مولودة.. فرد على برسالة
رفيقة شرح فيها شعوره نحوى والظروف التى أدت به إلى
الزواج وقال إنه غير سعيد في حياته الزوجية.

ومرت الأيام.. ونحن نتبادل النظرات فحسب في أثناء مروره
من الشارع بين الحين والآخر وأنا قابعة بهذا القليل الذي أفوز
به.

ولكن القدر سلبني حتى هذا القليل.

ولا أدري لماذا انتقل من الحى.

ومرت سنتان لم أره خلالها فتعزق قلبي وأحرقت الدموع
وجنتى.. وبعد عشر سنوات أخرى من الزمن الطويل البليد
الفارغ أزمع أهلى على الرحيل من تلك المنطقة إلى منطقة أخرى
في المدينة.

وبكيت آخر ذكرى لى قبل رحيلى ودفنت بتلك الأرض
الطيبة أجمل أحلامى وآمالى.

وهناك فى ذلك البيت الجديد الذى سكنا فيه على رأس الميدان
فوجئت برؤيته كل يوم فى ذهابه إلى مقر عمله وإيابه منه.
واستيقظت مشاعرى النائمة تحت سنوات اليأس والحزن.
وعدت طفلة أنتظره كل يوم فى ذهابه وإيابه.

وشاء القدر أن ألتقى به لأول مرة وكانت مصادفة من تلك
المصادفات التى تدبرها الملابس عرضاً واتفاقاً.

وعاتبته على هجره. وأجابنى بأنه لم يكن يظن أنى سأتمادى فى
حبه لأنه كما قال لى فى عباراته: «لست من وسطكم ولا من
بيئتكم وأعرف أن لكم تقاليد تمنع الزواج من خارج العائلة.

وأعرف أنكم محافظون ومتزمتون.. ولهذا آثرت أن أبعد عن
طريقك لاتيح لك فرصة نسيانى مع أنى ما زلت أحبك واحترمك
واحترم عائلتك. ولكن ماذا يفيد مثل ذلك الحب.. وما نهايته؟.

وأجبتة بالبرهان الوحيد الحى الصادق.. وهى تلك السنوات
الطويلة التى مرت دون أن تغير التقاليد من حبنى. ودون أن توهن
من شعورى.. ومن لقاى الأول معه ألمت بكثير من طباعه..
ورأيتة على عكس ما تصوريته.. خشن المعاملة.. قاسى
النصرقات.. وبرغم ذلك فقد ازداد تعلقى به.. وزاد انضاح
صورته فى خيالى حى اشتعلاً.

وأصبحت ألتقى به كلما سنحت الفرصة لقاء لا يستغرق أكثر
من ساعة.. وأراه فى أثناء ذلك الوقت القصير يكم رغبات قوية
ويجاهد كى لا يمسنى بسوء.

ومر عام على هذا المنوال ثم أخذ يماطلنى كلما طلبت منه
موعداً ويعلل ذلك بأنه يخاف وضميره لا يسمح له أن يعرضنى
للإساعات. ويقسم لى أن شعوره لم يتغير ولكنه يخشى على
سعتى أكثر مما يخشى على عينيه، وأنه يتعنى أن يلقانى كل يوم..
ويقول لى.. يجب أن تفهمينى.

وأنا لا أستطيع أن أفهمه ولا أن أفهم أطواره.

واليوم انفتح الطريق الذى ظل مسدوداً منذ أجيال.. وتمرد
كثير من أبناء وبنات العائلات المحافظة على التقاليد البالية..

وتزوجت الكثيرات من عائلتنا عن حب.. وسنحت الفرصة ليتقدم ويطلب يدي.. ولكنه لم يتقدم.

وقد سمعت عنه أنه يكره المسئوليات.

وفي كل مناسبة يردد على سمعي قائلاً إنه: لولا أولئك الأبرياء «أولاده الثلاثة» لما مكثت مع زوجتي سنة واحدة. وأنا كرامتي تأبى علي أن أقول له.. جرب الزواج مني، فستان ما بيننا، أنا والزوجة التي تعيش معها.. أنا التي أحبيتك بلا أمل وظل قلبي وفياً لك طيلة ١٣ سنة أقدم لك الحب والحنان والرعاية بلا غرض.

هذا مع العلم أنه تزوج قبل زواجه الحالي بـزوجة أولى طلقها بعد أن صدم فيها.. فهو يخشى أن يدخل في تجربة زواج نالته. لا تقل لي ياسيدي «أنت بلا ضمير» فضميري لم يميت ولكنه في غيبوبة منذ أن استمعت إلى شكواه وبأسه من حياته مع تلك الزوجة.. وهو الآن يسكن في منزل مستقل عنها ولكنه قريب منها. ماذا سيخسر بزواجه مني؟

إني أذوب حرقه على حرمانى من لذة رعايته والسهر على راحته، وليس لي أمل إلا أن يضمنا بيت واحد.

وسؤالي الأخير ياسيدي.. هل هذا الرجل يحبني؟

ح.أ

إذا كان سؤالك هل يحبك ذلك الرجل كما تحبينه.. فالإجابة قطعاً أنه لا يحبك كما تحبينه.. فحبك هذا حب غريب أسطوري رومانتيكى خرافى لا مثيل له إلا في قصص ستيفان زفايج. أنت ترفضين زوجاً من عشيرتك هو ابن عمك من لحمك ومن دمك مجرد خيال في بلكونة.. خيال لم تبادليه كلمة واحدة، ولم نعرفى طباعه ولا شخصيته.

وكما تقولين في كلامك بالحرف.. حينها التقيت به أول لقاء بعد ١٣ سنة من لقاءات الخيال.. صدمك فيه أنه رجل آخر.. حشن الطباع.. قاسى التصرفات.

لقد عشت ١٣ سنة تحبين رجلاً آخر غيره.. رجلاً صورته لك خيالك.

ولو أنك عاشرتي في بيت واحد لاكتشفت كل لحظة صورة جديدة.. لرجل جديد لا علاقة لك به.

وأنت حينها تقولين أنك أحبيت تلك الصورة الجديدة القاسية الخسنة منه.. فإنما أنت في الحقيقة تعزين نفسك وتهونين الـ ١٣ سنة من الخيالات الكاذبة.

ولكن الحقيقة أن هذا الزواج الذى تصورين منه جنة الجنات من الممكن أن يفشل.. بل إن فشله هو الاحتمال الغالب.. لأن هذه العلاقة الملتهية كانت طول الوقت تقوم في فراغ.. إنها علاقة بينك وبين نفسك.. وبين خيالات.. أكثر منها علاقة بينك

وبين رجل آخر حقيقى من لحم ودم.

والحقيقة أن رجلك يتصرف بعقل وحكمة.. هو يعلم الآن أنه لم يعد رجلاً واحداً، وإنما أصبح رجلاً وزوجة وثلاثة أولاد.. حينها يتزوج بهذا الجيش.. ثم يعود فينجب من جديد جيشاً آخر من العيال فالتعاسة والفقر والنكد وتعب البال وكثرة العيال.. هي النتيجة المنتظرة.. وليست السعادة ولا جنات الحب الوارفة. ورجلك الآن يعلم أنه في الثالثة والأربعين، أى أنه مقبل على خريف عمره.. بينما أنت في الـ ٢٧ ريعان أنوثتك وربيع عواطفك ورغباتك الحادة كامرأة عاشقة، قلبها جانع وجسدها جانع بحرمان ١٣ سنة.. وهى تحلم بإشباع ذلك القلب وذلك الجسد. ومثل ذلك الإشباع بالنسبة لرجل في الثالثة والأربعين مسألة شاقة.. ولكل سن طاقات وحدود.

وأعتقد أن ذلك الزواج الذى تحلمين به سيكون زواجاً شقياً نعثاً.. مليئاً بالمنغصات.

إن رجلك على صواب فى ابتعاده عنك.. فهو يريد أن يغلق الباب الذى تأتى منه الريح ويستريح. وهو قطعاً لا يحبك كما تحبينه.

وهو يعلم حدوده ولا يريد أن يفتح على نفسه باباً لا يقدر عليه، وهو يعلم أنك أحببته فى الأحلام.. فلنستمر القصة إلى نهايتها فى الأحلام.. فهذا أفضل من أن تنكسر رقبتك ورقبتك على أرض الواقع.

الكلام العيب

أنا فتاة.. لا أدري بماذا أصف نفسى.

حتى ١٨ سنة، شكلى عادى، أو هو كذلك فى نظرى.. أما كل من يرانى فإنه يقول لى أمتاز بسمرة لذيدة وجسم شهى. حتى البنات يتغزلن فى جسمى أحياناً فى شعرى الطويل مثل فحمة الليل، ومثل هذا الغزل كان دائماً يخرجنى وكنت أقابله دائماً بوجه متجهم وبوز شبرين فاستهزت بأنى بنت أخلاقها دوغرى واسمها نضيف وعفيف مما جعل العرسان والخطاب يتزاحمون على الباب.. وهذا هو ما يبدو من حياى فى الظاهر. أما الباطن.

أما الجانب المظلم الآخر الذى لا يراه الناس.. فهو المشكلة وهو المسألة التى أقف عندها حائرة ضائعة.

وسوف أدع الخجل جانباً.. وأكشف لك مأساى التى لا يعرفها إلا أنا وهو والله.

وهو موظف فى الشركة التى أعمل بها. كانت علاقتنا سطحية حتى حدث أن قامت الشركة برحلة ترفيهية إلى الفيوم.

وعلى شاطئ بحيرة قارون.. وبين الضحك والتهريج..
واليوستفندي سقط حجاب الكلفة عن وجهي كما سقط عن
وجهه ورأينا بعضنا نتكلم كأصدقاء قدماء نعرف بعضنا من مليون
سنة. ونلعب ونضحك ونتماسك بالأيدي.

وعدنا من الرحلة.. ولكن بعد أن تغير شيء في نفسي..
كما تغير شيء في نفسه.

وأصارك بحق.. أن هذه أول مرة يهفو فيها قلبي إلى رجل..
فهو إذن الحب الذي يقولون عنه.

والتقينا بعد ذلك في أماكن عامة.. ثم في السينا.

ومرة بعد مرة بدأت أيدينا تتماسك في الظلام.. ثم بدأت
تسرح.. وأصارك بأن كنت أشعر من نفسي بعد كل مرة..
وأنظر إلى نفسي في المرأة وكأنني امرأة أخرى لا أعرفها.. ولكن
الفضول إلى ذلك العالم المجهول الذي تحكى عنه روايات السينا
كان يجبرني جرأاً كافياً منومة مغناطيسياً.

أصبح الحديث يتدرج إلى مواضيع بذيئة.

كنت أحياناً وأنا أسمعك يتكلم أغوص في مقعدى من شدة
الخجل، ولكني لم أكن أمنعه من الاسترسال في بذائه.. كان في
أعماق قلبي جانب خبيث وضع فضولي يريد أن يعرف كل
شيء.

وهكذا وجدته يكلمني عن الجنس والحب بكلمات مكتوفة،

ربما لو كنت سمعت كلمة منها من رجل آخر لبصقت في وجهه.
كيف أصف لك نفسي؟.. كنت أسير وراءه كالعمياء.. وقد
تحدثت إرادتي.. ونام عقلي تماماً.

ثم حدث بعد ذلك فجأة.. وبينما أنا في أعماق التخدير الذي
يشبه الحلم.. فجأة.. انقطع عني.

١ بعد يكلمني.

٢ بعد يطلب مني ميعاداً.

٣ بعد يقابلني.. ولم بعد حتى يتسم في وجهي.

وجئت.. وطاش عقلي.

وأصبحت أنا التي أتمالك عليه وأطلب منه المواعيد، واللقاءات
في السينا.. وهو ينظر إلى في شرود ولا يرد.

وفي اللقاءات المختلصة في الطريق العام.. وفي نزعات الظلام
على الكورنيش قال لي إنه يخاف علي.. ففي كل لحظة يمكن أن
تحدث مصيبة.. وقضيحة.. وهو يخشى علي.. ويخاف على سمعتي..
ثم هو يحبني، يحبني جداً يعبدني، هكذا يقول.. ويريد أن يستأثر بي
ويختل بي.. يريد أن يرى كل قطعة من جسدي ليتعلّى بجماله
الذهل.. تصور!

أنا أعرف أنك بدأت تلوى شفتيك اشعزاً.. حسناً.. أنا
أيضاً مشعز من نفسي.. ولكنها الحقيقة.. وإذا كان هناك أمل في

نجاتي قلن يكون إلا بأن أقول الحقيقة.. وكفاني كذبا على كل الناس.

ولن ينجيني أن أخفي رأسي في الرمال كالنعامة وأخدع نفسي وأدعي أن لا شيء قد حدث.

وسوف اختصر لك الحكاية.. فهو كان دائماً يحدثني عن قريب له موظف في الريف يسكن في فيلا وحده.. وأنه يحب أن يستضيفنا.

وهكذا ذهبنا تحت شعار قضاء يوم في الريف، شعار برى جداً، وقام قريبه بواجب الضيافة كاملاً.. ثم خرج وأصبحت الفيلا خالية إلا منا نحن الاثنين.

وما بقي من الحكاية تستطيع أن تراه في أي سينما في السبئية يتكرر كل ليلة بين شكري سرحان وفاتن حمامة، أو أحمد مظهر ونادية لطفي، أو كمال الشناوي وسعاد حسني.. إلى آخر هذه التباديل والتوافيق في قصة واحدة لها ألف اسم.. قصة واحدة لها ألف صورة في أحلامنا نحن بنات الـ ١٧ والـ ١٨، قصة ترددها الإذاعة في كل أغنية، من أول: كفاية أصحى على شفايفك، تعال يا الله في غمضة عين لشادية، إلى شوقي الشاعر الكبير الوقور العظيم وهو يقول: ودخلت في ليلين فرعك والدجى.. ولثعت كالصبح المنور فاك.. والمعنى يكسف طبعاً، يعني إيه دخل في فرعها اللي زى الليل.. والغنا على أيام جدتي وستي كان ألحن.

غنة مثل: أحبكها وأشبعها بيتين دبوس وأعض وأبوس.. إلخ حاجة تموت من الكسوف.

يقولك كده عشان تعرف أن إحنا يا بنات ضحايا.. بنغلط، لكن من إحنا وحدثنا الغلطانيين.. إحنا لانا ودان ولنا عينين، ومش عابنين لو حدثنا.. إحنا في مجتمع وبتأثر بكل شيء فيه. من يقولك كده عشان أعذر نفسي، أبداً أنا عارفة إني غلطت لكن عاوزة الصورة كلها تبقى واضحة قدامك.

نعود إلى حديث الصراحة، فأقول لك إن أثر هذا اليوم المشهود في نفسي كان عكسياً، نعم لم أشعر بالسعادة التي كنت أرسها في خيالي.

بالعكس، انهارت أحلامي واصطدمت بواقع الجنس، لذاته نوان معدودة، ثم بعد ذلك لا شيء سوى ملامح مقرزة، وقرف حقيقي يعني الواحد أن يهرب منه بأسرع ما يمكن. واختصر لك ما حدث أكثر، فأقول أن هذا كان آخر لقاء بيننا، حاول هو بعد ذلك ألف محاولة ومحاولة العودة إلى نغمة: نفسي أركع لجمالك وأقل بكل ذرة من مفاتنك.. إلى آخر هذا المسرح، ولكني كنت قد تحصنت نهائياً ضد هذا الهراء.

وأنا أشعر الآن أنني لن أعود فأضعف وأتورط فيها لا أقنع به، ولكني أعود أحياناً فأشعر بالحيرة، لماذا تحدثنا الأغاني عن هذا نقرف في علاقة الرجل والمرأة، لماذا تكذب علينا الروايات.

فلا تأخذ من القصة كلها إلا الثلاث ثواني المعدادات إياها. ثم تقطع على منظر شاعري أكثر كذباً.. على شراع قضى سابع في النيل، أو زهرة يانعة أو عصفور يغرد أو شاعر يحرف.
إذا كان الحب شيئاً رائعاً كما تقولون أيها المؤلفون، فلا بد أنه شيء آخر غير ما فعلته أنا.

نعم. أنا لا أستطيع أن أخدع نفسي، فما فعلته لم يكن حباً، وإن كان قد خيل إلى في كل لحظة أنه الحب الذي لا حب بعده.. إنني أشعر بالحيرة ولا شك أنك تعرف أكثر مني في هذه المسألة.
المخلصة أ.



في الكلمات التي قلتها صدق كثير، وإن كان صدقاً محزوناً. فحكاية الحب الأول هي أكبر كذبه روجتها الأغاني والروايات. فالحب الأول لا يمكن أن يكون حباً حقيقياً.. فحب الـ ١٦ والـ ١٧ هو حب الفضول والرغبة أمام كل شيء.

مجهول تدفع نحوه الغريزة الفجة العمياء بكل ثقلها. إنه حب يخلو من عنصر الاختيار لأن الغريزة هي التي تختار. والخلوة هي التي تحدد.. الذي يظهر في شباب الجيران يتحول تلقائياً إلى موضوع الحب لمجرد كونه من الجنس الآخر.. لا لأنه فلان الذي يتصف بالشخصية الخاصة التي تحب.

والأغاني والروايات كما تقولين تشعذ الفضول وتصور

لللاتين جنة ساحرة خرافية وأكذوبة من المتع لا وجود لها. ولسان الحال يقول: «نفسى أشوف كل حنة في جسمك».. إنه الفضول الشديد.. الذي يتصور أن الجنة في كل حنة محجوبة. مجرد فضول تشريحي جسدي ودموع بدون مناسبة.. هذا هو الحب الأول.. الكذبة التي اكتشفتها بنفسك.

ولأنك عدت إلى طبيعتك السوية بسرعة اكتشفت أنه لا يمكنك أن تعيش مستعبدة لعلاقة كل غرضها هذه الثواني المعدادة.. والحب الحقيقي لا بد إذن أن يكون علاقة يستمتع فيها العقل والقلب والروح.. وتكون العشرة البسيطة العادية.. وأحياناً حتى التواجد معاً في صمت له متعته العميقة الباقية.. أنه التقاء كامل على جميع المستويات الإنسانية.. وليس مجرد ثوان في شقة.. الحب ليس فضولاً ولا اضطراباً، ولكنه وضوح وصراحة واختيار لا يجد الرجل فيه داعياً للتأمر ونصب الفخاخ لسحب رفيقته إلى شقة.. ولكنه ببساطة يتزوجها لأنه يجد أنه يحتاج إليها في عديد من الأغراض الإنسانية ليس لمجرد غرض واحد مدته ثلاث ثوان.

وطبعاً هناك بين الرجال والنساء من يعتقد أن الثواني القليلة من المتعة يمكن أن تكون هدفاً كافياً للحياة.. ومثال هؤلاء يمكن أن يعيشوا على مستويات خنزيرية يأكلون ويتضاجعون فقط، ولا هدف غير ذلك.. ولكن ما يمارسونه لا يمكن أن يسمى حباً،

ولا يمكن أن يكون الواحد منهم إنساناً سوياً.

وإنسان الكهف كان يعيش كالحيوان.. وكان يتام من المغرب فلم تكن الكهرباء قد دخلت كهفه بعد.. ولم يكن يجد لعبة يلعبها طوال الليل سوى لعبة النسل. ومع ذلك فإنسان الكهف الأول كان يقضي وقتاً طويلاً يرسم على جدران كهفه.. حتى هذا الحيوان الأول كانت عنده لذات أخرى يبحث عنها.. وكان له وجدان وخيال.

والآن.. بعد مليون سنة هناك كهرباء وصناعة، ومسرح وسينما وتلفزيون، ومتاحف ومعارض وكتب وفن وفكر وعلم.. وعالم اللذة الإنسانية ازداد عرضاً وطولاً وعمقاً.. ولم يعد مجرد نوان في ظلام الجرسونيرات.

الإنسان وصل إلى القمر.

والكون كله قد انفتح أمام الإنسان بكامل كنوزه.. وجهائه وأغازه.. وهناك لذات عظيمة متاحة.

لذة المعرفة.. ولذة الخلق.. ولذة الاختراع، ولذة السيطرة على الطبيعة بما فيها.. ولذة الجمال الفني.. ولذة الاكتشاف، ولذة المساهمة في قضايا عظيمة عادلة.. ولذة بذل الحياة في سبيل التقدم، وفي مثل هذا العصر الخصب باللذات يكون الإنسان الذي يعيش محصوراً في لذته الجنسية مستعيداً للتوانى المحدودة.. إنساناً مريضاً.

وكلامك عن الروايات والأغاني التي تركز على الحب الجنسي باعتباره اللذة الوحيدة كلام في محله.. فهي تنقل للحياة صورة ناقصة جداً.. صورة خادعة.

واعترافك خطاب مفيد لكل من يسك قلباً في بلدنا ولكل من يؤلف أغنية أو يكتب رواية.

زوج يلعب الورق

أنا شاب مهندس في وظيفة كبيرة بإحدى الشركات الصناعية الكبرى بالإسكندرية من أسرة متوسطة.. أساعد أهلي ببعض المال شهرياً.. ولكن حالتى تتدهور باستمرار نتيجة إدمان طويل للخمر.. بدأ بكأس لفتح الشهية.. وبعد الكأس أخرى لإنعاش المزاج.. ثم شلة من الإخوان حول الجمذانة.. وسمر وسهر.. وليلة تحيها بالويسكى.. وليلة بالكونياك.. وآخر الشهر نتفد بشراب الكوكانيلى ومع الكأس سيجارة أصبحت الآن مائة سيجارة يومياً.

ومع الكأس والسيجارة أصبحت تفرس لنا مائدة عند أحد أفراد الشلة.. وتدور الكروت للتسلية وقطع الوقت.. كونكان.. نه بوكر بفلوس على خفيف.. ثم قمار وسهر صياحى على أصوله.. ومع الخمر والخسارة آخر الليلة زحقت سيارة المخدرات إلى الشفاء النعسة لتحمل العزاء والنسيان.

وهكذا أصبحت تجمعنا مائدة واحدة كل ليلة.. مجموعة من الشبان وبعض الساقطات..

وتعودت أن أصرف كل مرتبى فى الأيام الأولى من كل شهر.. ألتجأ إلى الاقتراض.. ثم ابتزاز المال.. ثم إلى التوسل للمال بطرق ملتوية غير مشروعة.. وكل يوم تتحطم نفسى أكثر.. وأضل طريقى أكثر.. وتتعدد سبل حياى أكثر وتسد أبواب الأمل باباً بعد باب.

وفى ظلمة الليل الذى انعقد سواده على رأسى فكرت فى مهرب أخير.. فكرت أن أغير حياى.. أن أتزوج.. وأبدأ حياة جديدة نظيفة.. وتزوجت بفتاة فى العشرين من عمرها.. فتنة وجمال ورشاقة ونقاة وإخلاص.

وقلت فى نفسى إن مثل هذا الجمال لا بد أن يملأ الفراغ الذى بدفعى إلى تدمير نفسى.

ومر شهر العسل ومرت فى أعقابه الأيام يوماً بعد يوم يحمر بعضها بعضاً فى ثقل ورتابة.. الجمال تعودت عليه لم أعد أحس به.. وانتمت الحلال تحولت إلى واجبات فاترة.. وحياة النظافة والنظام أصبحت فى عيني مثل حياة المصحات.. مثل الطعام المسلوق مغذ ومفيد لكن لا تهفو إليه الشهية.. والبيت السعيد أصبح سجنًا غليظ القضبان يسكنه الملل والضجر.

وبدا الحنين الخبيث إلى شلة الأتس يسرق منى عقلى.. لحظات الدهشة والشوق وأنا أكشف ورقى فى انتظار كونكان

زوج يلعب الورق

أنا شاب مهندس في وظيفة كبيرة بإحدى الشركات الصناعية الكبرى بالإسكندرية من أسرة متوسطة.. أساعد أهلي ببعض المال شهرياً.. ولكن حالتى تتدهور باستمرار نتيجة إدمان طويل للخمر.. بدأ يكأس لفتح الشهية.. وبعد الكأس أخرى لإنعاش المزاج.. ثم شلة من الإخوان حول الجمذانة.. وسمر وسهر.. وليلة تحيها بالويسكى.. وليلة بالكونياك.. وآخر الشهر نتفد بشراب الكوكانيلى ومع الكأس سيجارة أصبحت الآن مانه سيجارة يومياً.

ومع الكأس والسيجارة أصبحت تفرش لنا مائدة عند أحد أفراد الشلة.. وتدور الكروت للتسلية وقطع الوقت.. كونكان.. بوكر بفلوس على خفيف.. ثم قمار وسهر صباحى على أصوله.. ومع الخمر والخسارة آخر الليلة زحقت سيارة المخدرات إلى الشفاء النعمة لتحمل العزاء والنسيان.

وهكذا أصبحت تجمعنا مائدة واحدة كل ليلة.. مجموعة من الشبان وبعض الساقطات..

وتعودت أن أصرف كل مرتبى فى الأيام الأولى من كل شهر.. أجدأ إلى الاقتراض.. ثم ابتزاز المال.. ثم إلى التوسل للمال بطرق ملتوية غير مشروعة.. وكل يوم تتحطم نفسيتى أكثر.. وأضل طريقى أكثر.. وتتعد سبل حياتى أكثر وتسد أبواب الأمل باباً بعد باب.

وفى ظلمة الليل الذى انعقد سواده على رأسى فكرت فى مهرب أخير.. فكرت أن أغير حياتى.. أن أتزوج.. وأبدأ حياة جديدة نظيفة.. وتزوجت بفتاة فى العشرين من عمرها.. فتنة وجمال ورشاقة ونفاعة وإخلاص.

وقلت فى نفسى إن مثل هذا الجمال لابد أن يملأ الفراغ الذى يدفعنى إلى تدمير نفسى.

ومر شهر العسل ومرت فى أعقابه الأيام يوماً بعد يوم يحمر بعضها بعضاً فى ثقل ورتابة.. الجمال تعودت عليه لم أعد أحس به.. وانتهج الحلال تحولت إلى واجبات فاترة.. وحياة النظافة والنظام أصبحت فى عيني مثل حياة المصححات.. مثل الطعام المنسوق مغذ ومفيد لكن لا تنهفو إليه الشهية.. والبيت السعيد أصبح سجنًا غليظ القضيان يسكنه الملل والضجر.

وبدا الحنين الخبيث إلى شلة الأونس يسرق منى عقلى.. لحظات اللهفة والشوق وأنا أكشف ورقى فى انتظار كونكان

أو كاريه آس.. قلبي وهو يدق دقات الانتصار وأنا أكسب
الترابيزة وأجمع الفلوس.. رأسى وهى تدوخ بطعم الكأس ودوار
المخدر.. والدردشة البديئة المتطلقة من كل قيد.. والقهقهات
المخمورة التى تخرج من أعماق الأحشاء.. والسياب الذى يريح
الأعصاب ويفش الغل.. والفوضى، ولذة الفوضى.. والحرية ولذة
الحرية وانعدام المسئولية.. والإقدام على أى شئ.. حتى على
الخراب بدون حسيب ولا رقيب.

ولم أستطع المقاومة.

كأن عاشق الفوضى فى داخلى أقوى منى.

وعدت إلى الماضى الأسود.

وأصبحت أرجع كل ليلة إلى بيتى فى الثالثة صباحاً سكران
أترنح وأصبحت المشكلة مشكلتين والضجة ضجتين.. أنا وزوجتى
التي أصبحت تعيش محرومة من كل شئ.

ومرت الشهور.

نكد بالنهار.. وسهر بالليل وفشل يعقبه فشل أغرقه فى طوفان
من الخمر.. حتى جاء نهار لا أنساه.. حينما ضبطت خطايا غرامياً
من شاب يقطن بجوارنا إلى زوجتى.. رسالة مليئة بالعبارات
الساذجة والأشعار.. لكن يستدل منها على وجود علاقة فعلية بين
الشاب وبين زوجتى.. قرأت الرسالة ودارت الدنيا حولي
واشتعلت النار فى رأسى.. وأفقت.. أفقت لأول مرة.. وبكيت..

لأنك أنتى كنت السبب فى كل هذا.
وتركت الرسالة فى مكانها.. وبدأت أراقب زوجتى لأتأكد من
صحة ظنوى.

وعشت فى شك وعذاب.. وقد تأكد لى أخيراً أن ظنوى فى
محلها.. لم أكشفها مطلقاً بحكاية الرسالة.. ولم أصرحها
بتصرفاتها.. بل كتبت كل شئ فى نفسى وحاولت أن أملا
حياتها.. وقاومت لأصلح من حالى.

وقررت أن أبدأ شهر غسل جديد فأخذتها فى إجازة شهر
بأسوان وفى هذه المرة نجحت.. وجدت السعادة التى افتقدتها
وجدت المتعة والاحترام والانسجام وراحة البال.. وطلبت منها
الصفح والمقبرة وبينى وبين الله سمحتها فيها ارتكبت.. لقد كنت
على يقين أن خطأها كان بسببى.

وتغير كل شئ فى حياتى وصفت لى الدنيا.

ورزقنى الله بمولودة كانت كل أملى فى الحياة.

وعشت شهوراً خمسة كأسعد ما يكون الزوج الأب.. ثم
حدثت الكارثة.. أصيبت بنتى بشلل ثم ماتت بعد أيام من مرضها.
وقال الطبيب إنها ولدت غير مكتملة النمو بسبب ما كنت
تعاطاه من خمر ومخدرات.. ونصحنى بعدم الإنجاب لأن نطفتى
سكون دائماً ملوثة.

وعلى أثر ذلك أصيبت زوجتى بصدمة عصبية ثم رقدت طريحة

الفراش مريضة بقلبها، وقال الطبيب إنها أصيبت بروماتزم القلب، وإنها في دور متأخر من المرض ولن تبرا.
وتحولت الحياة في البيت إلى مقبرة.

زوجتي لا تتحرك في فراشها.. وأقل مجهود يؤدي إلى حالة أليمة من اللهاث والسعال.

أحضرت لها خادمة لتخدمها.. ثم نشأت بيني وبين الخادمة علاقة ثم تعقدت الأمور فطردتها.. كانت حالتى النفسية قد وصلت إلى درجة من اليأس ومن السوء لدرجة فقدت فيها عقل.

وتفاقم مرض زوجتي وأصبحت معقدة، وعرضت على أن أتزوج فتزوجت من أرملة لها طفل عاشت معنا في البيت.

وكانت النتيجة أن أصبحت المشكلتان ثلاث مشاكل زوجتي تنحدر إلى حالة من الحزن والهم والألم النفسى يوماً بعد يوم.. وتتعذب بسبب زوجتي الثانية وما تلقىه على أسماعها من عبارات بذينة ودعوات بالموت العاجل.

وزوجتي الثانية تخرج من التلميح إلى التصريح، فتطلب من أن أطلق زوجتي المريضة أو أطلقها هي.

وأقول لها إنها على فراش الموت وإنها قاربت على نهايتها، فتقول إنها بسبعة أرواح، وإنها سوف تحصد أعمارنا كلنا قبل أن تموت.

وأنا حائر، تعبان من كثرة ما عانيت من المشاكل، كلما حاولت الخروج من مشكلة أقع في مشكلة.. حياتى أصبحت كابوساً فظيماً.. وحالى مثل حال غريق فى الرمال المتحركة كلما حاول أن ينقذ نفسه غرق أكثر.. ولاشك أنك سوف تعذرني في كثرة أخطائى فقد فقدت عقلى لكثرة ما عانيت في سنوات حياتى القصيرة.

هل تظن أن هناك مخرجاً؟

مهندس

٢٠٤

أنا لا أعذرك فقد فعلت كل ما فعلت بإرادتك واختيارك...
وأنا إذا عذرتك لأنك فقدت عقلك.. فكيف أعذرك وقد فقدت ضميرك.. وكيف أعذرك وقد فقدت إنسانيتك *
وأنت حائر في مشكلة لا تدعو إلى حيرة أو تردد.
وجه الحق واضح.. أن تطلق الزوجة الثانية.. وتقف إلى جوار زوجتك الأولى.. الشهيدة التى تحملت جحيمك وأنانيتك ونزواتك ومرارتك وظلمك.

إن السؤال هو: كيف تزوجت عليها!
كيف وانتك الشجاعة أن تعذبها وهى تموت بزوجة أخرى.

وما وجه المتعة بزوجة أخرى في مثل هذا الجو المقهر
بالتعاسة.

كيف تواتيك الشهية.. أم أنها شهية حيوان.
حتى الحيوانات لا تأكل الميتة.. وأنت تأكل الميتة.. ومهندس!
وموظف كبير!.. كمان!

الشك

سوف تدهش إذا قلت لك إنى أعيش بفكرة واحدة متسلطة
على عقلى صباح مساء.. فكرة تلح على رأسى كالكابوس.
قد بدأ هذا الكابوس من خبر فى ثلاثة سطور قرأته ذات يوم
مننوم فى جريدة.. عن أحد أقسام البوليس الذى استدعى زوجاً
ذا مركز كبير لينظم زوجته المحترمة المصونة المكنونة صاحبة
العفاف بعد أن ضبطها فى منزل يدار للدعارة.

من هذا اليوم الأسود وأنا أتصور نفسى فى مكان هذا الزوج .
ولعلك تدهش أكثر إذا قلت لك إنى لم أتزوج لهذا السبب.
كلما فكرت فى الزواج تصورت هذا المصير الشنيع وأنا واقف
فى قسم البوليس أنصبب عرقاً أمام الضابط المختص، وهو يقرأ
على محضر اكتشاف وكر الدعارة وينادى زوجتى من التخشيب
حيث تجلس على الأسفلت مع المومسات.

صورة بشعة تطاردنى كلما فكرت فى الزواج من أى امرأة.
حتى ولو كانت ملاكاً.

أقول لنفسي إني أخرج من البيت في الصباح الباكر
ولا أعود إلا في المساء، وعملِي يقتضي أحياناً التغيب عن البيت
في سفريات طويلة.. والفراغ والوحدة والملل ومعاكسات شهاب
الجيران ومطاردات الطلبة المتسكعين والكلمات المعسولة في
التليفون بعد منتصف الليل كقيلة بالقضاء على أي زوجة.
وقد تفتح الزوجة رواية لتسلي وتبعد عن نفسها الضجر،
ويتصادف أن تكون الرواية من الروايات الجنسية الرخيصة
وما أكثرها فتجر رجلها إلى الهاوية.

وقد تدخل السينا فتقع في إغراء أكثر وأكثر.
واعذرتني في مخاوتي فعالم اليوم عالم بلا جذران.. فالصحيفة
تسلل إلى بيتك من تحت عقب الباب، والمعاكسات تنقز إليك من
سلك التليفون، والإغراء يدخل إليك من التليفزيون.
وملابس النساء العارية أتنعج.. إنها دعوة صريحة للعناق
بالحلال والحرام.. وأنت وشطارتك.

وزحام المواصلات يختلط فيه الخابل بالنابل ويساعد أي
صعلوك على بلوغ أغراضه وأكثر.. وإذا كان معك كارت وغرة
تليفون يمكنك أن تضعها في أي يد من تعجبك فتبلغ المراد من رب
العباد في ثوان.

وهناك ألف حجة وحجة للخروج من البيت.. الخياطة..
والكوافير.. ودكتور الأسنان.. والسوبر ماركت.. إلخ.

ولا يمكن أن يكون الواحد منا زوجاً وجاسوساً وضابط
برطة. وسوف تكون النتيجة أن نعيش بالتكال ونخليها على الله
في نهاية معروفة.. إشارة من البوليس لتسلم الست التي ضبطت في
وكر للدعارة.. يا نهار أسود كيف تريدني أن أتزوج.. مستحيل!..
إن سني الآن ٣٥ سنة.. وإيرادي كبير.. ومنصبي كبير، وأنا
عز الطالب.. ونفسي أبحوز.. لكن مشنقة الشك في رقبتي، وكابوس
تنظيفه والحزى والعار يلاحقني.

أنا في عذاب ولكني لا أجد حلاً.. كيف أضمن أخلاق المرأة
نبي ستركها في البيت وحدها وأسافر شهراً.. لا ضمان.. إذن
ولا زواج.. أعطني ضماناً واحداً وأنا أتزوج الشيطان.

ك

أنت رجل عجيب.. لقد أضحكنتي والله العظيم.

أنت تقول إنك قرأت خبراً في ثلاثة سطور عن الزوجة التي
بلغ البوليس زوجها عن ضبطها في منزل للدعارة فامتنعت عن
الزواج.. ومع ذلك يا سيد أنت تقرأ كل يوم عن أتوبيسات
تخرق.. وأتوبيسات تتصادم فتمتشم.. وحوادث شنيعة بالعربات
تجرت ركبها وتكسر عظامهم.. تقرأ عن قطارات تخرج عن
نقشيان.. وعن عمارات تنهار على سكانها.. ومع ذلك تركب
قطار.. وتزاحم لتقفز على كرسي بالأتوبيس وتنام ملء جفونك

في عمارتك ولا تفكر في أنها قد تنهار.

أنت تقرأ عن السرطان المؤكد الذي يهدد كل مدخن.. ولكن
تشرب سجائر.. وأنا أحلف من شخصيتك العصبية أنك مدمر
سجائر درجة أولى.

أنت تنقصك جميع الضمانات إذن ومع ذلك تغامر.. لا تعط
شركة النقل العام ضماناً بسلامتك من حوادث الأتوبيس.. وب
ذلك تتركب في أي أتوبيس مع الشكر.. وتقف في طابور لتعلم
تذكرتك في قطار الإسكندرية وأنت تدعو الله أن تجد تذكرة
وطبعاً لن تحصل مع التذكرة على شهادة ضمان.

ضمان إيه إلی إنت جاي تقول عليه.. مفيش ضمان يا عم
أي حاجة.. ومع ذلك بنعيش وأنت كمان بنعيش.

حاول أن تكون عاقلاً في اختيارك لزوجتك.. ثم اتكل على
الله وانجوز.. واللى يحصل يحصل.. إنت كمان مفسل وضامن
يا أخى؟!

أما تبقى تحصل المصيبة إلی إنت خايف منها وتروح تله
الست من قسم البوليس.. إبقى قول لحضرة الضابط.. لم
بتحصل في أحسن العائلات.. وطلع له الجريدة القديمة عشان
يصدق.. وبعدين امسح عرقك.. وطلقها بالثلاثة.. أنت قبل
الموت وعشت مع أنك عارف أنك حاتموت.. عشت تفكر
مستاريع للمستقبل مع أن مستقبلك ومستقبلنا جميعاً في القارة

ومفيش أشنع من الموت.. ومن لم يرض بالخوخ بيرضى
بخرابه.

والحياة مغامرة تحتاج إلى الرجل الشجاع. وهي في العادة
تعطى نفسها وتعطى ثمارها للرجل الجسور الذي لا يهاب.
ونأكد أنك لو تصرفت بشجاعة ورجولة فلا يمكن أن تخونك
زوجتك. فالخيانة الزوجية مهانة للزوجة ومرمطة أكبر مرمطة
لكرامتها. ولا يمكن أن تندفع الزوجة إلى خيانة زوجها إلا إذا
فقدت كل أمل في بيتها ورجلها. وإلا إذا فقدت عقلها ولحسن
لحظ ما زالت الزوجات الخائئات قلة ونادرة وما زالت الفضيلة
والإخلاص والوفاء الزوجي هو القاعدة.

الشيخ قفة

أنا طالب في الثانوية العامة سني ١٨.. أقيم مع أبي وأمي، وأعطيك وصفاً سريعاً للأسرة، فأبي رجل في العقد الخامس من عمره، متدين جداً، يصلي الفجر حاضر ويصوم في غير أيام رمضان ويسهر الليل يتلو القرآن. ويصادق الوعاظ في الجوامع ويحفظ كلماتهم ومواظهم ويطبقها في حياته على نفسه وعلينا. وينذر النذور للأولياء ويقيم الختانم لأهل الله. وأمي أكثر منه تديناً، كل أول شهر تذهب بالقول الثابت للست.. وعلى رأسها الطرحة لا تفارقها.. والاثنان طيبان جداً لدرجة السذاجة ومحبوبان من أهل الحي.. ويقصدهما الجميع للبركة والفوز بالدعوة الصالحة والتوسط عند الله.

ولى أخت أكبر مني.. صالحة مثلها، تزوجت الآن وسافرت مع زوجها لتقيم في أحد المراكز بالصعيد.

وأبي وأمي ليس لهما الآن غيري.. وهما قد كرسا كل حياتهما من أجل وريرياني على الأخلاق الحميدة والدين الخفيف، والصلاة والصوم والكلم الطيب.

ونشأت على هذه التربية الدينية والأخلاق الطيبة المسالمة لدرجة أني أصبحت سخرية العابثين في المدرسة، يلقبوني في كل مكان بالشيخ قفة.. الشيخ قفة جه.. الشيخ قفة راح.

ولكني لم ألتفت إلى السخرية ونذرت نفسي للدرس والتحصيل والاستذكار إلى جانب واجبي الديني من صلاة وصوم وقراءة قرآن، وكنت دائماً أنجح بتفوق وأتقدم زملائي في الترتيب.. في أواخر هذه السنة وأنا منهمك في الدرس والمذاكرة.. مرضت والدتي بالحمى.. ولازمها المرض مدة حتى أقعدها في النهاية بروماتزم مفصل.. ومن يومها وهي لا تستطيع أن تعمل أي شيء في البيت، وأخذ والدي يبحث لها عن خادمة تقوم بتنوون البيت.. وبعد الجهد والبحث المضني جاء لها بخادمة.. فتاة في مثل عمري تقريباً.. جميلة جداً.

وبدأت الفتاة تباشر عملها في همة.. ودخلت في قلب أبي وأمي وأصبح لها في البيت مكانة الابنة.. وخصتها أُمى بأحسن المعاملة. ولم أحفل بها في بداية الأمر.. فقد كنت كمهدى كل سنة.. أعطى التفاني كله لدروسي.. ولكن الأمر بدأ يتطور.

كانت تدخل لترتيب غرفتي وأنا أستذكر في ساعة متأخرة في الليل.. وتركع إلى جوار الكراسي متظاهرة بترتيبها، كاشفة في خيث عن ساقبها.. ثم تنظر إلى بجانب عينا نظرة ضاحكة في إغراء، ثم تتلوى على ظهرها لتمسح رجل الكرسي وتكشف لي

جانبا آخر من ساقها.. وأنا أستغفر الله وأدفن نظري في الكتب
الذى أطلعه.. فأنا بفطرتي الدينية أنفر من كل ما يغضب الله
وأبتعد عن كل ما يحرمه.. وكانت لي طريقة في المشي أنظر فيها
إلى الأرض وأغمض بصرى عن كل إغراء يصادفنى في الطريق.
ويبدو أن هذه الطريقة سببت للفتاة الغيظ.. ودفعتها إلى نوع
من التحدى فبدأت تتجراً أكثر في معاكستها.. وأخذت تعبت
بيديها في قدمى وهى ترتب ما تحت المكتب وتقرصنى في ساقى..
وكنت أنهرها بشدة.. وأشتتها.. فكانت تنكوم في ركن وتبكي
وترفع جلبابها في خبث لتمسح دموعها فتكشف عن جسمها
واستغفر الله وأستعيذ الشيطان.

وكنت أخشى أن أشكوها إلى أبى فأثير الظنون والريب..
وكنت أعرف في النهاية أننا في أشد الحاجة إليها.. وأن أمى طريحة
الفراش لا تتحرك. وأنى سوف أثير بذلك مشكلة بلا حل وأظلم
أمى في النهاية.

وسلمت أمرى لله.. وحاولت أن أحتمى من الغواية بالصلاة
والقرآن. واستثار الفتاة أنى أنصرف عنها بعد كل هذا فبدأت
تفخن في أساليبها.

وفي إحدى الليالى جاءتنى لأصلح لها سوستة القمستان التى
انقطعت.. وطبعاً نهرتها بشدة وشتتها.. ولكنى أعترف أنى
اختلفت نظرة إليها.. وفى تلك الليلة بكيت بشدة.. واعتل

و جسدى لطيب عذبنى عذاباً رهيباً.. وظلت تلك النظرة المختلصة
ناخصة أمامى طوال الليل.. وتشتت معنى فلم أستطع أن أذاكر
حرفاً.. وفكرت أن أقول لوالدى.

ولكن والدى لم يكن بالرجل الذى يقال له هذا الكلام..
ولا حتى نصف هذا الكلام.. إن التفكير - مجرد التفكير - يمكن
أن يكون عنده ذنباً أكبر.. والخيال يمكن أن يكون خطيئة عظمى.
وأكثر الرغبات براءة هى عنده منكرات فظيعة بشعة.

وفكرت في حل أنقذ به نفسى وأنقذ به مستقبلى.. هو أن أذاكر
عند أحد أصدقائى وأعود في وقت متأخر كل ليلة بعد أن يكون
الكل قد نام.

وبدأت في الحال.

وسعرت براحه نسيية. وإن كنت - وهذه هى الصراحة - لم
أكف عن التفكير فيها لحظة واحدة.

كان هناك شيء قد بدأ ينهش معنى من الداخل أصابعه
ويصارعنى.. ولكنى لم أفكر في عمل أى شيء.

كنت قد أصبحت مدنس الخيال.. ولكنى ظللت طاهر اليدين
إلى أن جاءت ليلة مشنومة.. أبى فيها يبيت في الحسين في ليلة
مولده الكبيرة.. وأمى نائمة في فراشها.. وعدت أنا في وقت
متأخر من الليل من عند صديقى.. لأفاجأ بالفتاة نائمة في
فراشى.. وليرحم الله كل الخطاة.. وليتب على جميع المذنبين.

لقد سقطت من نظر نفسى منذ تلك الليلة إلى الأبد..
وليت الأمر وقف عند هذا الحد.. ولكن الفتاة اللئيمة بدأت
تستغلى.. وتستغل طبيعتى.. فبدأت أساعدها فى غسل الأطباق وفى
مسح الأرض.. تحت التهديد.. وانعكس الوضع فأصبحت هى
التي تأمرنى.. وتهددنى بالقضبة خوفاً وضعفاً.. ثم بدأت تقول
لى.. لا أحد ينفع لك سوى.. لماذا لا تتزوجنى، سأكون خادمك
إلى الأبد..

ويعلم الله أننى أنا الذى أصبحت خادمها منذ تلك الليلة..
وانقطعت عن المذاكرة وانقطعت عن الصلاة وأصبحت أكره
نفسى وأكره الدنيا، وتكرر اتصالى بها.. حتى كان - منذ أيام -
أن ضبطنا والدى معاً.

وأغمى على الرجل وأصيب بانتهيار عصبى.. وانقطع عن
الطعام، وانقطع عن الكلام.. وراح فى توبة من الاستغفار، ثم
تكلم أخيراً.. لا ليطرد البنت.. وإنما ليطردنى أنا.. ابنه الوحيد.

وخرجت إلى الشارع أبكى.. ولم أجد بيتاً أنام فيه..
ولم أكن أعرف من العائلة إلا زوج أختى وزوج أختى
لا يكره أحداً فى الدنيا كما يكرهنى.. وهو رجل بخيل لا يفكر فى
إطعام كلب.. وأنا حالياً أبيت فى السينمات وفى الجوامع وعلى
كراسى الحدائق، وأحياناً على دكة فى محطة السكة الحديد
واقترض القروش من أصدقائى لأشتري الخبز.

وأنا نادم مستغفر.. ولولا بقايا إيمان لا انتحرت.. ولكن ماذا
كان يمكننى أن أفعل.. قل لأبى.. ماذا يمكن أن أفعل..
م. هاشم

أبوك ظلمك..

وهو معذور...

وهو لم يتخيل عذابك.

وهو لم يمر على المرحلة التى مرت بها، فهو غالباً كمادة آباءنا
تزوج فى سن مبكرة، ولم يعرف أحكام المراهقة.. وخصوصاً حينها
يطاردها الإغراء.. وأبى إغراء.

وكان التصرف السليم أن يطرد البنت ويستبدل بها خادماً
لا خادمة، فبقاء النار مع الكبريت بدون احتراق مستحيل، وفى
سن المراهقة وفى لحظة الإغراء تتغلب الطبيعة على العقل
والقريظة على الحياء.

هذه أخطار طبيعية فى الحياة ولا نستطيع أن نغير الحياة ولكننا
نستطيع فقط أن نتجنب أخطارها وننظم رغباتها وحوافزها.
ونحن بشر ولسنا أنبياء.. ولا يجب أن نطالب بما يطالب به
الأنبياء.

والحكم التقليدى بأن الرجل دائماً هو الذئب المفترس والمرأة

هي الحمل الوديع والضحية.. ليس سليماً في كمال الأحوال.
ولا شك أنك - يا شيخ قفة - كنت الحمل ليبي وكبش
الضحية وأنت كنت فريسة لا ذنباً.

وعلى أيك أن يعود بك إلى البيت قبل أن تغم الغلطة
غلطتين، وغلطة الأب ستكون أشنع، إذ أنها ستتركك إلى
مهاوى التشرد وستكون جريمة ضد المجتمع.. لا ستأخذ مع
فتاة.

الفرق بين الغرام والزواج

أنا فتاة وحيدة أبوي مع ثلاثة إخوة ذكور، وأنا الكبرى..
جميلة كما يقول كل من يراني.

كنت منقولة إلى السنة النهائية من المرحلة الثانوية التجارية
وكان هو قد انتهى من امتحان الثانوية العامة، وفي انتظار ظهور
النتيجة ويقطن في الشارع الذي خلف شارعنا، وكنت أراه
وأعتبره طفلاً صغيراً، أو بمعنى أصح «عيل».. لكن الظروف
جعلتنا نتقابل ونتحدث.. ولم أعدد بشيء سوى الصداقة..
ووعدني هو بالزواج من أول لقاء، لأنه يحبني من زمان قوى
كما قال.. ولم أحاول أن أجاريه.. لكن بعد ذلك وجدته قد تعلق
بي إلى حد الجنون وأصبحت أنا كل شيء في حياته.
وبدأت أحس أنني مسئولة عن ذلك ووجدتني أحبه وأجاريه في
حبه وأتعلق به.

وظهرت نتيجة. وكان راسياً، ووجدته يائساً محطاً.. لا يعنيه
في الدنيا سوى أمل واحد.. هو أن أقف بجانبه.
المهم.. مرت الأيام وجاء العام الدراسي الجديد، وأصبحنا

نتقابل كل يوم خميس بعد الانتهاء من المحاضرات وبدأت المشاكل من شباب الحى.. اشمعنى يعنى العيل ده.. وكل يوم مشكلة فى البيت، اشمعنى ده وبترفضى الدكتور والمدرس والغريب والقريب، ومع كل مشكلة أجده يانسأ فأشجعه على المذاكرة فيقول لى: لن أستطيع المذاكرة إلا إذا عرفت أن أحدا لن يستطيع أن يأخذك منى.. وأكثر من هذا.. يطلب منى أن تتزوج سرًا على أن يبقى كل منا فى بيته ولا يعلم أحد بشيء.. ووافقته وافقته لأنى كنت أعلم أنه لو ظل طول عمره يتقدم إلما أجابه أحد إلى طلبه.. ولطردوه من على الباب.

وافقته وكل إحساس بأنى سبب كل العذاب الذى يعيش فيه.. وافقته دون أن أفكر فى نفسى وما يمكن أن يحدث لى.. أردت فقط أن أسعده وأعاونه على النجاح.

وهكذا تم له ما أراد.
وظللنا على حالتنا لا يجمعنا سوى اللقاء فى أثناء الذهاب إلى المدرسة أو العودة منها.

وحدثت مشاكل فى مدرستى بسبب رؤيته فى الذهاب والعودة، وكثرت الإشاعات.. ولم أستطع أن أصرح بحقيقة علاقتنا. وفى يوم طلبت منى الناظرة أن أحضر ولّى أمرى.

ولم أستطع بالطبع أن أقول لأبى حتى لا تنكشف الحكاية. وحضر هو باعتباره زوجى وأحق بولاية أمرى.. وانتهت المقابلة

بسحب أوراقى من المدرسة لأنه لم يعد من حقى البقاء بها بعد عقد قرانى. وتحولت استمارة امتحانى إلى امتحان من منازلهم. وظللت مخفية كل هذا عن أبى وأمى إلى أن كان اليوم المشئوم الذى تطوع فيه أحد شباب الحى بإبلاغ أخى أنى لا أذهب إلى المدرسة.

وذهب أخى إلى المدرسة وعرف كل شيء، وكانت خناقة للسما ولكن صممت على موقفى ولم أسمع كلام أهلى بطلب الطلاق.. ووقف الجميع ضدى.. وانهال على أبى وأخى وعمى باهانتهم وضربهم ولاحتقتى أمى بدموعها، ووصل الأمر إلى درجة التهديد بقتلى ولكنى لم أترجح.

وأمام إصرارى لم نجد العائلة حلاً سوى الإذعان.
وهكذا تم إعلان القران وحضر المأذون فى ليلة صورية على سبيل المظهر فقط.

وعند هذا تصورت أن المشاكل قد انتهت، والحقيقة أنها انتهت لتبدأ بسبيل من الأوامر.. لا خروج مع زوجى.. لا أراه ولا يرانى. وطبعاً لم يسكت زوجى ومعه حقه وسلاحه.. وأيدته فى موقفه.. ووقفت فى وجههم مرة أخرى.

وأصبحنا نخرج معاً برغم أنف الجميع.
وفى هذه الأثناء ظهرت نتيجةنا نحن الاثنين.. وطبعاً كانت السقوط بجدارة فى جميع العلوم.. ومن أين لنا بالعقل الذى نركز

به في المذاكرة ونحن وسط هذه المشاكل.

وركب زوجي الخوف.. وطالب والدي بالتعجيل بالزفاف..
ورفض والدي.. كيف يوافق على زفاف من زوج لم يعد صحيح مهراً ولم
يقدم شبكة.. زوج مازال طالباً في الثانوي.

وكيف ندخل بدون جهاز.

وأمر زوجي على أن يدخل بي.. ووقفت إلى جاتيهم ضد أهلي
جميعهم.. وكنت أقول لنفسي إن الظفر لن يطلع من اللحم وأنهم
بعد الزواج سوف يرق قلبهم لي حينها يروني سعيدة.. حينئذ
سوف ينصلح كل شيء.

وقد حدث ما توقعته.. فما لبثت أُمِّي أن زارتني (كنت قد
انقلت إلى شقة والده) وأحضرت لي ملابس وهدايا عديدة من
أحذية ونقود ومصاغ.

وهكذا بدأنا حياتنا.. أو مأساتنا.

نعم.. فلم تكن تنتظرنا الأحلام الوردية التي كنا تنسجها نحن
الاثنان ونحن نتمشى على الكورنيش بعد الحصة.. وإنما كان
ينتظرنا الواقع المرير بما فيه من حساب البقال والجزار
والأجرجي، والأب يدفع ونحن ننفق.. وأنا حامل في الشهر الأول
وه حالة قبيحة مستمرة.. والأب والابن في حالة خناق مستمر..
الأب لا يريد أن يدفع.. والابن يشتم.. يشتم أباه.. ثم يستدير
ليشتمني تصور.. يشتمني أنا التي ضحيت في سبيله بمستقبلي

وسمعتي وعائلتي.. ثم لا يكتفي بأن يشتمني بل يعتدى عليّ
بالضرب.

وانتهت الخناقات المتصلة بأن انتقلنا لنعيش في شقة مستقلة
والتحقت بالعمل في إحدى الوزارات لكي نجد ما نقف عليه.

لكن زوجي الحيلة.. طالب الثانوي بدأ يدمن الكيوف
والمخدرات وكأنه لم تكفه المرمطة التي مرمطني فيها.. وبتحريض
من أمه بدأ يلاحقني بالإهانات.. إنني إلى خبيثيني.. وإنني إلى
ضيعتي مستقبلي.. أنا التي ضيعت مستقبلي ١٢

تصور.. ١٢

وفي آخر خنافة بيننا أوسعتي ضرباً ولطماً لدرجة تركت آثارها
في وجهي إلى الآن برغم مرور شهور.. ثم طردني من البيت..

والآن.. وقد بلغت قصتي نهايتها لم يبق لي شيء أفعله.
إنه لا يريد أن يطلقني.. ولا يريد أن يصالحني ومصيبي أنني
أحبه برغم نذاته.

أقول هذا وأنا خجلى من نفسي.. ولكن ماذا أفعل في قلبي.
أفكر أن أشكوه لأخذ ولدي ولكني لا أجد الجرأة على هذه
الخطوة.

ولا أتصور أنني أتقدم لمقاضاته في محكمة.. كيف أفعل هذا وأنا
أحبه.

أرجوك لا تلمني فقد أخذت من اللوم والتأنيب والتهزىء
والضرب ما فيه الكفاية وما فوق الكفاية.

لم يرحم أحد عذابي ولم يشعر أحد أنى مجروحة وإنما لظمني
كل واحد بكلمة زادت جروحي.

أنا أعرف أنه لا يحبني.. وأنه لم يكن يحبني، وإنما كان يحب
نفسه.

وقد ساعدته في أن يتمادى في أنانيته.. ثم أصبحت ضحية
أنانيته في النهاية.. ولكن ماذا أفعل وقد حدث كل ما حدث
وانتهى الأمر.. ولم يعد بإمكاننا أن نغير الماضي.

«....»

نحن لا نستطيع أن نغير الماضي.. ولكننا نستطيع أن نغير
المستقبل.

إن الاستمرار في هذا الزواج سوف يؤدي إلى مزيد من
الأولاد المشردين المعذبين في بيئة كلها خناق.. ومزيد من
التضحيات بدون ثمرة وبدون نتيجة وبدون أمل في هناء أو
استقرار.. والطلاق في النهاية مؤكد.. فلماذا لا يكون الآن.
أنت تحبينه.. أنا عارف.. ولكن الزواج ليس فراش غرام..
الزواج مسئولية ولياقة وواجبات.

والزواج حق لمن يقدر عليه.. وليس حقاً لكل طالب ساقط
صايع.

حبي وموتي في الحب على كيفك.. ولكن الزواج له مؤهلات
ليس أولها الحب.. وإنما أولها القدرة على فتح بيت ورعاية أسرة
وتحمل واجب والاضطلاع بمسئولية.

وإذا كان كل التهزىء واللوم والتقريع والعذاب إلى شفتيه لم
يفتح عينيك على هذه الحقيقة.. فإن هذا له معنى واحد.. أنك في
حاجة إلى مزيد من التهزىء.

إن الواقع لن يرحمك، فلماذا تريدني أن أكذب عليك.
لماذا تريدني أن أتخالف عليك مع الزمان ومع زوجك حتى
نقضى عليك باسم الحب.. وأى حب.. إننا لسنا أحراراً في أن
نسمى أمراضنا حباً.

وما بك مرض، وليس حباً..

حينما نعشق الفشل والتفاهة (وزوجك حسب كلامك طفل
وعيل) فنحن مرضى ولسنا مغرمين.. حينما نحب الفقر والفشل
فنحن ناقصو عقل وناقصو عاطفة.

ولا معنى لأن ترتكبي هذه السلسلة من الأخطاء ثم تقولي لي
أرجوك ارحم عذابي ولا تلمني.. ارحم نفسك أنت أولاً واحفظي
نفسك من الانزلاق إلى مزيد من الأخطاء.

أما إذا كانت نيتك أن تشتغلي وتعولي البية.. وتاكلي على

دماغك.. وتستمتعي باللطامات والشتائم والطرْد كل يوم.. فهذا وضع آخر.. وأعتقد في هذه الحالة أنه لم يكن هناك داع لكل هذا الخطاب الطويل الذي سطرته.. ما دمت قد أحببت قممتك ومصيرك إلى هذا المدى.

أنت سوفاج

٢٥ سنة موظف جامعي بالإسكندرية، عرفت بين زملائي بحسن الخلق والشخصية التي يحبها الجميع.

تقدمت لخطبة فتاة رشحتها لي بعض أقاربي.. قالوا لي إنها من عائلة محافظة وإنها عاشت عمرها في الصعيد بين قنا وأسيوط، وأنها فوق ذلك مثقفة تعلمت في اللبسيه فرنسيه وتخرجت من كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية.. وأهلها كمان ناس مبسوطين ومستورين.

ورأيتها وأعجبتني شكلاً.

لم يعد هناك ما يدعو للتردد.

تقدمت لخطبتها.

وكان يوم الخطبة يوماً من أيام حياتي السعيدة..

ثم شيئاً فشيئاً بدأت تنكشف لي مشكلة عويصة لا حل لها. فالعروسة الدلوعة ولو أنها تعيش في مصر.. ولو أنها أكلت مش الصعيد، إلا أنها تعيش بجسمها فقط بيننا.. أما روحها فهي

في حالة تخليق دائم ترفرف بين باريس ونيويورك وفيينا
ولوكسمبورج وإكس ليبان.. ذوقها فرنساوى وأخلاقها
أمريكانى، لا تسمع أم كلثوم وإنما تسمع الفيس بريسلى، ويغنى
عليها من داليدا، لا تستطعم «الملوخية» ولكن «المايونيز»..
لا تشرب الشاي في الصباح وإنما «الكافيه أوليه»، لا تتحدث
إلا عن الزيارات القليلة التي ذهبت فيها مع أهلها لقضاء الصيف
في الخارج.. في فرنسا أو النمسا أو سويسرا.. ترقص الدوجو
دوجو.. البوجى بوجى.. والهولا هولا.. إلى آخر هذا الشيكابم
الذى لا أفهم فيه حرفاً.. تنطق الراء «غين».. وأنت مش
«سبوغ»، قاعد فاتح «الفاديو» على أم كلثوم، ياي بتشرب
ملوخية إيه «القفف ده»، دى حاجة زى الفيلة.. (الريالة)
سوفاج، يا تانت تعالى شوفى.. (تانت اسمها سكينه ولايسة
طرحه).

إنت إيه ده بتمسك السكر (بتنطقه السوكف) بإيدك.. إيه ده،
إنت اتعلمت فين، إنت بلدى أوى.. فيه ملقاط مخصوص علشان
«السوكف».. إيه ده، إنت «فاتييجان» أوى.. (فاتييجان في
القاموس يعنى متعب).

والقاموس هو الشريك الثالث الذى لم يعد لى غنى عنه..
فحديثها كله فرانكو أراب.. بين كل كلمة وكلمة عربى (عغيبى).
عشرات الكلمات أمثال، مانيفيك.. شارمونت.. أمور..

جا غدان.. حاغون.. فرير.. مشوار (دى معناها منديل) مش
المشوار بتاعتنا.

دمها شربات، بتاكل عقلى من جوه.

وعندما تقول مون اموخ (يعنى يا حبيبى).. ركبى بتسيب،
ياموت فيها لكن مقيش أمل، مقيش تفاهم، مقيش مستقبل..
مقيش حاجة واحدة بحبها هى بتحبيها.

وأنا باستمرار فلاح انيورون (يعنى جاهل).

وأنا رجل محافظ مش ممكن أفكر أرقص معاها في مكان عام
ولا خاص.. هى ماعندهاش مانع ترقص مع أصحابى..

وأنا بأكل الفول والعدس والعيش الملدن وأحبس بالشاي..
وهى عاوزة توست.. وأومليت.. والاكوك.. وروستو (من أنواع
اللحم المشوى ربنا يوعذك).

البنطلون (البنالون) الهيلانكا المحزق لبسها العادى في البيت
طول النهار.. وتسريحة شعر فرنسواز ساجان، هى تسريحتها
المختارة (يعنى تسيب شعرها فوضى على قورتها).

تقرأ الموند وبارى ماتش والسوار، ولا تفتح مجلة عربية
ولا كتاباً عربياً.. تتكلم عن مصر كأنها سائحة وليست مصرية
مولودة في أسيوط في حضن الجبل.. حاتجننى.

كل يوم أقتنع وأزداد اقتناعاً أن حياتنا معاً مستحيلة. وكل يوم
أحبها أكثر وأعبيدها أكثر.

هل أقامر بسعادتي وأقتل عقلي وميادني وأطاول عواطفني
وأزوجهـا (أنا مسيحي والجواز عندنا رباط أبدي).
حالي بقت قطران (قطغان على رأى الست).

سـ

إسكندرية

أهـب بجلدك يا أمـوـغـ.
الحـب ده حاـيـوديك طـوكـغـ.

اختطاف..

أنا من بلد الحضارات والحرية لدرجة الفوضى، أنا من لبنان،
ولكن قضيت بعيدة عن الحضارة والحرية كل البعد، وأمل في
اعترافي هذا إن لم أصل إلى نتيجة أن أكون قد نفست عن قليل
مما بنفسى الطافحة بالعلقم.

ولتدرك ما أعنى أعود لثلاث سنوات مضت حين أعلنت
خطوبتي لشاب من نفس بلدي يقولون إنه عندما رآني لم يبق
حب في الدنيا، لأنه منحني كل ما في الدنيا من حب.. وكلف
أخواته أن يراقبني، فجاء التقرير عن سيرتي مما جعله يستमित
ليحقق أمنيته بخطوبتي.. وكنت لغاية ذلك الوقت لم أفكر
بالزواج، ولكن أهلي وأهله أقنعوني بأن أجرب، وبأن فترة الخطبة
للتعارف والتفاهم كفيلة بإقناعي.

وأعلنت الخطبة.. ولكن بعد الشهر الأول اكتشفت أنه ليس
بالضرورة أن يتفاهم ويتسجم شخصان يقول الناس عن كل منهما
الصفات الحميدة، وبما أن الزواج شركة يجب أن يكون طرفاها
راضين متسجمين وهذا ما لم يحدث من طرفي فقد قررت أن

أفصم الخطبة ولا أفكر بالزواج مدة طويلة.. فرجوت أبى أن ينهى الأمور بسلام، ولكن الشاب المثقف المتعلم فى أمريكا رفض أن يستمع وقال: «سأعتبر أننى لم أسمع شيئاً، وسأعرف كيف أجعلها تحببى».

ومضت السنوات الثلاث وأنا فى محاولات يائسة، وكلما تقدمت خطوة وتباعدنا أرسل وجهاء عائلته لأبى ليسألوه عما يكرهنى فيه، فلا يستطيع أبى ذكر صفات محددة وتعود (شعرة معاوية لمكانها). وأنا لا أستطيع أن أرفع صوتى أمام الرجال لأنهم سيعتبرون رفض شاب مثله لن يكون الا بسبب رجل آخر، وهذا غير وارد.

ولكننى صرحت للخطيب نفسه بأننى لن أتزوجه.

فأجاب بأنه أهون عليه أن يقتلنى أو يقتل أحد أفراد العائلة (إخوتى) الذين أحبهم من أن يتخلى عنى، ويكفينى أنه يحببى وسيجعل كل إمكانياته لإسعادى.

لحد هنا والمسألة عادية ممكن أن تحدث فى كل زمان ومكان. أما ما حدث بعدها فهو ما يكاد يفقدنى صوابى.

كنت ذاهبة للسوق مع صديقة لى، وإذا بسيارة خطيبى الذى رددت له خاتمته وهداياه تقف قريباً، وإذا به يتوجه بالكلام لصديقتى: «هل تسمحين لى بمحادثة خطيبتى بمسألة هامة...» ولأنه لم يسبق لى أن خرجت معه وحدى خلال الخطبة الرسمية لمدة

ثلاث سنوات فقد تشبثت بصديقتى، ولكن موقفها أمام نظراته أصبح حرجاً فانسحبت على أن تنتظرنى بعيداً.

(أشعر الآن بالحقد والكراهية والكرامة الإنسانية المهانة تتزاحم لتصور نفسها بكلمات من قلمى، ولكننى سأحاول كتابة الحوادث المجردة لأننى أعتقد أن قلمى أعجز من أن يعبر عن شعورى).

وهنا سحبنى من يدى إلى السيارة بمنتهى القرصنة وانطلق بى هارباً خارج المدينة إلى ضاحية قريية حيث أعد من أهله وبعض أقربائه الذين اعتبروا رفضى إهانة للعائلة الكريمة شهود زواج.. وهددنى بأننى إذا فتحت فمى بكلمة أو قلت ما يخالف أقواله أمام الكاهن فسبشير لأحد المأجورين فيذهب لقتل شقيقى الأكبر (اقتلنى أنا ولا تمس شعرة من رأسه بسوء)، وكنت فى دوامة بل دوامات وتعطل عقلى عن التفكير وتبلد.

وهناك قال للكاهن إننى أحبه وهو يحببى وأن أبى يعارض الزواج وأنا فوق العشرين.

وتم الزواج.. لا، لم يكن زواجاً بل تم الاغتصاب بتعريض من أهله آل.. لا لن أظلم الحيوانات المسكينه بتشبيههم بها.. وكذلك وعدت أن أكتب بلا عواطف.. هل يمكنك تصور أو تصوير شعورى آنذاك.

لا أظن بالرغم مما أعرفه من بلاغتك.

أما أهلى فلا يمكن تقدير صدمتهم عندما ذهب أحد الرجال
الأشواش (الذين رفعوا رأسهم لأن الولية المفجوعة لم تستطع أن
تنال من كرامتهم ورجولتهم برفض قريبهم)، وأخبر أهلى أن
زواجنا تم وأنتا سافرنا لأحد الأقطار العربية الشقيقة لقضاء
شهر العسل، فى حين كنت قعيدة البيت مع أهله الحرس جريحة
الكرامة لا أدرى ماذا أفعل.

والآن ليس المهم كيف تصرف أهلى أو أهله، بل المهم كيف
تصرف الشخص الذى يريدنى أن أشاركه الحياة السعيدة وليس
الشقاء.

هل يمكن لرجل بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان أن يهين
رجولته بالتراعى على امرأة لا تريده، وأن يهين كرامتها وشرفها
ويدعى بأنه يحبها.

إننى أحس بنار تحرقنى وغشيان يمزقنى كلما أراه، فروضه تفتن
بالرعب والاغتصاب والأنوثة الجريحة فتطمس على عيني فلا أرى
أى صفة حميدة فيه.. ولكنه يقول إن الزمن سيمحو هذه المشاعر
الحاقدة وسأحبه كما يحبنى.

أحياناً أحاول أن ألغى شعورى وكيانى وتفكيرى وإنسانيتى
كلها وأعيش كالآلة لأن ديتى يمنع الطلاق، ولا اعتبارات عديدة
أظنك تدركها بالرغم من عدم كتابة التفاصيل.

لا أدرى ماذا أفعل فأنا برغم مرور شهور كثيرة مازلت فى

دومة، فهو مسكين بأهله الذين كانوا يذكرونى بنار محبته وأشعاره
وبأننى سوف أفقده رجولته وكرامته إذا رفضته.. هذا مع العلم
أننى لم أذكر شيئاً عنه حتى لأعز الصديقات ولم أكن أذكر أننى
سأتركه، وإذا عرف أحد من الناس أننى أنا التى كانت ستتخلى
عنه، فقد عرف عن طريق الوسطاء الذين كان يرسلهم.. وأهله
الذين دفعوه للتصرف بهذه الطريقة، وحتى هم الذين حثوه على
الاغتصاب قيل أن يعلم أهلى بحادث الاختطاف حتى
لا يستطيعوا التصرف.

كم أرغب لو أعبر عن شعورى كما أحسه، ولكن ليس هذا
وقته فقد بليت دقائق ويعود «السيد» إلى الفندق الذى نزل فيه
فى بلد عربى سيق قدمنا له منذ مدة وأخشى أن يمنعنى من إرسال
هذه الرسالة إذا رآها.

وفى النهاية أظن أننى ضحية وسأظل ضحية شعورى المرهف
الذى جرحه الحادث، وإلا فما رأيك؟

لو أن رسالتك كانت مؤرخة فى القرون الوسطى لكان أمرها
طبيعياً، ففي العصور المظلمة القديمة كان الرجل يعبر عن حبه
للمرأة باختطافها وأهرب بها على ظهر حصان، هكذا كان حال
شعرون زمان.. وكانت دليلاً لا تشعر أنها مست قلب الرجل إلا
إذا سارع باختطافها.

أما أهلى فلا يمكن تقدير صدمتهم عندما ذهب أحد الرجال
الأشواش (الذين رفعوا رأسهم لأن الولاية المفجوعة لم تستطع أن
تنال من كرامتهم ورجولتهم برفض قريبهم)، وأخير أهلى أن
زواجنا تم وأنا سافرنا لأحد الأقطار العربية الشقيقة ل قضاء
شهر العسل. فى حين كنت قعيدة البيت مع أهله الحرس جريئة
الكرامة لا أدري ماذا أفعل.

والآن ليس المهم كيف تصرف أهلى أو أهله. بل المهم كيف
تصرف الشخص الذى يريدنى أن أشاركه الحياة السعيدة وليس
الشقاء.

هل يمكن لرجل بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان أن يهين
رجولته بالتراعى على امرأة لا نريده، وأن يهين كرامتها وسرفها
ويدعى بأنه يحبها.

إننى أحس بنار تحرقنى وغثيان يمزقنى كلما أراه، فرويته تفتن
بالرعب والاعتصاب والأنوثة الجريئة فتطمس على عيني فلا أرى
أى صفة حميدة فيه. ولكنه يقول إن الزمن سيمحو هذه المناظر
الحاقدة وسأحبه كما يحبني.

أحياناً أحاول أن ألغى شعورى وكيانى وتفكيرى وإنسانيتى
كلها وأعيش كالآلة لأن دينى يمنع الطلاق، ولا اعتبارات عديدة
أظنك تدركها بالرغم من عدم كتابة التفاصيل.

لا أدري ماذا أفعل فأنا برغم مرور شهور كثيرة ما زلت فى

دائمة، فهو يسكن بأهله الذين كانوا يذكرونى بتار محبته وأشعاره
ويأتنى سوق أفقده رجولته وكرامته إذا رفضته. هذا مع العلم
أننى لم أذكر شيئاً عنه حتى لأعز الصديقات ولم أكن أذكر أننى
سأتركه، وإلا عرف أحد من الناس أننى أنا التى كانت ستتخلى
عنه. فقد عرف عن طريق الوسطاء الذين كان يرسلهم.. وأهله
الذين دفعوا للتصرف بهذه الطريقة، وحتى هم الذين حثوه على
الاعتصاب قبل أن يعلم أهلى بحادث الاختطاف حتى
لا يستطيعوا التصرف.

كم أرغب لو أعبر عن شعورى كما أحسه، ولكن ليس هذا
وقته فقد بقيت دقائق ويعود «السيد» إلى الفندق الذى نزل فيه
فى بلد عربى شقيق قدمنا له منذ مدة وأخشى أن يمنعنى من إرسال
هذه الرسالة إذا رآها.

وفى النهاية أظن أننى ضحية وسأظل ضحية شعورى المرهف
الذى جرحه الحادث، وإلا فما رأيك؟

لو أن رسالتك كانت مؤرخة فى القرون الوسطى لكان أمرها
طبيعياً، ففي العصور المظلمة القديمة كان الرجل يعبر عن حبه
للمرأة باختطافها والحرب بها على ظهر حصان. هكذا كان حال
شمشون زمان، وكانت دليلاً لا تشعر أنها مست قلب الرجل إلا
إذا سارع باختطافها.

كان الاختطاف لغة رومانية يتخاطب بها العشاق.
والغريب أتى في زيارتي للقبائل في جنوب السودان وجدت
بعض القبائل مازالت تمارس اختطافاً صورياً في كل زواج، كجزء
من الشعائر التقليدية لعقد القران، فيقوم العريس على رأس شلة
من أصحابه باختطاف العروس في يوم متفق عليه بين الطرفين.

ويحمل العريس عروسه بين الزفة والتهليل وهي تصرخ
وتلوي الحقوني.. الحقوني.. انقذوني من هذا الرجل.. أنا لا أريد
أن أتزوجه.. أعيدوني إلى بيت أبي.. الرحمة.. النجدة.. أنا أكره
هذا الرجل، يا ناس يا خلق هو.. (طبعاً كلام كده وكده من
وراء القلب)، وتنتهي التمثيلية بقضاء العروس للأسبوع الأول
من شهر العسل معتكفة في كوخها تسوق كل صنوف الدلال
والثقل على عريسها.. وفي آخر الأسبوع يصالحها عريسها بأن
يهدى إليها بقرة.. وبذلك تبدأ الحياة الزوجية الطبيعية.

وهذه التمثيلية تكشف عن اللذة الغريزية التي يشعر بها
الطرفان من عملية الاختطاف.

وأعتقد أن ما حدث لك لم يحدث بقصد جرح كرامتك وإهانة
أنوثتك.. وإنما هو بقية من هذه الفرائز البدائية واللذة الشمشونية
في الاختطاف.. وهي لذة كانت تشارك فيها دليلاً وتستمتع بها كما
يستمتع بها الرجل وكانت تعتبرها شريفاً لها ولأنوثتها لا جرحاً
لها.

أذكر منذ سنوات في لقاء مع سائحة أمريكية وكانت مليونيرة،
أتى سألها عن الحلم الذي تتعناه.. وتصورت أنها ستقول لي إنها
تحلم بامتلاك جزيرة في هاواي.. ولكنها قالت ببساطة، أغنى أن
يخطفني عربي جميل ويهرب بي على ظهر حصانه.
إن هذا الحلم القديم لم يمت إذن.

إنه مازال يعيش في عقول بعض النساء.. كما إنه مازال يعيش
في عقول بعض الرجال.

ورجلك لم يكن معتدياً.. وإنما كان عاشقاً.. صورت له أحلامه
وأحلام عائلته من القبضات.. أنه يخطفك سوف يبدو في نظرك
ونظر أصحابه أكثر رجولة وأكثر حباً.

وأنا طبعاً أوافقك على أن هذه الطريقة اشمجية انتهى زمانها
ولم تعد تليق بامرأة عصرية ورجل عصري.

ولكن ما دام الفأس قد وقع في الرأس على رأى العوام..
وما دنا أصبحنا أمام واقع، الطلاق فيه يضر أكثر مما ينفع..
فلماذا لا ننظرين إلى المسألة بطريقة أكثر تفاؤلاً.. وتطرحين
عنك هذا الإحساس بالكرامة المهينة.. (وهو على أى حال
إحساس خاطئ كما ذكرت لك).. وتبدئين علاقتك مع زوجك
بسماع وبقلب مفتوح.

ومن يدري.. فقد تثبت لك الأيام أن زوجك فارس في حبه
وعشرته كما كان فارساً في زواجه.. وقد تكشف لك الأيام عن

الزيجة التي بدأت بمنظر سينمائي إنها زيجة هائلة ناجحة.
إنك لن تخسري بهذه التجربة أكثر مما خسرت.
أعتقد أنه لا مانع من تجربة.

زوجي لا يغازلني

أنا سيدة في الثالثة والعشرين من عمري، زوجي رجل في الأربعين، تزوجنا منذ ست سنوات وأنجبنا طفلين.. بنت في الخامسة وولد في الثالثة والنصف، زوجي لا يحمل أى مؤهل دراسي، كل المؤهلات التي جعلته زوجاً لي هي ورشة ميكانيكية وسيارة أجرة من موديل حديث يدران عليه دخلاً حوالى ١٩٠ جنيهاً في الشهر.

غير أنه يمتلك غير هذه المؤهلات مؤهلاً أكبر، فهو يملك أمّاً مبطنة مفترسة لها لسان عقرب وهو يعبدها ويقدسها، ويمتلك أباً ضعيف الشخصية سلبته الأم كل مقومات الحياة من شخصية وصحة وشباب، فهو ليس أكثر من حيوان أبكم تأمره فيأتمر وتنبيه فينتهي، فقد كان في شبابه عاملاً يدوياً في أحد المصانع وتقاعد الآن بحكم السن طبعاً وليس له أى معاش.. ويمتلك زوجي أيضاً اثنين من الاخوة، واحداً في كلية الطب له فيها ثمانى سنوات وهذه سنة البكالوريوس التي لا أتوقع له الفوز فيها إلا بالأقدمية.. والآخر الثانى في كلية الهندسة وهذه أول سنة ومازال

المشوار طويلاً أمامه ويملك أيضاً المصيبة الكبرى.. أختنا مطلقة ذات خمسة أولاد، اثنان منهم في الثانوية العامة وطبعاً سيلتحقون بالجامعة في العام القادم، ولها ولد في السنة الأولى الثانوية، ولها ولد آخر لا يزال في المرحلة الابتدائية.. وهذا الجيش المكون من عشرة أفراد يأكلون الزلط ليس لهم أى عائل غير زوجي المحترم فالست أخته خاتمة وماضية أنها ما تأخذش من مطلقها نفقة لكي لا يطالبها بالبلاوى بتوعها.

سيدى.. لعلك تسأل الآن وما هى مشكلتى. أن هذا الجيش الهائل هو مشكلتى.. إن مصاريهم تبذل أكثر من ثلاثة أرباع دخل زوجى.

وكان يمكن أن أحتمل لو أن زوجى بنى آدم، ولكن للأسف أنا بمنتهى الصراحة متزوجة من حيوان لا هم له إلا العمل لكي يستطيع أن يفي بطلبات هذا الجيش.

تصور يا سيدى أنه يخرج في التاسعة صباحاً فلا يعود إلا في الحادية عشرة مساءً.. أربع عشرة ساعة في اليوم أقضيها في الفراغ والضياح والثروة مع الجيران في كلام فارغ.. وأخيراً يعود في منتصف الليل محطاً مرهقاً ليلقى في فمه بيضع لقيمات لا يعرف لها طعمًا، ثم يذهب لينام كالقتيل.

تصور يا سيدى أنه لم يبد إعجابه يوماً بما أصنعه له كل يوم من أكل وحلوى وخلافه! تصور ولا تحسب أنى أبالغ، إنى لم

نسمع في حياتى إلى الآن كلمة حب واحدة حتى ولا في أيام الحطبة.. كل ما أعرفه عن الحب أقرؤه في القصص والمجلات، وأنا لم أجربه في حياتى قط فقد تزوجت وأنا في السابعة عشرة، وبالرغم من أنى كنت في المدرسة الثانوية قبل الزواج إلا أنه لم تنح لى فرصة الاختلاط في يوم من الأيام، فعائلتى محافظة جداً، والحب في عرفها عار يا سيدى أن زوجى لا يعرف أن يتكلم فى نىء في الفترات القصيرة التى يقضيها في المنزل غير السباب يلفاظ بذيئة فهو لا يكف عن سب أبى وأمى بدون أى سبب سوى أنه رجل معقد عنده شعور عنيف بالنقص، فعائلتى على النقيض من عائلته.. أبى رجل لم يبلغ بعد الثالثة والأربعين ذو شخصية فذة ووالده رجل عديم الشخصية وهو رجل موسر يملك مصنعا ومحلا لبيع أدوات الرياضة.. أنا أعرف أنه يقارن دائماً في خياله بين والدى ووالده، ولكن ما ذنبى إذا كان الله قد خلق أبى وأباه على طرفى نقيض.

أما معاملته لى فلا أستطيع أن أصفها يا سيدى فقد عشت طوال الست سنوات الماضية في معركة عنيفة وحرب أعصاب لا تنتهى، فأنا أحارب لكى أستطيع أن أحتفظ به. وعائلته في الناحية الأخرى تحارب حرباً أعنف لكى تسترده، فهو في نظرهم حاجة نبض ذهباً فعندما زواجه كانوا فاهمين أن الحكاية مش حنطور ولما طولت فهم لا يكفون عن تسليطه على ضربى وإهائتى. أما هو فهو يطيعهم طاعة عمياء وهو أيضاً يخاف إن

عاملنى معاملة طيبة انقلب وأصبح مثل أمه المتوحشة، وبصير هو
كأبيه لا حول له ولا قوة ولذلك فهو حريص على أن يثبت
وجوده بمناسبة ويدون مناسبة. أضف إلى هذا يا سيدى أنه بخيل.
إنه يعتقد أنى ليس لى مطالب أكثر من الأكل والترب فببى دائه
ملى بأنواع عديدة منها، ولكنه يعذبى ولايتوانى عن ضربى عند
أطلب بضعة جنيهات لأشترى بعض لوازمى الخاصة مثل الملابس
وغيرها وتكون النتيجة أن مصارىفى هذه بتحملها أبى راضياً
وبروح طيبة ولكنى أكون فى غاية الخجل.

وقد تقول يا سيدى ولماذا قبلت الزواج منه، والحقيقة أنى
وأسرقى كنا نعلم كل شىء عن ظروفه، ولكن أبى لم يكن له هم
إلا أن يرانى سعيدة، وأنا كنت أيامها جاهلة مثل معظم البنات فى
سن السابعة عشرة كانت أحلامى تنحصر فى أن ألبس الحلقة
الذهبية الجميلة والى أفضل عليها الآن حلقة حديدية فى سجن
النساء، وأحلم بالطرحة البيضاء وبالبنتى ما لبستها قط إلى
اليوم.

والآن ياسيدى وقد حكيت لك عن مساوئه ولو أنى لى
أوفىها حقها مهما كتبت فسأتكلم عن الحسنة الوحيدة فيه، إنه
يعبد أولادنا وهم يعبدونه بشكل جنونى، إنه لا يتوانى فى نلية
طلباتهم مهما كانت وقد ألحقهم بحضانة أرقى المدارس وهو فى
منتهى الحنان بالنسبة لهم.

والآن ياسيدى لى سؤالان سوف أعلق مصير حياتى كلها على
ضوء الإجابة عليهما.

- ١ - هل أمومتى وحبى لأولادى وحرصى على مستقبلهم
يجب أن تكون السبب الوحيد فى بقائى مع هذا الرجل الغبى
الذى أكرهه من أعماق أعماقى وقضية بقية عمرى معه؟
 - ٢ - أيتها أفضل: أن يتربى أولادى فى بيت واحد مع أبيهم
الذى يحبونه فى هذا الجو المشحون دائماً بالسباب والضرب منه
وبالبكاء المستمر منى، أم يتربون بعيداً عنه فى جو أفضل؟
- سيدى لو أعطيتنى إجابة واضحة على هذين السؤالين فأنا
أكون مدينه لك بحياتى كيفما ستكون فأنا لن أخالف لك رأياً مهما
كان.

٣
القاهرة



تقولين بلسانك إنك تصنعين كل يوم من الحلوى والطعام
أصافاً وأن بيتك ملى بألوان عديدة من الأكل لا ينقصك منها
شىء وتقولين إن زوجك يعبد أولاده، وأولاده يعبدونه.. وتقولين
إنه ألحق أولاده جميعاً بحضانة أرقى المدارس، وإنه فى منتهى
حنان بالنسبة لهم لا يتوانى عن أن يحقق لهم مطلباً.
ومعنى هذا واضح جداً.. إنه لم يعط أهله مليماً إلا بعد كفاية

بيته، وإنه لم يقصر في حق بيته وإن ما ينفقه على أهله المحتاجين هو من فائض خيره.. هو على العكس يبدو سخياً كريماً. أما عن الحب.. فأبيها أدل على الحب في نظرك.. أن يعطى الرجل زوجته قبلة وضمة وكلمتين «فبركة جرايد» في أذنها.. أو أن يعطيها من ذات نفسه ومن عرقه وشقاه وتعبه دون أن يتكلم.

إن الفيلم الأمريكى الذى يدخل فيه الزوج فيأخذ زوجته بالحضن ويغمر وجهها بالقبلات ويقول لها وحشاشى.. بقالى خمسة دقائق ما شفتكىش.. والروايات الغرامية التى تصف الزواج بأنه مطارحة فراش وغزل متواصل وهوى مشبوب.. هذه الصور الفنية الكاذبة والرائجة فى نفس الوقت أتلفت عقول البنات والسيدات بما تروجه من أفكار خاطئة تتعلق بها الخيالات المراهقة.

والواقع غير هذا تماماً.. الزواج ليس مطارحة فراش لأنه ليس لقاء ليلة فى ماخور وإنما هو عشرة عمر.. الزواج عمل من أجل معاش أحسن وبناء يبنى فيه الاثنان أسرة ومستقبلاً.. والحب فى الزواج يكون دليلاً أن يعطى كل من الزوجين من ذاته ومن عرقه ومن شقاه فى هذا البناء المزدوج، وألف قبلة وألف كلمة غرام لا تساوى قطرة عرق واحدة من أجل أن يكون فى البيت حلوى.. وما أسهل أن يسرح الرجل بزوجه بكلمتين معسولتين، وما أصعب أن يشقى ويتعب ويمرّق من أجلها.

فكرى مرة أخرى فأنت ظلمت زوجك.

ولعله يفكر هو الآخر مرة أخرى فيحاول أن يكون رقيقاً.. يعطى بركة وحنان واينسامة.. ولا يشوه عطاءه السخى بالبوز الكثير والطباع الجافية.. فالجفاء ليس رجولة كما يعتقد أغلب الأزواج عندنا وإنما هو حق ليس بعده حق.

المليونير

برغم أن الأمر مخرج ومربك فإنه مضحك. فلم يكن يخطر بهالي أنى أصبح هذه الأحداث، وأن حياتي الطبية ستتحول إلى سيرة في الجرائد، ولكن عذابي فاض بي ولا بد أن أتكلم. كنت مدرسة بإحدى المدارس الخاصة ولم أكن أحمل شهادة تربوية تؤهلني للعمل بمدارس الحكومة وبرغم أن مرتبي كان ضئيلاً فإن حاجة أهلي كانت تجبرني على هذا العمل غير المجزى. ثم تعرفت عليه.

مدرس بمدارس المرحلة الأولى.

كان منظوياً وهادئاً ومتزويماً.. وكانت كل تصرفاته وحركاته تثير الإشفاق.

وعندما بدأت علاقتنا تنمو أوضح لي سبب انطوائه وعذابه. فأهله من كبار الأغنياء بالصعيد يمتلكون مئات الأفدنة غير الفيلات والعمارات وحسابات البنوك والأسهم والسندات والتليفونات الخاصة والسيارات والأراضي البور والأراضي الخيرية. وهو يكره المال ويكره الغنى والأغنياء.

وأعجبني فيه زهده عن كل المظاهر واعتماده على نفسه واكتفاؤه بمرتبه البسيط، وكفاحه وحده دون معونة من أحد من أهله المعقدين «على حسب رأيه هو».

ولن أطيل عليك.

تمت الخطبة.

ثم عقد القران.. ثم..

ثم سافرت إلى بلدتهم لأول مرة.. إحدى قرى مركز ديروط.. وبدأت تنضح أمامي معالم المأساة.

اكتشفت أن حبيبي وزوجي وشريك حياتي والرجل الذي تركت عملي من أجله «دون كيشوت»، يعيش في الأوهام.. وكل كلامه فسر في فسر.

فهو يتوهم أنه يملك وأن لديه فدادين وأراضي منهبية وعمارات مسروقة.. وأن المباحث العسكرية تسعى لكشف أرض هربها.

وهو في الحقيقة والواقع رجل عادي، أهله ناس فقراء فيهم أطباء وفيهم اللصوص.. وهم جميعاً على فقرهم ولصوصيتهم يحتفرونه ويكرهونه ولا يميلون إلى مجرد السلام عليه.

ولكن كل يوم يمضي اكتشف الأعاجيب والروائع من أمره. فهو مصر على كذبه.. أحياناً يتوهم أنه مخترع كبير خطير شأنه يتصرف على هذا الأساس، لدرجة أنه يجلس ليقص على

الغرباء من أصدقائه كيف أنه أطلق صاروخاً بمفرده. وكيف أنه كلف بمراقبة منطقة ديروط الشريف.. وأحياناً أخرى يتوهم أنه مكلف بمهمة سرية لا يجب أن يفصح عنها. ويظل يستشير الآخرين ليسألوا عن طبيعة هذه المهمة.

أحياناً يجلس مع الغرباء ليقص عليهم تفاصيل قيامه بإصلاح قطعة أرض تكلفت آلاف الجنيهات مما أثر على رصيده في البنوك. واستبد به الهوس في إحدى المرات فطلب من فتاة صغيرة أن تحضر إليه في أمر خاص.. وفي أثناء خلوتها صرخت الفتاة.. وكانت فضيحة انتهت في نقطة البوليس.. ولقد قام رجال الشرطة بالواجب خير قيام.. ومازالت آثار هذا الواجب بصمات موجودة على وجهه.

حاولت أن أمنعه عن هذه التصرفات.

حاولت أن أفهمه إن الفقر ليس عيباً ولكن العيب هو هذه التصرفات المخجلة المشيرة للسخرية.

ولكني فشلت.

حاول ابن عمه أن يوضح له حياته وحياة العائلة كلها وسخرية الناس بهم بسبب تصرفاته ولكنه فشل.

ومنذ دقائق أفهمني.. أفهمني أننا زوجته.. بأنه ربما يزرع هذا العام ستين فداناً من القمح.. برغم أن ملكيته لا تزيد عن نصف فدان.

أحس أنه سيضيع وأشفق عليه وأحاول أن أصدقته ولكن محاولاتي دائماً تبوء بالفشل.

ثم.. ألا يوجد حل آخر غير الطلاق.

المخلصة الحائرة

س أ.

إن الحل ليس الطلاق أبداً.

الحل عند الطبيب وفي المستشفى المتخصص.. فهذه حالة عقلية في حاجة إلى عناية طبيب عقل أو نفس.. ودورك هو الوقوف بجانبه في هذه المرحلة العصبية. وليس التفكير في الطلاق منه.. فهو مريض.. وله حق المريض وليس وزر المخطئ.

المطلقة

هل يستطيع الإنسان أن يعيش بعيداً عن هذا المجتمع وتنحصر حياته في أن يأكل ويشرب وينام وينتظر يوم وفاته.. أعتقد أنها تصبح حياة جوفاء ليس لها معنى ولا هدف تنسبه إلى حد كبير حياة الحيوانات.

إنه لن يحتمل الحياة بهذه الطريقة مدة طويلة وفي النهاية إما أن يموت أو ينفجر أو تختل قواه العقلية، وهذا ما أردت أن أكتب لك فيه قبل أن تصيبنى إحدى هذه الحالات.

وسوف أختصر لك القصة فأقول لك إنى فتاة مطلقة. وحياة المطلقة عندنا مشكلة.. ليست مشكلة خاصة ولكنها مشكلة عامة.

إنها دائماً موضع همس من الجميع.. من الأهل والأصدقاء والأقارب.. حتى من يعرفون ظروف طلاقها لا يرحمونها بنظراتهم وألسنتهم، يستقبلونها ويشيعونها بمصمصات من سفاهتهم.. وكأنها مجرمة أو مشبوهة.

لا أحد يفتخر للمطلقة أنها طلقت.

والألعن من ذلك أنها تصبح موضع طمع من كل رجل.. كل رجل يعتبرها فرصة وصيدة.. ووسيلة سهلة للإمتاع بدون مسئوليات.. وليلة طريفة يذهب بعدها كل واحد إلى حاله.. فليس من المتوقع أن تطالب المطلقة صاحبها بزواج.. ولا حق لها في ذلك فهي مطلقة.

وهكذا نكثر حولها الذناب يتقربون إليها في البداية بزعم النفقة والعطف.. ثم يظهرون سخطهم على هذا الزوج الأعمى الذى لم يقدر المواهب.. ثم يدعون الحب.. والحنان.. والفراغ الفلتهب الذى يمنع النوم عن الجفون.. ثم تنتهى الأنشودة الرقيقة بالهدف النهائى. وهو دائماً ليلة رخيصة مضمونة بعيداً عن العيون في شقة مغلقة بالضبة والمفتاح.

هذه هى المشكلة بصفة عامة.. وسأسرد لك بعض التفاصيل لعلك تستطيع أن تهدينى برأى.

كنت في بداية حياتى فتاة متفائلة.. مرحة.. طموحة.. متفوقة في دراستى. ولكن ليس لى رأى بحكم تسلط أبى المتزمت المحافظ في تربيته.

وهكذا أكملت تعليمى الجامعى، وانتهت حياتى يوم أن تخرجت فقد رسم لى أبى بقية الطريق.. وكان لابد أن أتزوج من الشخص الذى اختاره لى.

حاولت المعارضة ولكن إصرار والدى ووقوف الجميع ضدى

انتهى بي إلى الإستسلام والإذعان للأمر الواقع.

والظاهر أنه كان هناك ضغط مماثل على الزوج لأنه كان يحب فتاة أخرى.. وكان على أن أواجه حياة شاقة.

والواقع أنها كانت حياة شاقة على كلينا.. ومالبت أن أصبحت جحيماً.. ولا تتم التفاصيل.. فقد انتهت الحياة الزوجية الفاشلة وعدت إلى أهلي وحصلت على الطلاق.. وتزوج هو في الحال لمن صديقتة القديمة.

وهنا بدأت المشاكل.. وكان على أن أواجهها.

أول صدمة واجهتني عندما ذهبت لتغيير بطاقتي الشخصية لتجديدها.

وكان التغيير هو أن أنشط كلمة متزوجة وأكتب مطلقة.

وسلمت الطلب للموظف المختص فقرأ البيانات.. ثم طلب مني الانتظار حتى ينتهي مما في يده، ثم قدم لي كرسيًا لأسريح، فقلت في نفسي.. ابن حلال شاهدني أقف وحدي في طاوور كله رجال فأراد أن يريحنى.

وبعد فترة طلبت منه أن ينتهي بسرعة.. فقال.. ولماذا هذا التسرع سأنتهي من عملي في الثانية.. ويمكننا الخروج معًا، تصور!

موظف هلفوت يعاملني كفتاة كباريه لمجرد أني مطلقة، وطبعًا شتمته وأخذت أوراقى بسرعة والدموع في عيني

وأخذت أتساءل في الطريق.. هل كل مطلقة تصبح موضع طمع من الرجال.

وبدأت أكره الناس وأتجنب الجلوس في المجتمعات.. وأتجنب الأهل والأصدقاء والأقارب، حتى النادي الذي كنت أقضى فيه أوقات فراغى في الرياضة حرمته على نفسى.

وكان الجميع يعرفوننى بروحى المرحه التى لم أكن أخص بها أحدًا، ومع ذلك بدأ يتودد لى صديق خيل إليه أنى أخصه بهذا اللطف وبدأ يلاحقنى بإعجابه.. وفى إحدى المرات وهو يوصلنى إلى منزلى كشف عن نيته وهدفه.. وكانت النتيجة أن هجرت النادي وتركت الرياضة التى أحبها علمًا بأنى أستطيع أن أحمى نفسى.. ولكنى أكره الفكرة نفسها.. وأتصور هذه العيون التى تحلق فى جسمى فأضيق بجسمى وبنفسى وبالدنيا.

عشت بعد ذلك حياة منعزلة منطوية.. أقضى اليوم فى العمل وبعد الظهر فى حجرى أقرأ وأطالع الكتب وأسهر أمام التلفزيون.

وهكذا مر على عامان وأنا على هذا المنوال.. وبدأ الملل يزحف إلى نفسى.. وأصبحت لا أهتم بمظهري وشمت القراءة.. لا جديد فى حياتى يجعل لها هدفًا أو طعمًا.

وحتى هذه الحياة الرتيبة المملة لم تخل من المنغصات.. أرى نظرات الشفقة فى عيون أهلى فأضيق بنفسى وبالييت.. السلوى

الوحيدة أراها في إخوتي الصغار الذين أبذل لهم رعايتي.
حبي الوحيد الذي غمرني صغيرة وكبير معي.. فقدته.
كان حبا نزيها بعيدا عن الأغراض.
بذل كل ما في وسعه للزواج بي.. ورفض والدي.. وكان رفقته
غير قابل للجدال.

عرض علي الزواج برغم إرادة والدي ولكني لم أوافق خوفاً
وضعفاً.. وأخيراً فوجئ بزواجي وافترقنا عامين.
وعندما علم بطلاقي عاد إلي وكسب ثقتي.. واعتقدت أن
مشاكلي قد انتهت وأن الحياة ستبتسم لي من جديد وسأنعم
بالسعادة التي حرمت منها سنتين.

ولكن تصور.. لقد رفض أهله فكرة زواجه بي لأنني «مطلقة»
وهم الذين يعلمون تمام العلم قصة حبنا.. وقصة زواجي الخائب
الذي لم يدم سوى خمسة شهور.

ولكن.. أين ذهبت شخصيته هو ليقول لي هذا الكلام.. وهل
هو في احتياج لأخذ رأيهم لولا أنه هو نفسه غير مقتنع بالعودة
إلي والزواج بي لأنني مطلقة.

إنه يريد أن يبرر التراجع أمام نفسه ويجد لنفسه عذراً.
ثم يتكلم عن الحب الذي لم يمت في قلبه.. وعواطفه المتعلقة
بي.. إلخ.. إلخ.. إلى آخر هذه العبارات المحفوظة.

وفهمت في النهاية أنه يريد أن يبادلني الحب فقط.. بلا
مسئوليات.. بلا مشاكل.. لا يادكتور مصطفى.. أنا لا أتصور
أبداً أن أنزلق إلى هذا المستوى فأعاشر رجلاً للحب فقط.
أنا لم أكن يوماً لعبة يلهو بها رجل ثم يرميها بعد أن يزهد بها.
لا.. إن لي كرامة أدافع عنها بكل الوسائل.. ولو حبست
نفسى في غرفة مغلقة.

لقد رأيت زوجات يسترن وراء الزواج ويبحن لأنفسهن
علاقات متعددة بحجة أنهن غير سعيدات في زواجهن.. هذا لأن
المجتمع يعطى احترامه للمرأة المتزوجة مهما فعلت.

وأنا لا أقبل بالمرّة وضعاً كهذا.

إنني قلقة نائرة.. أبكى لأتفه الأسباب.

أصبحت حساسة للغاية.. تجرحني أتفه كلمة.. وأخشى أن
ينرم بي أهلي.. كما أخشى الوحدة.

ألا يوجد مكان في مجتمعنا لامرأة لا يحميها رجل.

أعد أستطيع الذهاب إلى السينما وحدي.. لكثرة العيون
التي تحمق في.. أصبحت كل المنع محرمة علي.

تجنبت المجتمعات وأغلقت بابي.. فإذا بالوحدة أقسى علي من
كل المجتمعات.. عقلي يعذبني، قلبي يعذبني.

كيف تستمر الحياة مع امرأة مثلي.

أريد منك نصيحة.. علماً بأننى لست على استعداد للدخول في
أية تجربة.

رسالتك صادقة جداً بدرجة مؤثرة.

ولكن مشكلتك ليست يائسة بالدرجة التى تتصورينها..
أنت تتصورين أن أخلاقك التى لاتقبل أى علاقة حب بدون
زواج.. تتصورين أن هذه الأخلاق سوف تحرمك من تحقيق حب
شريف مع رجل يكون شريك حياتك وعمرك.. لأن كل الرجال
في تصورك طلاب متعة مثل موظف البطاقات الشخصية إياه!!!
وهذا تصور غير صحيح.

فالكثير من الرجال يبحثون عن أخلاق مثل أخلاقك
وشخصية مثل شخصيتك.

وعزلتك وانقطاعك عن ارتياد المجتمعات والنادى أكبر جناية
تجنيها على نفسك.

فوسيلتك الوحيدة للعثور على رجلك، هى التعرف على
المجتمعات.. والاختلاط الطبيعى في ظروف صحية.

دعى سوء الظن وابدنى الحياة.

أنا أتحلىك من رسالتك امرأة ناضجة مكتملة العقل ذكية
وحساسة وفاضلة.

أنت مطلب عزيز يتمناه كل الرجال.

الحب والموت

لا أستطيع أن أحكى لك حياتى كلها.. فهى تحتاج إلى
مجلدات.

مثذ كنت في السابعة من عمرى حرمت من التحرك من
الفراش من اللعب والضحك والشيكولاته والأكل الذى أحبه.
لم أكن أعرف السبب.. كنت أتألم وأتعذب.. إخوتي يلعبون
ويضحكون وأنا طريحة الفراش.

أبى رجل غنى ومركزه مرموق وأمى سيدة متعلمة.. وكل شيء
أنفاه في تناول يدي ولكنى لا أطوله.. صحتك يا فاتن.. عشان
صحتك يا حبيبتي.. لما تخفى يا حبيبتي.. خليكى نائمة يا حبيبتي
حياتى سفوف وأقراص وحقن ومراهم ولزقات.

والأطفال حولى يلعبون ويمرحون ويأكلون كل ما تشتهي
نفوسهم وأنا نائمة مثل عروسة لعبة يسيلون لها عيونها في
فرائسها.

عرفت أن عندى روماتيزم في القلب.

لم تكن الحالة خطيرة.. ولكن أنت تعلم أن الشفاء مستحيل من هذا المرض اللعين.

أصبحت أكره الدواء.. وأكره العطف.. فهو عطف يذكرني بمرضى على الدوام.

أبي يعطيني من الجنان فوق طاقتي.. وأمي أكثر.. ولكني أريد أن أحيي كأي طفلة في هذه السن بدون محظورات.. بدون قيود. عملت عملية وأنا في الثالثة عشرة، ونجحت العملية واستغل صمام من الثلاثة صمامات الفاسدة.

وفي الخامسة عشر عملت عملية أخرى لم تنجح كل النجاح. ولكن حالتي كانت قد تحسنت كثيراً وبدأت أعيش ولكن بإحساس أن أيامي معدودة، وأنه عاجلاً أو آجلاً سوف تعود الصمامات إلى سالف حالها ويمد لي الموت ذراعيه.. وأنا في إجازة ربما تكون شهوراً وربما أسابيع، فسحة محدودة اللعب فيها.. ثم يعود المرض اللعين فيضعني في فراشي من جديد.

وكان طبيعياً أن أتزوج من أول خطيب يتقدم لي، فأنا أريد أن أعيش.. وكان طبيعياً أن أحبه حب عبادة، فهو فرصتي الوحيدة لأدخل دنيا وأرى دنيا.

كان ضابطاً.. وكان يعرف كل شيء عن مرضي. ولم أجده النعيم الذي كنت أتصوره، بل عشت في جحيم ألين

من الموت. فأنا بحكم مرضي لا أستطيع أن ألبي كل رغبات زوجي الجنسية فهذا خطر على حياتي.. وهو بصحته وشبابه لا يقوى على تحمل هذا الوضع.

وهكذا انتهت الحالة به إلى إدمان الخمر والمخدرات ومصاحبة النسوة الساقطات.. وكنت أرى هذا بعيني وأتعذب، ولكني أنا السبب. فقد قبلت الزواج برغم معارضة أهلي وبرغم تحذير طبيبي المعالج.

حاولت بكل الطرق إصلاحه دون فائدة. تحدثت حالته أسوأ فأصبح يأخذ حقن المورفين. عشت شهوراً طويلة أتمنى طفلاً.

ثم حدث بعد هذا أن سافر في مهمة حربية.. حدثت ربنا أنه سيعيش في جو نظيف بعيداً عن إخوان السوء.. واكتشفت بعد ذلك أنني حامل فتضاعفت فرحتي.

أخيراً سيكون لي ابن.

سوف أموت، ولكن سيكون لي ابن يقول «ورحة ماما». وسأكون ذكرى غالية باقية عند إنسان عزيز.

وبعثت إلى سالم أقول له إني حامل.. فرح ولكن أرسل يقول: إذا كان خطراً على حياتك لازم تسقطي نفسك.. ولم يهمني برغم علمي بأنني لا بد سأموت عند ولادتي.

وقبل الولادة سمعت أن سالم مات نتيجة انفجار ذخيرة حية أثناء أحد التدريبات.

وأقول لك الحقيقة فرحت فيه.. فهو قد حطمني وحطم أنوثتي وكرامتي.. وكان دائماً يقول لي متى أستريح منك ومن مرضك. وكان يخونني أمام عيني.

وغرقت في شرب السجائر «أكثر من ٤٠ سيجارة في اليوم» ولم أعد أهتم بشيء.

لا يهم أن أموت.. فعندى ابني الآن وعندى سيعون فدانا من أحسن الأرض ومعاش ٨٠ جنيهاً وفيلا وعربية.. وقد عملت أيضاً بوليصة تأمين بـ ٣٠ ألف جنيه.. وسوف يعيش ابني إذن عيشة ملوك ولن يحتاج لأحد.. وسوف يذكرني طول عمره بالخير.

وولدت في الإسكندرية.. كان معي في حجرة العمليات دكتور القلب وطبيب أمراض النساء.

ولم أشعر بشيء.. فقد خدروني قبل الولادة.

ولم أمت.. تصور.. لم أمت.

وجاء طارق إلى الحياة.

كل شيء خطر، لا يجب أن أخرج.. لا يجب أن أسهر. وأغدقت عليه من الحنان والحب والرعاية مالا يحلم به طفل.

وطبعاً بدأ الأطباء يضيقون على بتعليماتهم.. كل شيء ممنوع، لا يجب أن أكل.

ولكني كنت تحولت تماماً إلى امرأة جديدة بعد أن رأيت معجزة ولادتي أمام عيني.. ورأيت ابني ورأيت نفسي وأقوم من ولادتي سليمة جن جنوني.

رحت آخذ الحياة كلها بالحضن.. ورحت أعيش بملء القلب والعين.. أرملة مريحة بكل ما في هذه الكلمات من معان.. انتقل مثل القراشة كنت أعلم أن عمري قصير وأن أيام سعادتي محدودة، فرحت أطيّر من زهرة إلى زهرة في محاولة لنسيان الماضي الكتيب والآلام.

هذا مهندس، وهذا محام، وهذا ضابط.

بالطبع كنت أعلم أن لا أحد من هؤلاء الرجال الذين أصبحهم يحبني بصدق.. إنغا هي تقضية وقت.. وكنت أعاملهم بنفس طريقتهم.. ولهذا لم أفرط في نفسي.. كنت آخذ ولا أعطي، يكفي أن أفضي ساعة أضحك فيها.. ولو كانت ضحكات زائفة.

ولم أعد أهتم.. ماذا أكل وماذا أشرب.. إنها أيام وتعدي فلماذا التذب على حظي التحس، لماذا أضيعها في النحيب والبكاء. أبي يقول لي.. دراستك يا فاتن.. مستقبلك يا فاتن.. وأنا أصرخ، لمن أذاكر، لكي أدفن شهادتي معي.

ابني أخذته أمي تربيته وهو الآن عمره عام.

الدنيا كلها أصبحت ملكي.. ولكن الموت ينتظرنى.

وفى هذا الوقت حدث الحادث الذى غير مجرى حياتى.
منذ ثلاثة شهور قابلته.

رجل يختلف عن كل الرجال الذين عرفتهم.. إن عواطفه
نحوى ليست نزوة، وإنما مشاعر عميقة صادقة.
وهو لا يعرف شيئاً عن مرضى، وإنما يريد أمامه إنساناً كاملة
الأنوثة.. حلوة.. وأنا أحبه.. أعبد.

ولكن بعد فوات الأوان.. لقد سقط المطر على الزرع بعد أن
جف، فقد بدأت النوبات القلبية تعاودنى.. الاختناق والرغبة
والإغماء.

ذهبت إلى الطبيب وأنا أبكى، وقال الطبيب إنه لا بد من
عملية، والأمل من العملية ضعيف، ولكن لا يوجد حل آخر.
وليس أمامى اختيار.. إما الموت وإما عملية غير مضمونة
الفائدة، وقد تعجل العملية بموتى وتقضى على كل آمالى.
حياتى تهرب منى وأنا فى أشد اللحظات شغفاً بها وتمسكاً بها
أريد أن أعيش.

أنا أحب.. قل لى كلمة.

عاد

إن منكلك ليس.. الحب.

ما الحب إلا قصا من فصول متعددة فى رواية أخرجها
الموت، إن الموت هو الذى ظل يلهو بك وبعقلك كما تلهو الخيوط
بالدمية الأراجوز.. الخوف من الموت منذ طفولتك هو الذى خلّو
لك هذه الحالة النفسية المستمرة من «الرثاء للنفس».. فأنت دائماً
ترنين لنفسك وتعذرين نفسك وتعيشين فى عذابك وحدك طوال
الوقت. حتى حينها لا يكون هناك ألم فأنت تعللين شعورك
بالخوف من ألم وشيك وبلاء يقترب.

هذه الحالة المستمرة من الرثاء للنفس حجبت عنك رؤية
عذاب الآخرين ومشاركتهم.. زوجك الذى انحدر بسببك من
الحمر إلى المخدرات إلى المورفين إلى عشرة الساقطات.. إلى
القبر.. لم يفز منك بكلمة بعد موته وهو الذى مات شهيداً.

وإنما تقولين فى برود عجيب، لقد فرحت فيه.. لقد حطم
أبوتى.. وحطم كرامتى.. لقد خائنى.. وفى برود أعجب تبدتين فى
حصاء ميراثك.. سبعين فداناً من أجود الأرض ومعاش شهرى
٨٠ جنبها وعزبة وقيللا.. ولقد نجوت من الولادة.. وهأنذا على
فيد الحياة فمرحباً بالحياة.. ومن ذراع رجل إلى ذراع رجل إلى
ذراع رجل.

إن لحظة واحدة من الصحة جعلتك تفعلين كل هذا.. إن
زوجك معذور إذن وهو ملؤه شباب وحيوية أن يفعل ما يفعله..

وأنت المرأة وهو الرجل.. ولكنك لم تدركي هذا لأنك لم تعيشي في
أزمته أبدًا.. وإِذا كنت طول الوقت تعيشين في نفسك.. رثاء
مستمر لحالتك.

وفي النهاية يسقط المطر ويأتي الخير بعد قوات الآوان على حد
قولك.. يأتي الرجل الصادق الشهم الذي يحبك بكل قلبه.. ولكنك
لا تعاملينه بصدق.. وتخفين عنه مرضك كمهدك دائمًا أخذ
ولا عطاء.

في كل شيء أخذ ولا عطاء.. فأنت مسكينة.. هكذا يقول لك
رثاؤك لنفسك.. يحاصرك الموت والعذاب.. أنت معذورة.. لو قلت
له ربما تفقدينه.. وأنت لا يجب أن تفقدى شيئًا.. ولكن الموت
يترصدنا جميعًا.. والمرضى قضاؤنا.. وهذا ليس عذرًا في
ألا نتصرف بصدق.. فلا عذر للكذب أبدًا.

وإذا كنت جديرة بالاشفاق فهناك من هو أجدر.. الرجل
الذي يحبك وقد يتزوجك ويكون مصيره مصير الأول.
أنا أعلم أنك تعذبت وتألمت.. ولكن كنت أحب أن يسمو بك
الألم إلى إدراك آلام الآخرين.. لا أن يحبسك ألمك طول الوقت
في حالة محدودة من الرثاء للنفس.

وإذا كان الموت قادمًا فلن ينقذك منه أية كلمة أقولها.
فلنعش بصدق، ولنمت بصدق، هذا هو شعارى دائمًا.. ولنكف
عن الرثاء لأنفسنا، فإن هذا الرثاء يحجب عنا آلام الآخرين،

وكم من مريضة بالروماتيزم ملقاة على رصيف القصر العيني ليس
عندها عربة ولا فيلا ولا معاش ثمانين جنيهاً ولا حبيب
لهوفه القلب.. هل فكرت مرة في مثل هذه المريضة.

لقد أثرت القسوة.. لآتى أعلم أنك ستعيشين برغم مخاوفك
وسوف تتزوجين من حبيبك.

والأمل الوحيد في أن تنجحي في حياتك المقبلة هو أن تكفى
عن الرثاء لنفسك.. وتعيشي في شركة سوية مع زميلك الجديد في
الحياة.

وهذه الجراحة النفسية ستكون ضرورية مثل الجراحة
الجسدية التي ستجريها.

واكتسى وجهها بالحزن العميق.
ثم قالت بابتسامة شاحبة وهي تنكس عينيها في الأرض
خجلاً:

- أنا في الواقع لم أجد أى عمل آخر أعيش منه.
وصمتت لحظة ثم عادت تقول في أسى:
- أبى طلق أمى وأنا صغيرة وتزوج بأخرى.. وأخرجتنى
الزوجة الجديدة من المدرسة ثم طردتنى من البيت.. وعشت مع
أمى.. وكنا لا نجد القوت في بعض الليالى.. ولم تكن النفقة التى
يعطونها لنا الأب تكفى لإطعام كلب. وكان لابد أن أعمل. وكنت
جميلة وصغيرة.

وكنْتُ أصدق ما يقال لى. وكنت أجد كل يوم من يقول لى
حبك.. أتزوجك.. سوف أجعل الدنيا كلها ملكك. وكنت أصدق.
وكانت غلطة.. فهناك أشياء لا يجب أن نصدقها أبداً.. أشياء
لا يجب أن نطيعها أبداً.

ولكن الواحد لا يتعلم بدون ثمن.
والثمن كان غالياً جداً.
وبقية القصة لا شك عادية.. ومعروفة.
وسكتت.

أثرت ألا أرحمها بأسئلتى.

حدث في قطار الليل

بدأت حكايتى يوم اثنين ديسمبر سنة ١٩٦٤ في الدرجة الأولى
في ديزل الإسكندرية الذى يقوم من مصر في الماء.. حينما التقيت
بفتاة رقيقة جميلة كانت مسافرة معى في نفس الديوان.. ولم يكن
في الديوان سوانا فأخذنا نقطع الوقت في الحديث.

قالت لى في بساطة عجيبة إنها ذاهبة إلى صديق في
الإسكندرية ترى من بلد عربى شقيق.
وحينما سألتها إن كانت تحبه قالت ضاحكة: إنه أكبر منها
بثلاثين سنة.

- مشوار عمل؟

احمر وجهها وسكتت.. ثم قالت في اضطراب - إنه عمل
بالنسبة لها.. أما بالنسبة له فهو انبساط.

وأحسست أن المعنى في الاستفسار والاستفهام سوف يكون
جارحاً وسوف يكون تدخلا منى فيما لا يعنينى (وإن كان في
الواقع أصبح يعنينى جداً).

ومراعاة لللياقة قفلت الموضوع.

ثم عادت تتكلم في شرود:

جاءت على أوقات فقدت فيها الثقة بكل شيء.. كرهت
نفسى، وكرهت الرجال.. وكرهت الحياة.. وأحسست أن الله
نسيتنى، وأن نفسى هانت على وعلى الناس.
مرضت ولم أكن أجِد ثمن الدواء.

أوشكت على الموت.

تعذبت.. خاصمتى النوم.

اقتربت من حافة الجنون.

ثم أنزل الله على السكينة.

ووهبى أنجح دواء.. عدم المبالاة.. وعدم الاهتمام.

نعم.. لم أعد أعيا بشيء.

ولم أعد أهتم بشيء.

ولم أعد أبالى بما يقوله الناس عني.

ولم أعد أبالى بما أفعله.

ووجدت الراحة في موت عواطفى.

ووجدت الحل في أن أعيش حياتى يوماً بيوم ولحظة بلحظة.

والعلاقة التى كنت أشمئز منها أصبحت عادة.. لا تسبب لى

ألماً.. كما أنها لا تسبب لى لذة.

أنا أنظر لها على أنها عمل.. مجرد عمل أعيش منه.

وأنا لا أطلب من الرجل أن يقول لى أحبك.. لأنى فى الواقع
لا أحب.

إنها دقائق عمل أخذ بعدها أجرى. وبعد هذا يمضى كل منا
فى طريقه.. دون أن يعرف أى منا اسم الآخر.
وسكنت.

ثم عادت تقول فى نبرة حزينة:

- أنا أعرف أنى أتكلم فى بساطة وبلا حياء فى مواضيع هائلة
ولكنها فى الحقيقة لم تعد هائلة فى نظرى.

ألم أقل لك أنها أصبحت عملاً.. مجرد عمل..

أنا أعرف أنك لم تعد تنظر إلىى كما كنت تنظر إلىى فى الأول.

ولكنى أشعر الآن بالراحة.. فقد قلت الصدق.

إن الحياة فى كذب متواصل.. شيء لا يطاق.

وأنت لم تجرب.. أن تكذب كل يوم.

وفى الحقيقة مكنت برهة أنظر إليها كالمصدوم.

كان مظهرها لا يدل على هذه المأساة.

وكان فى عينيها صفاء وطيبة قلب.

وفى وجهها الأبيض براءة طفلة جميلة.

ولن أطيل عليك.

فقد تزكنا معاً فى محطة الإسكندرية.

وأخذتها معي.. وقضينا شهر الإجازة معاً.
وأحترار لو حاولت أن أصفها لك.. فهي غاية في خفة الدم.
وهي مسلية.. وعشرية جداً.. وتديدة الذكاء.. وباختصار
شخصية.

أحببتها جداً.

وتعودت أن أراها كل يوم.

وحينما عدنا في آخر الشهر إلى القاهرة.. بدأت أنحري عن
وتأكد لي أن ما قالته صحيح.. وأنها لم تكذب في كلمة.
شعرت بأنها إنسانة ظلمتها الأيام.. وأنها كانت ضحية
ظروفها.

أحسست أن ماضيها لم يكن ذنباً بقدر ما كان عذاباً لها.
كانت تقول لي.. لو أنها وجدت القوت الضروري والرجل
الذي يحبها ويحميها لما فكرت أن تسلك هذا الطريق.

واختصر لك القصة أكثر فأقول إنني أجرت شقة وفرشتها.
واستمرت علاقتنا.

ولاحظت أنها ابتعدت تماماً عن طريقها الأول الذي كانت
تسلكه وكانت لا تطلب مني شيئاً.. وكنت أنا الذي أبحث كل
مرة عما ينقصها.

راقبتها بشدة ساعات الليل والنهار، فلم آخذ عليها شيئاً زكاً

حتى لهذا.. ومع ذلك لم تراودني فكرة الزواج بها أبداً.
قالت لي مرة إنها ليس لديها مانع أن أتزوج بشرط أن أبقىها
وأن تستمر علاقتنا فقد أحببتني.

ولا مانع عندها من أن أكون متزوجاً من أخرى.. وأن أصرف
على بيتين (وكانت تعلم أن مستوى دخلي يسمح بالصرف على
بيتين).

إلى هنا يا سيدي والقصة تسير عادية.

ولكنها فاجأتني منذ أيام بأنها حامل.

وقالت لي إنها تحت أمرى.. إن أردت أن أبقى عليه فهي
موافقة وإن أردت أن أجهضها فهي على أتم استعداد.. وقالت
ذلك بكل صراحة وصدق.

ولكن.. أنا.

شعرت أن الأرض تدور بي.

أأكون إجهاضاً؟!

وما ذنب الطفل البريء.. الذي أقتله.

ومن الذي فعلها.

إنه أنا.. وليست هي وحدها.

أتركها.. وكيف؟

أتزوجها؟ مستحيل!

كيف أتزوج من كانت يمثل هذا الماضي.

ثم أعود فأقول.. وكيف تتوب بعد أن أصبحت هذه المسألة
عادة عندها.

رأسي يكاد ينفجر.

أحبها بقلبي.. وأنكرها بعقلي.

لا أستطيع البعد عنها.

ولا أستطيع الزواج بها.

لا أستطيع أن أقتل ابني.

ولا أستطيع أن أعترف به.

لا أصدق أن هناك توبة.. ولكني لا أملك أن أكذبها حين

تتكلم.

لم أعد أنا..

والجنين يكبر.

ماذا أقول لأبي لو تزوجتها.. وماذا أقول للناس.

والذين يعرفون ماضيها.. أين أهرب منهم.

محمد صادق

لقد بدأت تتكلم بعد فوات الأوان.. بعد أن أحببت.. وبعد أن
تحول حبك إلى جنين.. وبعد أن تحولت أفعالك إلى واقع، وماضيك
إلى حياة ونبض.

وأخيراً جئت تسألني إن كان ممكناً أن تشطب على هذا كله

إن كان ممكناً أن تشطب على جزء من نفسك.

إن كان ممكناً أن ترتكب جريمة.

وهل يمكن أن تتوب.. وهل.. وهل.. وهل.

وأعتقد أن هذه أسئلة قات أوانها.

إنك ارتبطت بها فعلاً.. إنها لم تكذب عليك ولم تضحك عليك
من أول لحظة قابلتها.

فأنت إذن لم تكن مخدوعاً.. وأنت تصرف بكامل عقلك
وإرادتك واختيارك.

ولا أرى معنى لهذه التشنجات، فهي زوجتك بالفعل من زمان،
ولا توجد مفاجأة في الموضوع.

كل هذه الزوينة على ورقة مأذون.. وإمضاء!!

ولكنك أعطيتها وتعطيها ما هو أكثر.. حبك واهتمامك
وانشغالك وتعلقك وتفضيلك وإيثارك.

أنت زوجها بالفعل.. تصرف على هذا الأساس تستريح.

ولا تنس أن الثقة تخلق الثقة.. أما الجريمة فتخلق الجريمة.

هذا هو القانون الأول في علاقات البشر.

وكرجل مسئول يجب ألا تتنصل من فعلك.

والله يتوب على التائبين.

هل أتزوج اللص؟

يوم الاثنين الماضى تقدم لى خطيب موظف فى شركة (عن طريق قريب يعرفه معرفة سطحية).

وجاء العريس مع قريبنا.

أول ما لقت نظرى فيه أسلوبه الراقى اللبق فى الحديث.. وظرفه وذلاقة لسانه.. ولبسه الشيك.. بالاختصار أحسست أنه نصيب.. رغم أنه تنقصه الوسامة.

لدى بابتسامة عذبة وقال لى:

مبروك.. إن شاء الله حاكون عند حسن ظنك.

أتقدم منى فى بساطة وسلمنى كارت باسمه به معلومات عن عمله وأسرته بالصعيد وسنه ومرتبته.

قال إنه متزوج من امرأة تكبره بعشرين عاماً غنية ومنكبة جداً. ومستبدة وكانت حياته معها متعبة. وأنه طلقها بعد أن أنجب منها ابنة عمرها الآن ست سنوات.

أعجبتنى صراحته وبساطته.

وقلت لنفسى.. هذا هو الرجل الذى أبحث عنه.
وعندنا فى البيت انبسطوا منه جداً وارتاحوا لصراحته ونخوصيته.

وتانى يوم سأل زوج خالتى عنه فى الشركة التى يعمل بها.. وقالوا له نفس المعلومات التى قالها لى بالنص.

ومنذ تلك اللحظة وهو يدق لنا التليفون كل خمس دقائق يسأل فى قلق.. هيه.. رأيكو إيه.. ورأى العروسة إيه.. أنا عاوز الرد بسرعة.. أنا مستعجل على عقد القران.. أنا تحت أمركم.. أنا أكون أسعد زوج لفاطمة.. وفاطمة عندى تسوى الدنيا.

كل يوم تليفونات واتصالات وجرى.

وأنا مبسوطة جداً إن فيه حد مهتم بيه كده وبطريقة جدية. نهايته.. بعد أخذ ورد حصلت القسمة وتم كتب كتابى بعد ثلاثة أيام أى يوم الجمعة.. وكنت عاملة فستان يجنن لهذه المناسبة ومتكلف ثقله.. وكنت آخر شياكة.. وكنت فرحانة جداً جداً.. ويقولوا إنى كنت زى القمر وزى بنت ١٨.

وكانت حفلة لطيفة ومعايير وورد وشربات وملبس وكساتا وزغاريد وصور.. كل صديقاتى حواليه زى الفراشات.

وجاء بعض أقارب العريس وكادوا يلتهموننى بنظراتهم. وبعد انتهاء الحفلة كنت أسمع تعليقات غريبة من حولى.

واحدة تقول: بالذمة ده عريس.. يا خسارتك فيه.

والثانية تقول: ده ينفع كمسرى.

والثالثة تقول: ناقصه شنطة على ضهره ويبقى بوسطجى.

والرابعة تقول: أصلها مش شايفاه.. أصل القرد فى عين

حبيبته غزال.

والآخر اتضايقت وقلت لهم: اسمعوا، الراجل بشخصيته مش

بشكله.. الراجل بأخلاقه.

وكركرت الضحكات من خلفى على طريقة ها ها هاى.. هىء

هىء.. كاه كاه كاه.. وهى فى الشخصية دى.. وايش عرفك

بأخلاقه.

ولكنى لم أبال بتلك الكلمات.. وكنت أشعر أنها حسد وغيره

وكنت طائرة من الفرع.

وفى اليوم التالى ذهبت إلى المدرسة فاستقبلنى الكل بكلمة

مبروك.. مبروك.. مبروك.. من الزميلات والمدرسات والمدرسين

والفراشين.

وحملتني الزميلات فى مظاهرة وهات يازغاريد.

وكنت فرحانة جداً كالعروس البكر (للعلم أنا سبق لى

الزواج والطلاق.. البخت.. البخت أصله مايل من يومه).

وجاء العريس لزيارتنا بعد ذلك.. وعلى الكنية فى البلكونة

وفى ساعة عصارى.. جلس إلى جوارى يهمس فى أذنى بأعذب

الكلمات.. أنت مش حلوة ويس.. أنت فيك حاجة غريبة.. أنت

أنتى.. أنتى بمعنى الكلمة.. وفى أنوثتك حياة ورقة وعذوبة.. أنا

مش قادر أشبع من وشك الحلوة.. أنا ماكنتش عايش.. أنا كنت

ميت لغاية ماشفتك.. أنا لازم أسعدك.. أنا حاخلىكى أسعد

واحدة فى الدنيا.. يا حبيبى يا حياقى.. ياملاكى كل حاجة فيكى

حلوة.

كلام عمرى ماسمعتة من حد.. وقبلات.. وعناق، ونظرات

والهة دامعة.

وحدثت هامس كالأغانى.

وشعرت بقلبي الذى طال به الحرمان يرتوى ويفرح ويسعد

كما لم يسعد أبداً.. شعرت لأول مرة بأنى امرأة، وأن لى شفتين

جذابتين وصدرًا نافرًا شهياً يتمناه الرجل.. شعرت بأنى جميلة

وقاتنة ورائعة وساحرة، وماذا أقول.. سوف أختصر لك الحكاية

التي انتهت بأسرع مما ابتدأت.

بعد عودتى من المدرسة اليوم (بعد ثلاثة أيام من كتب

الكتاب) رأيت بابا وماما فى انتظارى.

وألقي أبى فى وجهى بالحقيقة الفظيعة.

اسمعى يا بنتى احنا بنحبك جداً وكنا بنتمنى سعادتك، لكن

حظك طلع كده واحمدى ربنا إنك حاتعرفى الحقيقة قبل فوات

الأوان وقبل ما تجرجرى وراكى دستة ولاد ويبقى الطلاق مستحيل.

طلاق ايه؟

أيوه لازم يطلقك بكرة.. والنهاردة قبل بكرة.. إنت مش عارفه إنتى اتجوزتى مين.. إنتى اتجوزتى راجل نصاب محال حرامى له دوسيه فى البوليس.. مراته الأولانية اتصلت بينا وحكت لنا حكايته كلها.

- مستحيل.. ده كذب.. طبعا هى متغاطة.. ولازم تشنع عليه.

- إحنا افكرنا كده فى الأول، لكن هى قالت لنا غر على المحاضر المحررة له فى النيابة والمباحث عن جرائم سرقة مصاغها ومحاضر تزوير بيع أملاكها وأرضها وتبديد.. إلخ.. إلخ.. إلخ واحنا رحنا بنفسنا وشفنا المحاضر دى، ويمكن تنصلى بنفسك بفلان فى (البوليس) وتعرفى منه كل حاجة.

اتصلت فى الحال.. وسمعت الضابط (وهو قريبنا من بعيد) يقول لى وكأنه يعزيتى:

- احدى ربنا يابنى أننا عرفنا كل حاجة وكشفنا أمره، ده راجل بطل له دوسيه وأرباب سوابق ومجرم خطير.. أنتى بنت كويسة وغلبانه وربنا أنقذك من الراجل ده.. ده راجل محال.. حق إسأليه، واجهيه بالحقيقة.. وهو مش حايقدر ينكر، وفعلا واجهته بكل هذه التحريات، واعترف ورأسه فى

الأرض ولكنه قال بصوت متهدج إنه أحنى، وإن حبه لى كان سيغره إلى إنسان آخر نظيف لأنى أصبحت كل شىء فى حياته. وطبعاً الصدمة كانت شديدة جداً على أعصابى.. فهذا هو زواجى الثانى.. والناس حايقولوا إيه.. طلاق بعد ثلاثة أيام، فيه إيه.. البنت مش بتعمر فى جوازها.. حاتبقى سمعتى زفت لكن مفيش حل.

كان اجماع الكل على أنه لا بد من الطلاق فوراً.. ووافق هو ومنذ لحظات اتصل بى بالتليفون وقال لى بصوت باك:

- كده يا فاطمة تفرطى فيه بالسهولة دى.. إدينى فرصة، إدينى فرصة أحاول فيها أبقي إنسان كويس.

- معلش القسمة جت كده.. يمكن تقابل إنسانة غيرى تحبها وتعيش سعيد معاها.

- مش ممكن أحب بعدك حد.. مش ممكن أفكر أتجوز بعدك، أنت أول حب وآخر حب فى حياتى.. أنت حلم.. حلم سعادة قصير ما الحقتش أتهنى بيه.

وخنقت أصواتنا الدموع.

وماذا أقول لك.

طلاقتى اليوم.. وحبى الوليد لم يمت.. وصوته فى التليفون مازال يجرح قلبى.

وامتحاننا فى باقى عليها أسبوع.

ألا يمكن أن يحول الحب الإنسان المجرم إلى إنسان شريف.
فاطمة

الحب يمكن أن يحول الإنسان المجرم إلى إنسان شريف.
ولكن لابد أن تكون هناك بوادر وبشائر لهذا التحول.. ولا بد
أن يكون الحب صادقاً وعميقاً.. ولا ريبة فيه.
وفي حكايتك لا أثر لهذه البشائر والبوادر.

فمن أول لحظة نشعر أننا أمام رجل مستعجل يحاول جاهداً
أن يوقع عقد زواج في ٢٤ ساعة وكأنه يمارس عملية توريط
مربية يريد أن يتمها في أسرع وقت.. فهو يلاحقكم بالتليفونات
كل ٥ دقائق.

وأنت مبهورة باهتمامه.. معجبة بظرفه وذلاقة لسانه..
وشياكته.

وطبعاً الشياكة وذلاقة اللسان والظرف والبلف والكلام المنعق
المزوق هو دائماً عدة الأونطجي والنصاب.

وأظن واضح دلوقتي أنه لم تكن عنده ذرة صراحة.
رجل له دوسيه في البوليس وسجل سوابق سرقة وتبديد
ونشل.

أفكر إذا كانت عنده أقل نية في التوبة والصلاح.. كان لازم

يبدأ حياته الجديدة معك بالكلام بصراحة عن ماضيه وأخطائه.
هذه بشائر التوبة وبوادر العودة إلى طريق الصواب.. ودليل
احترامه لك ولعلاقته بك وارتباطه في شركة طول العمر معك أن
يبدأ معك على نور. (وقد سبق أن تشرنا اعترافاً لسيدة محترمة
بدأت حياتها بالصراحة).

أما كلمات الحب التي ذاب لها قوادك فيمكنك أن تسمعي
أسطوانات منها في أي سينما بالسيدة زينب في الأفلام القديمة أم
فرش.

والحكاية مش حكاية كلام.

الحكاية حكاية صدق القلب وخلوص النية.

وأنا أبحث عن أي دليل للصدق وخلوص النية فلا أجده.
وطبعاً حكاية الحب الملتهب التي ينفجر فجأة في ٢٤ ساعة
برضه حكاية مشكوك فيها، وفي النهاية حرمانك الطويل ليس
شفيحاً لك بأن تشربي من أي مستنقع.. فالحياة في عطش أحسن
من شرب ماء النار.

وصدقيني، إن الذين يشربون ماء النار يعطشون أكثر.
والطلاق بالرغم من نتائجه السيئة.. أعقل من الاستمرار في
مثل هذا الزواج المريب.. معلش قسمتك جت كده.

والمرّة الجاية حاولي تحكّمي على الرجل بطريقة أخرى غير
الانتهار بذلاقة اللسان والشياكة.. حاولي أن تعرفي، بفطرة المرأة

وبصيرتها ما وراء الكلمات وما وراء الثياب البراقة. ورب رجل صامت يغلب عليه الحياء، أكثر طيبة وأكثر حُباً من رجل «دحلاب» يجيد صياغة الكلام.

والشخصية والرجولة ليست في جمال الوجه كما قلت. ولكنها أيضاً ليست في الكلام وذلاقة اللسان.

الرجولة في الصدق والصراحة والإحساس بالمسئولية وتحمل الأعباء ومواجهة الحقيقة حتى ولو كانت مريرة.. الرجولة أمانة وشرف وعمل.. وليست سرقة وتبديداً واحتيالاً.

أطخن طخين في العيلة!

أكتب لك بعد آخر مشاجرة حدثت.. وأصوات الخناق وظلال الأيدي التي تلوح في الهواء، والقبضات التي تهدد مازالت تحوم حولي وأنا أكتب.

أنا فتاة في التاسعة عشرة من عمري موظفة بإحدى الشركات وأخت لثمانية إخوة حرمتهم الحياة من كلمة «بابا» منذ خمس سنوات وهو تاريخ وفاة عائلتنا الوحيد.

توفي والدي بسكتة قلبية وكانت وفاته كالزلزال الذي هدم حياتنا وأحالتها إلى كومة من الانقاض والرمال. بحر حياتنا جف ونور أملنا انطفأ.

لم يبق للجيش اليتامي غير مرتبي الصغير ومرتب أختي الموظفة.

التجأنا بحق الأخوة إلى أخي ليساعدنا في الحياة ولكنه امتنع بحجة أن مرتبه لا يكاد يكفي احتياجاته.. وتماذى في العناد واستقال من عمله بحجة أنه يتقاضى منه ملائيم لا تستحق العناء في سبيلها، والحقيقة أنها لم تكن ملائيم كما يتصور ولو أنه اشترك

معنا بجزء ضئيل منها لا يمكن لنا أن نعيش مستورين.. لكنه كان عنيذاً ولم يلن قلبه لتوسلاتنا.

ستقول لي إن مرتبك ومرتب أختك يمكن أن يجعلكم تعيشون في رغد.. ولكن أبي مات ولم يترك لنا سوى دين كبير لا نزال نسد فيه من مرتبتنا.. وأخي بدأت مطالبه تكثر وبدأ يبتز من أمي النقود بكل وسيلة.. بالتهديد وبالوعيد والخناق فإن أخبرته بأنها لا تملك ما يسد أفواه هذا الجيش من اليتامى.. وأنها باعت مصاغها لآخر قطعة، انهار عليها يشتمها ويسبها ويلعن اليوم الأسود الذي رآها فيه.. ونصمت أمي لكي تدع الزوبعة تمر.

وبدأ أخي يرسل إخوتي إلى الجيران ليطلبوا منهم النقود بالسلف ويلقنهم أن يقولوا لكل من يلقونه.. «أمي بتسلم عليك وبتقول لك والنيبي تدينا نص جنيه سلف ليكره».

وتفاجأ والدتي بالجيران يدقون الباب ويطالبون بنقودهم التي استلفتها.. فتقضى ليلها ساهرة تبكي.

جاء بعض أقاربنا ليعتبروا عليه ويحاولوا رده إلى عقله ولكنه صرخ «أنا ما بهمتيش أطخن طخين في العيلة».. ثم ترك المنزل وسافر إلى القاهرة «طفشانا».

وكانت هذه الحادثة كفيلة بأن تسقط أمي طريحة الفراش مريضة تهذي طول الليل باسمه وإخوتي حوفاً والدموع في عيونهم، وهي تهتف.. فين أنت يا ضنايا.. سامعني.. ارجع لإخوانك

اليتامى المحتاجين لرعايتك وحنانك.

وسافر بعض أقاربنا وبحثوا عنه وأقنعوه بالعودة.

وعاد ودموع الندم تسبقه.. وانهار على يد أمي يقبلها حينها رأى حالها في غيابها، ولكنه ما لبث أن عاد إلى طبيعته.. السهر كل ليلة مع إخوان السوء وشرب السجائر بشراهة والسكر وابتزاز المال بكل وسيلة.. وملاحقة أمي بالتهديد لتدعن لمطالبه.

وفي إحدى المرات تجاوز الحدود فضربها وصفعها، تصور.. بفعل هذا مع أمه المسكينة أم اليتامى المكافحة التي تنهض من الفجر لتغسل له ثيابه وثياب إخوته الصغار وتطهو له طعامه بيديها.

لقد أصبحنا حكاية في فم الجيران.

وكل من يرانا يتحسر على أسرة كانت تعيش في ستر وسعادة في ظل عائلتها ثم أصبحت بعد موته تعيش في نكبات متوالية.

لا تقل لي إن الحل أن يترك أخوك المنزل فنحن ووالدتي نحبه من كل قلوبنا ولا نستطيع أن نفرق عنه.

إن أخي - ولتعجب حينها أقول لك - قلبه طيب ومسكين. وفي تلك الحادثة حينما ضرب أمي فوجئت به وأنا أدخل الغرفة يجلس وحيداً (ولم يشعر بوجودي) يبكي بحرقة كالطفل الصغير وهذي ويقول.. إنكم جميعاً تكرهونني.. كل إخوتي يكرهونني.. حتى أمي لا تعطيني الحنان.. اللهم اجعل قلبي حنوناً عليهم

لأمنحهم الحنان والحب الذى حرموا منه.. «عمرى ما لقيت كلمة حنان من حد يارب.. يارب حنن قلوبهم على».

وخرجت كما دخلت بدون أن يشعر بى.

لقد بدأنا نكرهه لتلك الأعمال التى نراها منه ولكنى أرجع وأقول وربنا يعلم أننا نحبه كثيراً.. فكيف يعتقد غير ذلك.

إنى حينما أسير فى الطريق تنهال دموعى من غير ما أشعر كلما فكرت فيه.. وفى وحدتى كل ليلة أصلى من أجله وأدعو له بالهداية والتوفيق.. وفى أحلامى أراه أسعد الناس.. وإخوتى يذهبون إلى الامتحان كل يوم وأثار الدموع فى عيونهم.. وكلهم يحبونه ولا ينامون الليل إذا غاب عنهم.. ولكن أفعاله لا تدع لأحد فرصة لكى يعبر له عن حبه.

إن عقلى يشرد بعيداً وهتف دائماً فى تعاسة.. أبى قم من قبرك لترانا وترى ما صارت إليه حياتنا السعيدة.. قم لترى أسرارك تعيش فى عذاب وشقاء من بعدك.

إنى مؤمنة بقضاء الله.. ولكنى لا أحب أن أقف مكتوفة اليدين أمام ما نزل بنا من بلاء وأريد أن أعيد إلى أخى ثقته بنفسه وإيمانه بنا وبحبنا فنحن بدوننا لا حياة لنا وهو أملنا الباقي بعد أبنائنا.

ومن توفيق الله أنه وجد عملاً عند مقاول.. وأن أحوالنا يمكن أن تنصلح لو صفت النوايا والقلوب.

وما أحوجنا إلى صفاء النوايا والقلوب.

س السويس

إن النوايا لا تكفى.

وإضرار الحب لا يكفى.. وإنما لابد من إظهاره.

وأخوك يتعذب بفكرة وهمية: إنه مكروه لا أحد يحبه ولا أحد يعطف عليه.. وهى فكرة سوف تزول ولا شك حينما يقرأ فى كلامك ما تكنينه من حب له.. والقلوب الطيبة الأصلية تحركها المعاملة الطيبة ويشيرها الحنان.

حاولى أن تقتربى من أخيك فى محاولة مخلصة لمعونته وتفهمه لا تلقى إليه بموعظة أو نصيحة.. ولكن قدمى له هدية.. علبة كروت بها مجموعة كروت باسمه وهى لن تكلفك كثيراً.. ولكنها سوف تكون برهان محبة وسوف يردها لك بأحسن منها.

وهو بالمثل يفهم أن الحب لا يكون بإضرار الحب ولكن بإظهاره فى المعاملة الحسنة وفى الاشتراك المادى فى المعونة والاحتياجات اليومية.

والاشتراك فى الأعباء رجولة.

والله يعطينا بقدر ما يعطى بعضنا بعضاً.

وسوف ينفتح عليه باب الرزق إذا أشرك الآخرين في رزقه وخيراته.

والحاجة تفتق الحيلة.. أما السلف فإنه لا يفتح الباب لأى خير وإنما على العكس يفتح الباب على الاحتياال.

وإذا كان يريد أن يشعر بأمومة أمه فلايد أن يشعر أولاً بالبنوة الصالحة.

وإذا كان يريد أن يشعر بحب الإخوة فلايد أن يكون الأخ المحب أولاً.

العواطف لا تكون بأن نضمهرها وإنما بأن نظهرها.. وهو ولى الأمر.. والقذوة.. والمثل.. وأنا متفائل.. فهناك رائحة طيبة وأصاله فى كلامك.. وأخوك إنسان طيب برغم ما بدر منه.

وسوف تنصلح الأحوال حينما تتضافر جهودكم كلكم وإن الواحد ليفتخر بأن تكون له أخت مثلك.. عواطفها فى نضارة عواطفك.. وقلبيها فى طيبة قلبك.

وأخوك لن تفوته فرصة هذه المحبة.. ولا يمكن أن يخفقها فى مهدها.

الحب والضرب

نشأت فى بيئة متدينة محافظة فى بلد صغير بالصعيد.
والدى كان موظفاً فى شركة بالمركز.
وعقلى كان مقفلاً مثل بيتنا المقفلة وقلبي كان هو الآخر مقفلاً.

ولكنى اضطررت إلى الخروج من هذه الدائرة وأنا فى الثالثة عشرة حينما دخلت المدرسة الثانوية.. وكان ذلك يستدعى السفر كل يوم لأذهب إلى المدرسة.

وتعرفت عليها.. كانت أكبر منى بكثير وكانت تتردد على اندرسة لقضاء الوقت وعرفتني بأخيها الذى كان السبب فى كل المنائب.

كان أخوها هو أول رجل خارج العائلة أضع عيني عليه.
وكان بالنسبة لعقلى المحدود شيئاً باهراً.

وتصورت أنه فارسى المنتظر ورجل أحلامى.
وتعلقت به.. أحببته وجننت به وخيل إلى أنه أعظم رجل فى

الدنيا.. عقل عيال.. إنت لك حق لما بتقول إن الحب في هذه السن المبكرة كلام فارغ.. ففي هذه السن لا يكون الحب حباً وإنما يكون خيالا.

نعم كانت الصورة التي أحببته بها صورة من صنع أوهامي وخيالي.

كنت أحلم بكل خيالي المكبوت.

وكنت أفكر بخبرتي المحدودة.. وأتصور أشياء لا وجود لها إلا في عقلي.

نعم أنا الآن أؤكد لكل بنت أن الحب الأول وخصوصاً في سنوات المراهقة كلام فارغ.

ولكني ساعتها لم أكن أعلم أفي أنسج بعواطفى كلاماً فارغاً. كان يخطبني من أهلى (ومصيبة الحب في هذه السن حينها ينقلب إلى حقيقة تطالب بمكان لها في الواقع).

وقال أهلى إنه لا يصلح.

وقلت أنا إنه يصلح.. وبكيت وتشنجت ومزقت شعرى وطبعا أذعن الأهل في النهاية.. (وليتهم ضربوني علقه وعلموني الأدب).

وتم الزواج.

ودخلت عش الجنة.

وكالعادة في مثل هذه الأحوال لم تتحمل عواطفنا الواهمة الامتحان.

وبعد أيام قليلة كان الملل والسأم قد بدأ يبدد الأحلام ويكشف من دخائل النفوس الحقيقية.. وهو يصحو كل يوم ليشتد بدون مناسبة.

يعنى أيوكى مش ييسأل عنك بمليم.

يعنى أمك ما بتدخلش عليك بخيارة في أيدها.

واتضح بعد الزواج أن كل إirاده ٣٧ جنيهاً لا يحتكم على سواها.

واتضح أنه كان يتصور أن بابا سوف يرسل لنا كل شهر خمسين جنيهاً. وأن أمى سوف تملأ البيت بالدجاج والبط والسمن والأرز وكافة لوازم الخزين.. وأنه سوف يسحب من الوكالة كما يريد.

فلما لم يجد الوكالة السايبة التي كان يتوقعها.. ظهرت أخلاقه على حقيقتها.. شتيمة وقلة أدب وضرب.. وضرب إيه، ضرب محترم (فقد كان يلعب ملاكمة سابقاً).

نهايته أخذت فوق دماغى ولم أخبر أهلى بشيء.. فقد كانت الصورة شورقى والجلب جلبى.. ولو كنت فتحت فمى لانهالوا على هم الآخرون باللوم والتفريع.. وحالاقبها منين والا منين. وصبرت.. واستحملت.. وعشت معاه على قد حاله وأنا راضية وأتقنى رضاه بأي طريقة.

وكل ده ومش عاجب.

وساق هو في طولة اللسان وطولة اليد وطولة الرجل حتى
كسر ذراعى في إحدى المرات، وقاض في الكيل وانتهرت فرحة
نزوله للشغل وكلمت أبى في التليفون وهددته بالانتحار إذا لم
يأخذنى من الجحيم الذى وضعت نفسى فيه.. وبكى وصرخت.
قلت له إنه يضربنى وإنه كسر ذراعى وإنه يهددنى أنه حايثجوز
على بالشبكة بتاعى (وكان قد أخذها وأخفاها).

وهكذا خرجت من البيت وأنا أقرأ الشهادتين وأقبل يد أبى
ورأس أمى وألعن الحب وجراير الحب.

وحينما تزوجت كنت قد تركت المدرسة.. (وكنيت راسبة ثانوية
عامة).. فأعدت قيدي والتحاقي وبذلت كل ما أستطيع من جهد
في المذاكرة (ولك أن تتصور مدى الكفاح الذى كافحته وقد
أصبحت أمًا لطفلة ترضع وتعوى).

وكل يوم مجلس صلح حتى يوم الامتحان وأنا أرفض.
ونجحت والتحق بالكلية التى كنت أحلم بها وأصبح مستقبلى
هو كل حياتى.

وفجأة وجدت إعلانًا من المحكمة بطلبى في بيت الطاعة.
وطبعًا ركبى سايت واستولى على الذعر.

وحكمت له المحكمة بالطاعة وجاء يطلب الصلح بالذوق
وبالتى هى أحسن.

وخوفًا من البهدة وتحت ضغط الجميع وافقت وأمرى إلى الله.

ورجعت وأقمت عند أهله لأن أحواله المادية لا تسمح له
بفتح بيت وقيلت لما وجدت عنده من استعداد لإصلاح معاملته..
وفعلا بقى كويس جدًا لمدة شهر.. وبعد كده رجع لعوايده..
ضرب وتسيمة وأنا أعصابى تلفت.. كل يوم رايحة الكلية.. مفيش
كلية.. مفيش عندي واحدة تروح كلية تتمرقع بين التلامذه..
أحاول أن أدافع عن نفسى بصرخ قائلاً: مفيش ولا كلمة.. أنت
خادمة في البيت مش أفوكاتو.. وطبعًا أمه قالت الكلمتين إلى
ربنا قدرها عليهم.. وأخته كملت على بقيتى.
طيب طلقنى.

مفيش طلاق.. بعينك الطلاق.. أنت تعيشى زى الكلية..
وغضب عنك، وحكم الطاعة على دماغك.
أخذت الدش ولم أرد بكلمة واحدة فقط سقط من عيني إلى
الأبد.

احتقرته وكرهته كما لم أكرهه طول عمري.

نهايته طفشت تانى لبيت أهلى، وأخذت البنت وعدت إلى
الكلية وقد صممت هذه المرة على الانفصال النهائي بأى ثمن.
ساومنى على الطلاق في مقابل مبلغ أدفعه يعوضه عن المهر
والشبكة والفضائح (ليه ياتاس هو كان متجوز رقاصة، والفضائح
مين؟ له.. والا لى أنا لى حبقى مطلقة وعلى كتنفى بنت).
ومين لى بيصرخ بأعلى صوته.. عاوز فلوس، هاقى لى

فلوس.. هاتيلي من أبوكى.. من أمك.. من الشارع.. امشى على
كيفك.. بس عاوز فلوس..

أنا لم أتزوج رجلاً.

وهذه المرة لن أعود.. ولو رفع سوط الطاعة على رقبتى.
لن أعيش معه يوماً واحداً.

سوف أكمل دراستى وأتحرر من الذل والعبودية والحاجة إلى
من يستغلنى.

أعصابى تلفت.

لا أتصور أن يجرجرفى جندى بوليس من الكلية إلى بيت
الطاعة لأعيش مع رجل تنقصه كل مقومات الرجولة.
خذ بيدي.. انصحنى.

المعذبة

ص. ع

عودتك إلى الدراسة ونجاحك ودخولك الكلية التى اخترتها
الرغم من كل هذه الزواجر حولك تدل على شخصية وإرادة
وخصائص نفسية نادرة.

اطردى الخوف واثبتى على موقفك.

وحتى لو طلبك فى الطاعة.. بإمكانك أن تحصل على حكم

بالطلاق منه.. وسوف يقف القاضى فى صفك حينما يعلم بظروفك.
إن خضوعك للظلم مناصرة للظلم ومناصرة للظالم.
ويقبنى أن شخصيتك القوية سوف تنجو بك من البلاء الذى
وقعته فيه.

قليلة العقل.. لازم اتسح به مثل الققط لأرضى رجولته.. هنا فقط يعود السلام والوئام إلى البيت.

ولكني أؤمن بأسلوب آخر اسمه الاحترام المتبادل وديمقراطية الرأي وخصوصاً بين زوجين عصريين متعلمين.

وأعتقد أن الخلاف هو المحك الذي تظهر عليه أخلاق الزوجين على حقيقتها.

قلت له هذا ألف مرة.. وكان في كل مرة يحتد ويشتم.. كنت أضع في حسابي أنه وحيد والدته.. وأنه متدلج.. ولكن اسلامي له جعل حاله يسوء مرة بعد مرة.. يفقد أعصابه في أنه نقاش ويشتم ويسب.

لو أنه قال لي مرة معلش.. وطيبط على.. وأشعري بحنانه.. كانت المشكلة انتهت.. ولكنه جعل الكبرياء دائماً من حقه والتذلل من نصيبي حتى ولو كان هو المخطئ.. أنا اللي أقول له معلش سامحنى.

وأخيراً أصبح يهددني بالطلاق.. بمناسبة وبدون مناسبة يقول لي أطلقك بالثلاثة.

الطلاق كلمة كبيرة ما يصحش تطلع منك بالسهولة دي.. لنا طفلين بيستمعوا كلامك.. مش كويس.. صلب العلاقة الزوجية وقداصة الرباط الزوجي يجب أن يظل بعيداً عن هذه المشاحنات اليومية، لأنه مقدس مثل الدين والإيمان.. إذ انهار انتهى بانتياره

حول الشباشب والمثل العليا

مشكلتي باختصار شديد أني زوجة في التاسعة والعشرين، عصرية متعلمة تعليماً جامعياً، متوازنة إلى حد ما.. لي بيت جميل أنيق.. زوجي في الأربعين يشغل منصباً محترماً أكثر مني انزناً وهدوءاً أنجبنا ولداً وبناتاً.

أشرف على نظافة بيتي بنفسى وأهتم بتعليم أولادى وأذاكرهم دروسهم.. أسهر على راحة زوجي.. والنتيجة أسرة سعيدة هادئة.. سوف تسألني.. أين المشكلة؟

المشكلة في زوجي.. وفي معاملته لي.. في كل مناقشة بحق وبدون حق يسفه آرائى ويسخف أفكارى ولا يتركنى حتى أشعر أني مخطئة قليلة العقل، وأن حكمه هو الحكم العادل الذى لا يخطئ فإذا حاولت الدفاع عن نفسى احتد في كلامه ثم بدأ يشتم ويسب وينهال على سمعى بأقذع الكلام، وتنتهى المناقشة بخصام وبوز شبرين وسهر في الخارج ورفض للطعام وحرق سجائر سيجارة وراء سيجارة ويظل على خصامه وبوزه حتى أبدأ أنا.. وأنا بالذات.. في مصالحته، ومعلش.. أنا غلطانة.. أنا مش فاهمة.. أن

الأمان وخرب البيت بدون طلاق وبدون فراق.. ينفجر ثائراً
ليقول لى.. إنتى فاكدة نفسك إيه.. إنتى حاتقفى تترافعى.. إنتى
حاتعلمينى الواجب.. إنتى فاكدة نفسك بتفهمنى.. إنتى أكبر
حمارة.. إنتى تخرسى.. إنتى تسمعى كلامى وإنتى ساكنة زى
الكلبة.

لكن أنا مش كلبة ولا حمارة.. أنا بنى آدم.. ومش ممكن حياة
بين بنى آدمين تبقى عبارة عن الأكل والترب والنوم والحناق
وبس.

حقيقى هو بيدينى كل فلوسه.. وكل طلباتى بيحبها
ما بيهونش عليه طلب يطلبه الأولاد.. أو حاجة أقول له أنا
نفسى فيها.. كل شقاه لنا.. لكن عيبه الوحيد معاملته.

نفسى مرة يقول لى تعالى نتمشى على الكورنيش، مش
عايزاه يأخذنى فى تاكسى ولا يقعدنى فى كازينو.. لكن يتمشى
معايا ايده فى ايدى.. نتكلم كلام حلو ونقرقرز لب.. ونقعد على دكة
ناكل ساندويتش.. يوم واحد فى الأسبوع نقضيه فى جنيته نضحك
ونجدد عواطفنا.

قلت كده مرة.. ثار.. وقال لى إيه شغل العيال ده.. سمعتى
الكلام ده فى أى سينما.

وكلمة منه وكلمة منى انفعلى جداً وتهور وشتم.. تصور.. وقلم
الشبشب من رجله ونزل على دماغى.. ساعتها والأولاد صرخوا

لا يا بابى.. بلاش يا بابى بلاش.. ودارت الدنيا بى وتبخر كل
حب فى قلبى وشعرت بنفسى أموت.. منظره وهو واقف هكذا
عارى القدم والشبشب فى يده.. وسحنه مقلوبة.. شىء فظيع.
ودعك من التفاصيل.. شىء فى قلبى انكسر.. شىء فى روحى
نظم.. انهارت مثلى.. والقيم التى عشت بها وتربيت عليها أغلقت
فى.. لم أتكلم.. خرس.

وطبعاً هو أفاقى على الشبشب فى يده.. وأصابه الذهول.. كيف
ضربنى.. وحاول أن يعتذر.. ولم يجد كلاماً يقوله وأنا لم أجد عندى
كلاماً أرد به.. وخيم الصمت.. لا كلام ولا سلام.. انصرف عن
الطعام كالعادة.. ولكنى هذه المرة لم أهتم.. غطست عامت
لا أهية عندى.. اللى يعمله يعمل.

ونم الصلح التقليدى بواسطة أخته.. لأول مرة يطلب المعونة
من الخارج.. لو أنه لجأ إلى وطبطب على ساعتها وقال لى تنقطع
إيدى يمكن كان كل شىء انصلح.. لكن الاعتذار حينما يتأخر عن
وقته ويأتى بارداً بلا روح فإنه لا يغنى.

المهم عادت حياتنا.. ولكن ظل ينقصها دائماً شىء.. علاقتى به
أصبحت عادية.. ولكن لا علاقات خاصة بتاتاً.. هو يحترم حزنى
ولا يحاول أن يأخذ منى شيئاً بالقوة.. ونحن زوجان أمام الناس
فقط.

واستمر الحال شهراً.. شهرين.

وكاد قلبي غصب عني يصفو.

كنت أفكر دائماً في الأولاد.. ماذا يكون مصيرهم لو أنهم
غبروا في هذا الجو من النفور والخصام، وتربوا في بيت يفتقر إلى
الحنان.

لكن أسامحه أزاى. حاسوق فيها.

وأنا إنسانة حساسة مرهفة الأعصاب تربيت في بيت يسوده
الوثام والاحترام.. ولى قيم ومثل عليا.

وكل هذا ينتهى إلى الضرب بالشبشب.

هل يمكن أن يحدث هذا في أى بيت فيه ناس متربيين منقذين
جامعيين.

أنا محتارة.. أعمل إيه.

أنا مخبطة تماماً.. ولكنى أحب بيتى.. ولكن ليس بأى نعم.

نوسة



ببنى وبينك يا نوسة حكاية الشبشب دى منتشرة أوى في
البيوت المصرية.. وبالذات في بيوت المتربيين والمنقذين
والجامعيين.. والظاهر أنك ما عندكيش فكرة.

لا تظنى أننى أضحك.. ولكنى صدقنى الشبشب كعصا موسى
لها عندنا مآرب أخرى وهى أحياناً تنزل على رأس الزوج

وأحياناً على رأس الزوجة.. وأحياناً بالعدل والقسطاس على رأس
الاثنتين.. وهذا لا يدل أبداً على رخص الزوجات.. بقدر ما يدل
على غلاوة الشبشب.. وأنتى عارفة أسامى الدلع التى تطلق على
الشبشب.. عارفة شبشب «زتوبة» وشبشب «شادية» وهى
أسامى تدل على التدليل والغلاوة.. وصدقينى لا توجد علاقة
إطلاقاً بين الشبشب والمثل العليا وأصحاب المثل العليا قد
يتقاذفون بالشبشب في ساعة يتحكم فيها الشيطان بدون أن
يحدث أى شيء للمثل العليا أو القيم.

أنت مخطئة تماماً في الربط بين الشبشب والمبادئ.. طبعاً أنا
لا يمكن أن أدافع عن الضرب بالشبشب كأداة لإبداء الرأى في
الحياة الزوجية.. ولكن إذا حدث «وهو يحدث كثيراً في حياتنا»
فليس معناه أن المثل العليا انتهت والقيم انتهت والخير لم يعد له
وجود في الدنيا والحياة أصبحت فطران وجعيم.. والموت أحسن
إلى آخر هذه الانفعالات الرومانتيكية المبالغ فيها.. أبداً..
لا يجب أن يزيد تقدير المسألة عن كونها لحظة تهور واندفاع..
وشكراً لله الشبشب كان أقرب شيء إلى اليد.. فهو سلاح مأمون
طوى لا ضرر منه.. وهو لا يجرح الكرامة جراحاً قاتلة كما
تصورت فالمسألة مسألة تعود.. وقبلة على الخد بعد الشبشب..
وسينها سواريه آخر الليلة وحتة بسبوسة تاكلوها سوا في الشارع
وانتوا راجعين.. وحايبقى ضرب الحبيب زى أكل الزبيب..
مشكلة إذن مش مشكلة شبشب.. وإنما المشكلة في جفاف زوجك

وفي عنجهيته، وفي غرامه بالعنطرة والشخط والنظر، وفي شعوره بأن كلامه لا مراجعة فيه وأنه على حق مهما فعل.. فالدور عليك دائماً.. وهي عقلية رجال زمان.. عقلية غلط طبعاً ولكن للأسف ما زالت عقلية ٩٠٪ من رجالنا (السيد عبد الجواد في بين القصرين)..

وهو قطعاً يحبك ويموت فيك بدليل أنه يعطيك كل فلوته وعرقه وشقاه ويلبى أى طلب من مطالبك.. ولكنه «عقد» زى ما قلت لك.. وهو يتصرف بسلوكية موروثه عن الآباء والأجداد.

والحل الأمثل لتستقيم الحياة في البيوت ويتحقق أكبر قدر من الوفاق أن تتغير هذه العقلية.. ويسود الاحترام المتبادل كما تقولين ولكن إذا تعذر هذا.. وخصوصاً أنها مسألة طباع وثرية وعقلية ربما احتاجت إلى أكثر من جيل لتتطور.. أقول إنه إذا تعذر أن يتغير رجلك بين يوم وليلة وهو متعذر، فعليك أنت أن تكونى الطرف الذكى الذى يعرف كيف يتجنب الريح.. وكيف يلاين ويسايس.. خصوصاً وأن الحب وهو ما يهتك موجود وهو ملء قلب زوجك، ولكن المشكلة أنه لا يجيد التعبير عن حبه. كل ما يبقى إذن هى الشكليات.

فى بيتك الحب والزواج والأولاد.. ولكن فى ثوب خشن بدانى من الشكليات الموروثة.. المشكلة فى صميمها مشكلة ثانوية تحلها السياسة والكياسة والملاينة.

وإذا درست زوجك فسوف تستطيعين الوصول إلى قلبه وارضائه بسهولة.. بل بأتفه السبل.. امنحيه الشعور بالسيادة ولو بكلمة قاضية وسوف يطير من الفرح ويصبح أطوع لك من بناتك بل سوف يضرب نفسه بالشبشب ويقول لك أنا إلى استحق أخذ من ده.

والحياة فن.

والفن هو أن نجعل الشباشب فى خدمة المبادئ.

النوبة أحياناً وأنا في المدرسة.. وكانت تضيقني الآلام المبرحة فأظل أهرس ساقى وكأني أركب دراجة.. وأصبحت زميلاتي يعرفن عنى تلك العادة ويضحكن على.. وكنت اتعذب.. وكان عذابي يؤدي بي إلى الانطواء والعزلة.

صراع..

بعد تردد طويل وحيرة بالغة أكتب إليك.

أنا فتاة في الثانية والعشرين أو على الأصح سأبلغها بعد قليل عرفت القلق والعذاب وتأنيب الضمير منذ كنت في الخامسة أو السادسة لا أذكر.. وكان هذا عندما حاول طفل يكبرني حوالى ٥ سنوات أن يمارس معى لعبة الجنس.. وقتها كنت لا أخرج وحدى مطلقاً ولم يكن أبى يسمح لى باللعب فى الشارع فقد كنت ابنة الأسرة المدللة برغم وجود أطفال غيرى.. لكن الأقدار شاءت أن أنزل فى هذا اليوم لأشتري حلوى من أمام المنزل.. وحدث ما حدث فى مكان مظلم بفناء المنزل.. وأنا بالطبع لا أذكر التفاصيل ولكن ما أذكره أنى بكيت كثيراً وتمنيت لو استطعت إخبار أمى ولكنى كنت خائفة وبت أشعر أنى أصبحت أختلف عن كل الفتيات.

وجاءت المراهقة.. وجاءت معها بتوبات عصبية تتابى بين حين وآخر. يستخن جسمى وترتعش أطرافى وتتأبى آلام شديدة وأظل فى فراشى كالمحمومة حتى تنتهى النوبة.. وكانت تأتبنى

ولكنى ظلت أقاوم وأكافح.. وبمرور الوقت بدأت أسيطر على تلك التوبات وأتغلب عليها بالإرادة.

وحينما دخلت المدرسة الثانوية كنت قد تغلبت على هذا الداء وبدأت أتحرر.. وبدأت أخرج من شخصيتى المنطوية وأتحول إلى فتاة مريحة تحب الغناء والرقص وتقرأ كثيراً وتنجح باستمرار ويتفوق.. أذكر فى تلك الأيام أنى أحببت طالبة زميلة لى كانت ديمة وبها عاهة وكانت من الأوائل.. وتحول حبى بها إلى هيام وتعلق غير طبيعى كنت أخجل منه.. وبلغ من حبى لها أن حاولت الانتحار حينما رسيت فى مادة خوفاً من أن أبوء أمامها بليدة راسية وكانت تكره كل من يرسب ويتخلف.. وأيامها كنت أغرق عذابي فى الصلاة والتعبد وأقاوم عاطفتى الشاذة وأحارب ضعفى وانحرافى.

وانتهت الأزمة بسلام وانتصرت على نفسى بعد طول جهاد.. وانتقلت إلى السنة الثانية وابتعدت عن صاحبى ونسيتها.. بل إنى أصبحت أضحك على نفسى وعليها وعلى عواطفى البلهاء.. بعد هذا أذكر أنى بدأت أعجب بممثل مسرحى رأيته مرة واحدة

وكلمته وطبعاً كما حدث مع زميلتي أحسست أني أحب هذا الممثل
وأعبدته وما كادت السنة الدراسية تنتهي حتى نسيتته تماماً ولم أعد
أشعر بوجوده.

وبعد هذا بدأت قصة لي مع جار يسكن بمنزلنا.. كان طالباً من
بلد عربي ظل يطاردني بالخطابات والأشعار والتوسلات.. ثم
تعرف بالعائلة وبدأ يتردد علينا ليعطينا دروساً وتوثقت علاقتنا.
ثم خطبني.. وحدث بعد هذا أن ذهبت إلى كليته وسألت عنه
فاكتشفت أنه راسب بشناعة في جميع العلوم.. وأنه يرسب كل
سنة.. وأنه مرفود.. واكتشفت بعد هذا أنه كذاب محترف، وأنه
كذب علينا في كل شيء، وبدأت أشعر أنه سخيف ومدع وفقدت
كل عاطفة نحوه وفسخت الخطبة.. وفي هذا العام رسبت ومرضت
وأجريت لي عملية جراحية وانحدرت نفسي إلى حالة نعيمة من
السوء كنت أقف طويلاً أمام المرأة وألاحظ أن حجم صدرى
ضئيل برغم جسدى الممتلئ وأشعر أن الانوثة تنقصنى، وكنت
أختار أكبر أحجام السوتيانات لألبسها ولا أكتفى بهذا بل أضع
قطعا من القطن ليزداد حجم صدرى.. وطبعاً لم يكن أحد يلاحظ
هذا.. وكان كل من يرانى يقول عنى آخر أنوثة وآخر جمال..
ولكنى كنت أتعذب وأشعر أن الجميع يخدعون في جمالى.. وأنى
لا أساوى شيئاً.. وشمل الاضطراب حياتى.. لدرجة جعلتني
انحدر إلى حالة من الطيش والمحافة فأغازل أحد أقربائى.. وأنه
فاشل مسبب.. وأترك له نفسى يحتضنى ويقبلنى بدون رغبة

وبدون حب لمجرد التسلية وكمحاوله لإغراق همومى وآلامى..
وطبعاً كانت حكاية متفردة جداً لدرجة أثارت استغرابى
واحتقارى لنفسى.. ولدرجة أنى أقفت تماماً وعدت إلى صوابى
واعتصمت بالله وتبت واستغفرت ولم أعد إلى مثل هذا العمل.
وبعد ذلك دخلت الكلية بقلب كبير ونفس مثقلة وبدأت
أتردد على طبيب أعصاب قال لي علاجى فى النجاح.
وحاولت أن أغرق همومى فى الكتاب.. وأشغل نفسى
بالمذاكرة.

ثم التقيت به.. رجل غير كل من عرفتهم.. معتد بنفسه
لدرجة الغرور.. قوى الشخصية متفوق فى دراسته رزين ناضج
جذاب شائق الحديث.. كان يشجعنى على المذاكرة.. ويبت فى
نفسى التفاؤل.

وبدأت أحس بعاطفة من نوع جديد.. كنت أشعر بالراحة
وأنا معه.

وتمت علاقتنا وتحولت إلى حب عميق متبادل.

ثم حدث مصادفة أن عثر فى أجنده قديمة على سطور كنت قد
كتبتها لحبيبى الأول الذى كنت مخطوبة له.. وكانت سطوراً
نبض حياً وشاعرية.

وفجأة تحول العاشق الهادئ إلى رجل مجنون غيور يطاردنى
بالأسئلة وتحولت لقاءاتنا إلى محاكمات سخيفة لا تنتهى وفى كل

مرة يطلب مني أن أحلف ألف بين أني لم أحب أحداً كما أحبته.
وأن أحداً لم يقبلني وأن أحداً لم يمسك يدي.. إلخ.. إلخ..
وكنت أشعر بالإشفاق عليه.. وأعذره.. وأحاول أن أترضا..
وكان في نوبات جنونه يهجم على محاولاً أن يقبلني بعنف.. فأرده في
غلظة.. فيثور ويصفعني ثم يعود فيعتذر.. ويقول لي.. كيف يكون
هناك حب بدون قبيلات.. لا بد أني لا أحبه، وأنا أعترف بأن
مشاعري أصبحت متناقضة.. أشعر أحياناً أنه كل حياتي، وأحياناً
أخرى أشعر أني واهمة وأن ظروفى ومتاعبى النفسية هي التي
تجعلني أتعلق به لأشعر بالطمأنينة وأغالب الوحدة والشعور
بالنقص.

أحس في قرارة نفسي أنه لن يتزوجني حتى ولو كان يحبني،
لا أدري لماذا أحس بهذا.

أصبحت أكره نفسي وأكره حياتي.

حاولى الكتب لا استطيع أن أفتحها وقد نجحت في العام
الماضى بتقديرات لا بأس بها برغم كل الظروف.. ولكنى أريد
أن أنجح هذا العام نجاحاً مشرفاً.. أعيش في عذاب لا حدود له.
ماذا أفعل..؟

الحاترة م. أ.

القاهرة

* * *

رسالتك تدل على يقظة عقلية وفطنة نفسية وحساسية شديدة
وتو في الشخصية حدث عبر صراعات دامية وعقد وأزمات.
وأنت قد توصلت إلى مفاتيح مشكلتك.. فما بينك وبين
صاحبك ليس حباً.. وهو لن يتزوجك مهما بلغ به الوجد فهو ليس
أكثر من وحش جريح جرحه اكتشافه أنه كان الرجل الثانى في
حياتك، كل ما يسعى إليه هو أن يجرحك كما جرحته ثم يتركك..
كما أن ما تشعرين به ليس حباً إنما هو الوهم الذى تغالين به
ظروفك ومتاعبك النفسية بحثاً وراء الطمأنينة ومغالبة للوحدة
والشعور بالنقص كما قلت.. وهى الدوافع التى ألقت بك في سبيل
العلاقات التى تورطت فيها علاقة بعد أخرى.

وقد أن الأوان لشخصيتك أن تتكامل وتندمل جروحها
وندورها، وأن لك أن ترفضى هذه الوسائل المريضة. فأنت أقوى
ما تتصورين بكثير.. وحياتك كلها انتصارات على نفسك وعلى
ضعفك.

أ. اقطعى علاقتك بالرجل.. ولا تتورطى في أية علاقة أخرى.
واخلى السوتيان الكبير وألقى بقطع القطن.. وتذكرى أن
الصدر الصغير جميل يوحى بأنوثة مهذبة.. وأن الصدر الكبير على
العكس يجعل المرأة تبدو كالبقرة.

وعقيدتى أنك سوف تتغلين على ضعفك وسيكون لك في يوم
من الأيام شأن عظيم.

نهاية القطة والكتكوتة

كنا خمسة أولاد لأسرة فقيرة.. عائلتها رجل عامل يكسح بيده.
وبرغم ذلك فقد بذل ذلك الأب المكافح الطيب كل جهده
وربانا نحن الثلاثة الذكور في الجامعة حتى تخرج أكبرنا الطبيب..
والأخت الصغرى أدخلها المدرسة الثانوية والأخت الكبرى
زوجها.. وكانت نتيجة هذا الكفاح المر والتضحية المستمرة أن
مرض بأعصابه.. فأصبح يتهيج ويثور لأقل سبب.. ثم حاول أن
يجد العلاج في الخضوع لتصاريف الدنيا.. وزى ما ترسى دق لها..
فهذا على الأقل أفضل من الجنون.. وهكذا انتهى أمر قيادة
البيت إلى يد الأم الجاهلة.. وليس الأمر أمر الجهل وحده.. وإنما
هو جهل وسيطرة وسوء إدارة وسوء تقدير وسوء تربية..
وكانت ضحية هذه السلطة الجديدة الغبية هي البنت الصغرى
فقد احتضنتها الأم ودلتها.. كل ما تطلبه يحيا في الحال.. بنتي
الحلوة الكتكوتة.. القطة.. وهي قطة بالفعل وحلوة بالفعل وهذا
جعل الضرر مضاعفا.. كل يومها تقضيه أمام المرأة بسبب
شعرها وتستعرض نفسها بالفستان المحرق.. إيه القوام الغزلاقي

ده.. والتبني لأخليكى تجننى شيان الحنة كلهم.. ياترى فين الرجاله
ييجوا يتوفوا.. أقل من ألف جنيه مأخدش مهر فيكى
الحلاوة دى اتخلقت عشان العرييات والألماطات والفيلات
والخراير.. يا أرض احفظى ما عليكى.. حصوة فى عين اللى
ما بضيعش عمره عليكى.

والبنت عينها فتحت.. بقت تحش الحمام تغيب فيه بالساعة
والاثنين.. وتطلع من الحمام تتخايل.. وتقف قدام المراية وتقلع
وتحس على وسطها وصدرها.. وتتسمر فى الشباك.. وتتخطر فى
الرايحة والجاية.. وتغنى.. بلاش نبوسنى فى عنيه دى البوسة فى
العين تفرق ونقوم وننام على حب فى حب.. ومن سحر عيونك
يا.. (تنطقها ياح).. وهى تغمز وتلمز مثل صباح.. والأم تصفق
وتأخذها بالحضن.. وكتكوتى.. وقمورق.. ونحن الرجال نصرخ
احتجاجا على هذه الخلاعة.. والأم نصرخ فينا وتمسك الشبشب
لكل من يرفع صوته فى القطة الكتكوتة.. وأبونا تعبنا وضع
مرايعه فى السق وترك الدنيا للديان وأصبح رجلا محطما لا حول
له ولا قوة.. والمصروف أعطاء للمست والبيت تركه للمست تفعل
فيه ما تشاء.. والراجل معذور.. عمل اللى يقدر عليه واتهد حيله.

والمصروف يجرى من ايد الست لايد البنت.. واللبس
والوجاهة وزجاجات الكولونيا للبنت الكتكوتة.. والكتكوتة
ترجع من المدرسة ترمى الكتب على طول ذراعها وتتحزم
وترقص عشرة بلدى.. وتحت الشجر يا وهيبة.. ياما كلنا برتقال..

وترعش وسطها ولا كاريوكا في زمانها.. والأم تصفق على
الواحدة.. وأنا حتجنن لكن حاعمل إيه.. حاضريها ولا حاضرب
أمى.. ولا حاضرب نفسى بالرصاص.
وبعدين الحكاية زادت.

والبنت اللى كانت بترجع في مواعيد المدرسة بقت ترجع
متأخرة بالساعة واللاتنين.. وكنت فين يا بنت.. وتطلع الأم تبجع
فيينا. وأنت مالك يا ولد.. انجر خش جوه شوف شغلك ذاكر لك
كلمتين بدل ما تعمل راجل علينا.. طيب حاضرينا.

والحكاية كل يوم بتزيد.. والبنت ابنتت تمسى مع الولاد
الصايعين في الحقة.. كل يوم أشوفها مع واحد.. وأجى اتكلم نطلع
الأم تكذبني وتدافع وتقاوح.. وأخبت ما في الأمر أنى كنت أسهر
أن هذه الأم تجد لذة داخلية كلما شعرت أن ابنتها سحرت رجلاً..
وأنها أصبحت معشوقة الكل، وكأنها هى التى تتلقى الإعجاب
لا ابنتها.. (أمى بهذه المناسبة دميعة لم يقل لها أحد كلمة إعجاب
في حياتها ولم يكن لها ضحية غير أبى الغلبان وعيلتنا المنكوبة).
وكنت أتصور أحياناً أنها لو كان باستطاعتها للجلبت لابنتها
الرجال.. وجلست تتصنت إلى ما يدور بينها وبينهم من وراء
الجدران.

كان ما يجرى أمامى شيئاً فظيئاً.. كنت أمام أم مريضة وأب
انتهى.. وبنت سايية، وكان أوان العلاج قد فات.

كنت وقتئذ بالبكالوريوس بإحدى كليات جامعة القاهرة..
عقلى مشئت بين المذاكرة ومراقبة البنت.. والبنت كانت أيامها
بلغت الثانوية العامة، وبقت طول بعرض بصدر، والسمعة قدامها
ووراءها، والعربيات بتركن جنب باب المدرسة.. وتوصلها للبيت
مرة ضابط، ومرة كويتي، ومرة ولد مسيبس وارث.. مظاهر النعمة
بدأت تبان.. قرايز بارفان القزازه بعشرة جنيه.. بلوزات مكتوب
عليها ماركات من باريس.. وأطقم داخلية: كلسونات
وسوتبانات، فضيحة.. بتلبسهم لمين.. وجابتهم متين.. وشنا بقى
لون الهباب قدام الناس.

والظاهر أن كل هذه الحركات لم تكف القطعة الكتكوتة..
فبدأت في مصيبة جديدة.. كانت تنتظر حتى ننام كلنا، وتتسلل
خارجة، وكان لها في هذه الأثناء صديق سعودى.. وصديق أردنى..
وصديق كويتى.. تصور.

ثم بدأت ألاحظ جلسات سرية طويلة بين البنت والأم تدور
فيها الوسوسة.. وكانت البنت تبدو لى شاحبة متغيرة مرتبكة.. ثم
فهمنا أن الأم تدبر خطة سريعة لتزوج ابنتها أى جوازة والسلام،
وأن اختيارها وقع على شاب غلبان خجول وطيب.

وتقدم الغلبان وتمت الجوازة.

وحدث ربنا.

وأشهد أنها أخلصت لزوجها مدة عام ثم بدأت تعود إلى

نشاطها.. صديقها السعوى كان قد توفى فى حادثه.. فبدأت تمسى مع أبيه.. تصور.. راجل فى سن جدها.. ورجل آخر من دين غير دينها تسافر له الاسكندرية كل أسبوع بحجة أنها ذاهبة لأخيها ثم تهبت طبعاً عنده.. وثالث يدعو زوجها إلى الاوبرج وعمر الخيام وصحارى سنى كل ليلة ليسهر معها طبعاً لا معه.. وغيره وغيره.. وكلهم يشتركون فى صفة واحدة.. أنهم أغنياء عندهم فلوس وعربيات.. ليس الحب ما تجرى خلفه.. ولكن المتع الترفيحية.. الفسح والرقص والعربيات والسهرات والفساتين.. وأعجب ما فى الأمر حينما تأتى سيرة هذه العلاقات الحفيرة أمام الأم، أشعر أنها تقرض أسنانها من اللذة.. وكأنها تغيظنا ونكاد نقول.. شايفين بنتى.. الرجالة بينكفوا وراها ازاي، ونلعب عينها وكأن الحيوان داخلها يشفى جوعه ونهمه إلى شىء خبيث.

أما موقف بقية العائلة.. الأخت الكبرى المتزوجة تعيش لأولادها وبيتها وتبتعد بنفسها عن هذه المشاكل.. والأخ الأكبر الطبيب أصبح سلبى التفكير بعد أن تزوج.. لا يحاول أن يتدخل فى شىء.. وتقلصت علاقته بنا إلى مجرد المجاملات والسلامات والترحيب الزائف.. الأخ الثانى يعيش فى حيرة وألم وغرق، وقد ابتعد عنا أخيراً فى محاولة للهروب.. أبى فقد القدرة على أن يسوس نفسه وانهار تماماً.

أنا وقد تخرجت الآن وتوظفت أعيش أشلاء حياة.. احتقر

نفسى.. واحتقر لأمى.. واحتقر أختى.. واحتقر الدنيا كلها.. لا أعرف كيف أتصرف..

كيف أردع هذه الأخت الضالة وأعيدنها إلى صوابها.. كيف أنقذ ما تبقى من الحياء؟
ماذا تنصحنى؟

ج. محمد

* * *

لقد فات وقت الردع.. ولم يتبق هناك حياء لننقذه.. وانتقل واجب التأديب من يديك.. لتقوم به الدنيا بنفسها.. الدنيا هى التى سوف تعطى لأختك الدرس.. وسيكون درساً مريراً قاسياً، وسيكون مقنعاً أكثر من أى نصيحة تفكر فيها.. إن خيوط المأساة قد تعقدت.. ولم يعد هناك مجال لإصلاح، ويبدو أنها تسير بسرعة إلى نهايتها.

إن أختك لم تشعر أبداً أن الاحترام والكرامة والعفة والشرف يمكن أن تكون لها قيمة مادية.. ولكن فى الحقيقة هى فى النهاية تثبت دائماً أنها ذات قيمة مادية أبقي من العربيات والألماظات.. إن المقامر قد يكسب فى لحظة واحدة ما أكسبه أنا وأنت فى كل عمرنا، ولكنه سوف يخسره فى اللعبة التالية وفى اللعبة الثالثة سوف يقترض ليلعب.. وفى اللعبة السادسة سوف يطلق على نفسه الرصاص أو يدخل السجن.

أما أنت فتكسب قليلاً كل يوم.. ولكن هذا القليل يعين
ويتراكم وتكسب معه أصدقاء وإخواناً.. وتكسب معه الثقة
والتقدير وحسن السمعة.. وفي النهاية تصنع من كل هذا تجارك
المادى وثروتك التى تشتري بها عربة.. وهى عربة حلال.
إن الأخلاق لها قيمة مادية بالفعل.. قيمة مؤجلة لكنها أكيدة.
أما الكسب الرخيص فإنه يأتى ومعه وسائل إنفاقه.. ويأتى ومعه
وسائل القضاء عليه.. أخذك لا تفهم هذا.. ولكنها سوف تفهم
قريباً.

أما أنت.. فنصيحتي لك أن تنقذ نفسك.. لا أخذك.. انس
الموضوع.. وإذا كانت إقامتك فى البيت تجعلك مطاردًا
بالاشاعات، فانرك البيت واستقل بحياتك، على أن نظل على
اتصال دائم وتعاطف ودود مع أبينا فى شيخوخته.. فأنت ضحية
أخذك.. ولكن أبناك ضحية الكل.. ضحية ثفانيه فى تربيتك أنت
أيضاً.

تذكر أن كلاً منا يحمل طائرته فى عنقه.

مؤسسة البهايم المتحدة

سنى ٢٢ سنة، عامل أحمل مؤهلاً صناعياً متوسطاً واشتغل فى
إحدى الشركات بأجر شهرى ١٦ جنيهاً.

حياتى تتلخص فى عمل متواصل يبدأ فى الصباح حتى المساء.
باستثناء ساعة التوقف فيها أنفاسى وابتلع ساندويتش فول، ثم
أعاود العمل حتى آخر الوردية.. ومن الشركة إلى البيت إلى
المقهى حيث ألبس الرد على أقاصيص الحب والمغامرات التى
يحكيها زملاء الحى.. حتى منتصف الليل، فأذهب إلى فراشى..
ويكون آخر ما يدور فى خيالى قبل النوم صور شباب الحى، كل
واحد فى أحضانه واحدة.. وأنا أقلب على فراش مهجور على حجر
الحرمان بلا حب.. بلا أمل.. لا أعرف للمتعة طعماً ولا أسمع
عن اللذة إلا فى الروايات.

كان لا بد أن فكر فى الزواج وأن أتطلع إلى الزواج، وبالموارد
الضئيلة التى أحصل عليها لم يكن هناك أمل إلا إذا تفضل على
واحد من أهل الخير فى العيلة ودفع المهر.

اتجهت إلى أبى فرفض.. وخالى رفض.. وكل واحد اتجهت

إليه تجهيم في وجهي أو ضحك وصرفني ساخرًا.. حتى الواحدة التي فكرت أن أخطبها.. وكانت طالبة في سنة أولى تجارة ناتوية رفضت.. وقالت إنها لن تتزوج إلا بعد أن تتم دراستها.

وضاقت الدنيا أمام وجهي وقررت أن أترك الأهل والبيت وأبتعد عن الحى كله وأسكن وحدي.

واخترت مسكنًا قريبًا من عملي في حي الإبراهيمية.. وهو بيت تملكه أرملة في الخامسة والأربعين.

ولم أحاول أن أختلط بالوسط الجديد الذي انتقلت إليه.. وه أكن التقى بالمرأة صاحبة البيت إلا يوم أول الشهر لأعطيها الإيجار.. ولكنها كانت البادئة في مبادرتي بالكلام.. وكانت تعرض خدماتها في كل مناسبة.. وكانت تأخذ مني المفتاح لتنظيف الشقة.. وحيثما كان يفرغ ما عندي من جاز وسكر وشاي كانت تقدي بكل ما أحسنه من عندها وترفض أن تأخذ مليمًا.. وكانت أحيانًا تدخل المطبخ لتعد لي غدائي وأحيانًا تدخل الحمام فتجد قطعة من ثيابي فتسرع في غسلها.. ويتواجدنا معًا في الحمام مع رفع الكلفة والألفة كانت تغازلني بالغمزة واللمزة وبالكلمة التي لها معنيان.

وتحالف عليّ الخلوة وسنوات الحرمان والمراهقة.. وصورتها لي كأجل امرأة في الدنيا.

وما لبثت أن أصبحت عبيدا وطوع بناتها ورهن. إشارتها.

أحببتها بجنون.. وكنت أدللها كأنها طفلي.. هي العجوز الدمية بنت الـ ٤٥ خريفًا.. وغرقت في عشقها لأذني.

ولأول مرة كنت أصحو في الساعة الثانية عشرة ظهرًا لأجد نفسي بين ذراعيها.. وطبعًا أصحو من النوم أنام تاني على رأى المثل.

وبدأت أتغيب من عملي.

وتعددت مرات غيابي.. وأندرت مرتين بالفصل.

وصارحتنا بالحكاية.. وقلت لها كفاية بقي.. ابعدى عني خليتي أكل عيش، ولكنها قالت لي وهي تضحك.. ولا يهلك.. إيه الشغل بناعك ده اللي فالقني بيه.. سيبك منه.. أنا عندي فلوس كتير، انجورني وأنا اشغلك وكيلي في جمع إيراد الثلاث بيوت التي أملكها بمرتب يوازي مرتبك في المصنع أربع مرات وزيادة.. ومن يومها بدأت أفكر.

ولكن كيف أفكر.. وهي لا تترك لي عقلًا أفكر به.

والعرض مغر بيني وبينك.. والمنصب الجديد مش بطل.. والحمد لله على المؤهلات.. صحيح هي بالنسبة لي عجوز كركوب.. لكن هذه الحكاية أصبحت بحكم التعود لا ألحظها.. لا حينما يذكرني بها الغرباء الذين يلاحظون علاقتنا.

وأحيانًا أشعر بالخيرة من أمر نفسي.. كيف أبيع نفسي لمثل هذه العلاقة الحيوانية.. ولكني ضعيف.. جدًا.

وطبعًا لا أحد يكره الراحة.. والكسل أحلى من العمل..
وتصور عامل ينتشغل بـ ١٦ جنيه لم يعرف الحب ولا الخنان. ولم
يذق متعة ولا أمل له في الزواج بمرتبه الكحيان.. وكيف يمكن أن
يعول أسرة في الظروف الحالية ستة عشر جنيهًا في الشهر يبقى
إيه لازمة البطر.

وكيف أرفس نعمة جاءت تسعى إلى باب بيتي..
وهي عجوز دميعة. ولكن في سواد الليل يستوى الجمال
والدمامة وتشابه كل نساء الأرض.
أنا تعبت من التفكير.. ربحني وقول لي، أتجوزها.. أو
ما أتجوزهاش.. عاوز كلام اقتنع به.. مش مواعظ.

عبد الحميد



لو أنك ذكرت لي في سطر واحد كلمة أن هناك ما جذبك في
هذه المرأة لأغير المسألة الحيوانية.. كلمة واحدة عن جاذبية
شخصيتها أو روحها أو أخلاقها أو عقلها؟

في أحسن العائلات يتزوج ابن العشرين بنت الأربعين أو
العكس ويحفظ لنا التاريخ حالات تفاوت فيها السن بين الزوجين
تفاوتًا كبيرًا ونجح الزواج.. ولكن دائمًا كان هناك شيء غير
العلاقة الحيوانية هو الذي جعل الزواج رباطًا باقيًا ناجحًا.
ولكنك لم تذكر لي خلة واحدة أحببتها في صاحبك غير

الحيوان الذي فيها.. وقد تعارفتما في الحمام.. والمؤهلات التي
ستوظفك على أساسها وهي مؤهلات مخجلة جدًا يشترك معك
فيها الخمار بل ويتفوق عليك.

وأول ما يفتر في الزواج دائمًا هو العلاقة الحيوانية لأنها تصبح
ميرة جدًا ومتكررة مما يؤدي إلى الشيع ثم الملل ثم الفشل التام
في الزواج، إذا لم يكن في الاثنين ما يحب سوى هذه الحكاية لأنها
تصبح حكاية انتهت.

وأنت كلامك عن صاحبك أنها الكركوبة العجوز الدميعة
بنت الـ ٤٥ خريفًا.. فهي إذن شيء كريه.. لولا ظروف حرمانك
ومرافقتك.. لما نظرت إليها.

إن المسألة واضحة ولا تحتاج إلى تفكير.

إن العلاقة بينكما أدت دورها وانتهت.. وتفكيرك في الزواج
لا يتحدث بإغراء من أنوثتها.. ولكن بإغراء فلوسها.. ليس
عرض العمل.. ولكن عرض البطالة التي تعرضه عليك.. وإغراء
الصباغة والتعطل والتكسب من عرقها ومن بيوتها.. وهو الذي
يزغل عينك.

وهو عرض غير مضمون.. فقد ترفدك من هذه الوكالة إذا
وجدت حمارًا غيرك يقوم بالوظيفة، وهي لا بد واجدة.. فما أكثر
الذين يسارعون إلى الكسل الذي هو أحلى من العمل.

والمنصب لن يكون مريحًا بالدرجة التي تتصورها.. قد يكون

مريحاً من الناحية المادية.. ولكن سوف يكون متعباً من الناحية النفسية.

إحساسك بأن هناك امرأة اشتراك. إنك تعيش على ما لها وعرقها.. وإنك لا تملك سريرك الذي تنام عليه ولا كرسيك الذي تقعد عليه، ولا تملك شيئاً في بيتك إلا صرة هدومك.

كل شيء ملك الست.

والست هي المدير وأنت الفراش.

حائض.. صدقي.. وإيه النهاية.. إيه الضمان في الوظيفة..

وأنت تعيش من غير إرادة ومن غير إرادة.. لا بلس راجل بس

ثم لا ضمان إلا مزاج الست ورضاها.. يوم حائض هذك حائض في نفسك في الشارع ووراك صرة هدومك.

وامرأة جاوزت سن اليأس لن يكون لها أطفال.. حائض

بوزك في بوزها.

ساعتها حائضتكر أيام الشركة وحائضت أنها كانت جنة.. وأن

حياتك بعرق جبينك أجمل وألذ من حياتك في مؤسسة البهائم

المتحدة التي ربطت نفسك فيها زى الطور.

ده رأيي.. وأنت حر.

ليلة الزفاف

أنا شاب سني ٢٥ سنة من أسرة ريفية أسكن في مدينة هرية من بلدتي حيث أعمل في إحدى المصالح الحكومية.. شغفت في صباي بالرياضة ومارستها وحقت فيها بطولات عدة.

كثيراً ما تحدثت مع بعض أصدقائي حول الزواج ومشاكله وما يلاقيه الرجل فيه خاصة الليلة الأولى حيث يعجز الكثيرون عن القيام بها وكانت هذه الأحاديث أثرها في حياتي وتفكيري، فكنيت أبعد عن التفكير في الزواج خشية الفضل الذي ألاقه في ليلة الزفاف.

وظلت أمتي تلح علي وتزير لي الزواج من ابنة خالي، والواقع أني كنت أحب ابنة خالي وأتمنى الزواج ثم أعوذ فأتهيب الليلة الأولى في نفسي.. وأكره الزواج وسيرته.

ولكن الحياة وسنتها أقوى منا ومن تهيبنا كما تعلم.. والبنت ستوت.. وبقت قمر ليلة اربعناشر.. وأصبحت عيونها تتكلم.. ونغة العيون أقوى من لغة الوسواس.

وهكذا حدث المحظور.. ووافقت.. ولا أعرف كيف وافقت
ولكنه النصيب.

وظللت أعيش في رعب منذ قرأنا الفاتحة.. وأحلم كل ليلة
حلمًا واحدًا لا يتغير.. إن الباب يغلق على أنا وزوجتي في الليلة
الرهيبة.. وأن رجولتي تخذلني.. وأن وجهي يصبح في سواد
الهاب.. وظللت أسوف في كتب الكتاب.. وأوجل فيه ما أستطيع
وانتحل المعاذير.

ولكن المعاذير كانت إلى نهاية..
ولم أجد ما أقوله.. وتم كتب الكتاب.

وجاءت ليلة الامتحان.

ومهما أوتيت من قوة الوصف فلن أستطيع أن أصف لك
عذابي.. والأهوال التي عشت فيها.
كانت رؤية منظر العروس وقد أعدوها لي يخلخ مفاصل
ويشيع الرهبة في كيافي.

سؤال واحد ظل يلح علي.

ماذا سأفعل إذا فشلت.

ماذا سأقول؟

وكيف أتصرف.

هل أنتحر، أم أموت خجلًا.. أم أذوب من إحساسي بالهوان.

وصف لي أحدهم وصفة بلدية، حبوبًا ومرهمًا.. وشرابًا فيه
بعض أعشاب مقوية.

ابتلعت الحبوب.. وجرعت الشراب وكان مرًا كالعقم.. لبست
حجابًا قال لي أحد المشايخ انه موصوف للحالة التي أخشى منها..
وقال إن فيه كلامًا مبروكًا يجلب الوفاق والمحبة ويمنع الربط.
كنت أرنجف رنجفًا.

ولو وصفوا لي بتر ذراعي لتواتبني القدرة لبرتها راضيًا..
ولفرط خوفي.. كانت لحظة اللقاء الحاسمة شيئًا كاهول
بالنسبة لي.

وكانت عروسي في زفافها جميلة كالبدرة.. وكان جماها عذابًا
زادني ارتباكًا على ارتباك.. وكانت نظراتها الحلوة تنزل كالكراباج
على وجهي.. فأنكس بصرى إلى الأرض ولا أقوى على رفعه إلى
وجهها.

ومرت الليلة كأسوأ ما تكون الليالي السوداء المشثومة..
وانهرت إلى جوارها في خذلان أسبح في عرقى وأخفى وجهي في
الجدار.

وصمعت منذ تلك الليلة ألا أكرر المحاولة.

ولألتمس لنفسى المعاذير أمام الناس.. طلبت من رئيسى في
الوظيفة نقلى لوردية الليل حتى أتجنب هذا الموقف وأقضى الليل
بعيدًا عن البلاء وأسبابه.

ومرت أيام قليلة بالنسبة لى دهوراً وأجيالاً وقروناً من القلق
واليبأس والألم والتدم والحسرة والحيرة أمام المستقبل وما يخفيه..
وأشد ما كان يؤلمنى هو معرفتى ويقينى بأفنى طبيعى.. وأن الخوف
والارتباك هما الجانبان الحقيقى والسبب الخفى للأسنى.
وفوجئت بعد الأيام القليلة بأسمى تفاتحنى فى الموضوع.
إذن فقد صارحتها زوجتى بالحقيقة.

وبعد قليل لا بد أن ينتشر الكلام وتتسع دائرة الفضيحة ويعدو
الجميع وأصبح مهزلة.

وشعرت أنى أموت من الهم والكمد.. ولكنى غاليت نفسى
وطمأنت أسمى بأنى سوف أحقق لها رغبتها.

وفاتحت صديقاً عزيزاً فى مصيبتى فنجعتنى وأكد لى أنه مر بهذه
المرحلة وأنه الآن سعيد وموفق مع زوجته وله طفلان فنجعت
وعاودت المحاولة وأنا فى قرارة نفسى فزغ بانس أفاسى انوبلى.
وطبعاً فشلت مرة أخرى.. وأخرى.

وعشت فى تفكير أسود.. أنتقل من كابوس إلى كابوس..
المخرج الوحيد الباقى هو أن انتحر واستريح.

الموت هو راحتى.

وحدثت فى هذه الاثناء المفاجأة التى نزلت على كائنصعقة.
قالت لى زوجتى ذات صباح أنها حامل..

حامل؟؟!

وممن.

وتظاهرت بالفرح الأبله.. والشك يشتعل فى أحشائى..
وعينائى تلتفتان فى كل وجه دخل أو خرج من البيت.
كل رجل زارنا أصبح فى نظرى هو النذل الخائن الذى فعلها.
وكل بعيد أو قريب تردد علينا أصبح هو الأب الحقيقى لهذا
الجنين غير الشرعى.

وهو لا شك يعرف ذلك وينظر إلى فى سخرية.

وتغيرت معاملتى لزوجتى فأصبحت أثور فى وجهها لأتفه
الأسباب وأتمنى لو أقوم من نومى فأجدها ميتة.. وأضربها وأتمنى
أن تجهض ما فى أحشائها.

وطبعاً لم أصارح زوجتى بشكوكى. ولم أصارح أحداً سواك
لأنى أردت أن أضع الحقيقة كلها أمامك.

والآن ما رأيك.. هل أنتحر.. أم أطلقها وأخلص نفسى
وأخلصها.

وهل أنا مريض بالوهم.. أم مجنون.. أم مخدوع؟

«....»

ولأ: أحب أن أطمئنك بأن الجنين الذى تفكر فى قتله
واجهاضه هو ابن سرعى.. وأنه منك.. وأنت أبود.. وأن الحمل

يمكن أن يحدث من الخارج.. وأن هذه الحادثة لها سوابق طبية كثيرة.

وأن مشكلتك هي أصلاً مشكلتك مع نفسك.
وأنك أخطأت التصرف من البداية.

ومن العيوب الشائعة في بلدنا.. التقليد المتعارف عليه بتحديد ليلة الدخلة، وهذا يجعل منها ليلة امتحان ينتظر نتيجتها جميع الأطراف ويؤدي إلى توترات نفسية شديدة عند العروسين.. وهي توترات قد تؤدي إلى الفشل بالرغم من القدرة الطبيعية عند الزواج.

وما يحدث هو نتيجة الخوف عادة كما يهرب دم التلميذ وهرب الأجوبة من دماغه ساعة جلوسه أمام ورقة الأجوبة في اللحظة الفاصلة.

وعلاج هذه المضاعفات السيئة يكون بالإقلاع عن تقاليد ليلة الدخلة.. واعتبارها ليلة غير محددة الميعاد.. فبعد كتب الكتاب تصبح الزوجة من حق الزوج على أن تكون المعاشرة الزوجية رهناً بظروفها.. وهذا يخالط الزوج زوجته بدون مشروع سابق ونية سابقة عند الزوجة أو الزوج بعمل شيء.. وهذا يزول الخوف بزوال الترقب والانتظار.. ويعتبر الاثنان الليالي الأولى مجرد محاولات لرفع الكلفة.. وهي محاولات سوف تتسم بطبيعتها

بالبراءة.. وتكون الوسيلة التدريجية لتهيئة الجو في النهاية بروح من الود الكافي.

أما تقاليد ليلة الدخلة.. وانتظار الأقارب المندبل الملوث بدم البكارة على الباب.. وتوتر أعصاب الزوج.. ورعب الزوجة، فإن كل هذا ينتهي إلى حالة من الوحشية والقسوة هي أشبه بالاغتصاب منها بالتراضي.. وهذا يؤدي بدوره إلى تعقد الزوجة طول حياتها من العلاقات الزوجية.

كل هذا الكلام خاص بما يجب أن يكون وبما يجب أن يحدث.
أما في مشكلتك وبعد أن حدث ما حدث.. فاعتقادي أنك بإمكانك أن تنجح في أن تكون زوجاً موفقاً.. هذا بشرط أن تطرح من ذهنك حكاية الحمل غير الشرعي والخيانة المزعومة.. وتنصرف كابن ناس، وتعالج خوفك بمعرفة طبيب نفسي.
وبعد هذا تبدأ حياتك الزوجية من (أ، ب) الصداقة إلى الحب إلى العلاقة الكاملة في تدرج طبيعي خال من التعجل والتوتر والعصبية.

صحوت ذات ليلة على صراخ الأطفال.. وتفقدت أمهم فلم أجدها.. سألت نفسي: أين يمكن أن تكون قد ذهبت في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ولم أجد جواباً.

جلست مع الأطفال ألاعبهم بالرغم من تعبى ومرضى حتى بلغت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، حينها سمعت صوت عربة تقف أمام الباب وصوت رجل يقول.. باى باى.. مع السلامة يا شيرى، والباب يفتح وتدخل الهانم تترنح وتغنى ورائحة الخمر تفوح منها.

سألتها: كنت أين يا هانم؟

ردت علىّ فى تبجح: إنت مالك.. إنت جاي هنا شاويش علىّ. مش محمد ربنا إني مستحملك ع البلاوى إالى عندك. نظراً للبلاوى إالى عندى سكت.

ولكن الفضائح تكررت.

كل ليلة تخرج الهانم بالليل لتعود فى الفجر، وتوصلها كاديلاك.. أو شيفروليه.. أو فيات ١١٠٠ حسب التساهيل. وفى كل مرة تدخل فى زفة من الضحكات المخمورة.. فإذا فتحت قمى لعنت أجدادى.. وأنت جاي هنا عشان تحبس دمي. أنا حرة.. خد الملايم بتوعك واتفضل. أنت كل ليلة حاتفتح لى محضر.. أنت كل ليلة حاتقعد لى زى قرد قطع.. أنا مش عاوزة تكدر.. إالى مش عاجبه عيشتنا يورينا عرض أكتافه.

باى باى يا شيرى

سنى ٦٣ عاماً.. بلغت سن المعاش منذ سنوات وتوفيت زوجتى وتناوبت على العلل والأمراض من سكر إلى ضغط دم إلى تصلب شرايين.. هذا بالإضافة إلى وحدة وشيخوخة وبطالة. شعرت بالعزلة والغربة وتعاسة السن.

اقترحت ابنتى أن أعيش معها.. وشجعنى على هذا الاقتراح أنها تسكن بمفردها وأن زوجها يعمل أغلب شهور السنة فى الخارج.

رحبت بى وأكرمتنى فوق ما كنت أتصور.. لكن سرعان ما ظهر لى سبب هذا الإكرام.. فإذا به إكرام مثل إكرامنا للبفر.. نطعمه لناخذ منه اللبن والزبد.. كانت تقلد المرحومة أمها تماماً فتأخذ المعاش أول الشهر فى نظير اللقيمات التى تقدمها إالى.. أما ما أحجاجة من دخان وشاى وقهوة فهى كماليات لا لزوم لها ويحسن أن أكف عنها.. وإذا كان عاجبك.

عجبني.. وصبرت عسى أن يأتى الفرج. وأخيراً جاء الفرج.. وباليته ما جاء.

وأخيراً حدثت الكارثة.

ظهرت عليها أعراض الحمل.

ماذا تقول لزوجها.. وقد سافر من شهر.

كنت أقلق طول الليل لا يأتيني نوم بسبب فضيحتها.. وكانت تنام في الغرفة بجوارى لا يهملها شيء.. وفي الصباح أراها بوجهها الصفيق تقول لي إنها سوف تنجب ثلاثة أيام وأن علي أن أوعي الأطفال حتى تتخلص من هذه الداهية.. وتشير إلى بطنها.

أشرفت على الموت بسبب الإجهاض.. وكان يخجل إلى وهي في محنتها أنها تابت إلى الله.. وأنها عاهدته ألا ترجع إلى سيرتها.. ولكنها ما كادت تتماثل للشفاء حتى عادت إلى سالف نهجها وصفافقتها واستهتارها.. وسهرها كل ليلة.. وعودتها مخمورة تترنج.

وأنا أعيش الآن في حيرة وتعاسة لا حد لها.

ماذا يكون موقفى من الزوج إذا عرف مصائبها.. بأى وجه أنظر إليه.. علماً بأنه يعرف عني أنى مستقيم متدين أقيم الفرض فرضه.. يشمت تماماً ونفدت جميع حيل.

لم ينفع معها توجيه ولا نصيح ولا إرشاد ولا تهديد.

أخشى أن أخبر زوجها فيطلقها ويشرد الأولاد.. وما ذنبهم.

وطبعاً لو طلقت فسوف تتمادى في سيرها.. وبهذا تنعكس الآية.. فأفسدها من حيث أريد أن أصلحها.

كمال أنسى

واضح أنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً.

لقد فات الوقت الذى كنت تستطيع فيه أن تفعل شيئاً.. كان هذا ممكناً وهي طفلة.. أن تنشئها على الإحساس بالكرامة وتربيتها على احترام جسدها.

ولكن الآن.. لا وهذه نتيجة تربيته.

وبعد أن أصبحت أما وربة بيت وزوجة.. لها رجل مسئول عنها.. انتهى دورك.

الحل الوحيد أن تترك البيت وتقيم وحدك.. ولا شك أن السكر والضغط وتصلب الشرايين أرحم من منظر الهائم وهي تنزل كل يوم من عربة.. وبأى باى.. يا شيرى.. مع السلامة.

إلى آخر المنظر إلى ينقط.

وإذا شعرت في وحدتك بالحزن.. فهذا أضعف الإيمان.. فيجب أن تحزن، فهي صنع يديك في النهاية.

ومن العدالة أن تتعذب وتحزن ما دامت صناعة يديك بهذا السوء.

وهكذا فسخت الخطبة وانتهى عهدي بالحب والسعادة لأكون
بعد ذلك زوجة لأول من تقدم لى.

رجل فاسد الأخلاق ربما بسبب البيئة التى يحتك بها فى عمله
«لكن وأنا مالى».

بخيل «جلدة» يتشاجر معى لكى نسير مسافة لا تقل عن
خمس كيلو مترات ليوفر تذكرتين أوتوبيس «ويحدث هذا فى أيام
الخطبة وشهر العسل».

أسلوبه فى الكلام مكشوف وجارح وغير مهذب.. وردوده
جافة.

ولولا الطفلان الملاكين البريثان اللذان أنجبتهما منه
لما تحملت الحياة معه ساعة واحدة. حاولت إصلاحه وأحفظته
بالرعاية والحنان والاهتمام ولكنه كان يصدنى وكأنى ارتكب جريمة
ضده.

ولما أعطانى الله طفلى الأول وجدت كل طاقى من الحب
والحنان تتحول لا شعورياً من الأب إلى ابنه.

وكنيت أعجب كيف لا يحرك الطفل قلبه وعاطفته.. أهو
متحجر العاطفة إلى هذا الحد.. هل تزوجت صنماً؟!

وأخر المصائب منذ سنتين.. خائنى مع إحدى الجارات ثم مع
أقارب.. وخادمت.. وفى أماكن عامة.. تصورا!

وحجته فى ذلك.. أنى أهله وأنشغل عنه.

خيانة مزدوجة

أنا شابة متزوجة من عشر سنوات.. جميلة بدون غرور..
وجمالي جايلى الكافية زى ما بيقولوا، وسوف تعرف التفاصيل
فيما بعد.. المهم دعنى أقدم لك صورة تساعدك على فهمى عشان
تقوللى كلمتين أحطهم حلقة فى ودانى.

تصور مثلاً أن من تكلمك بهذه اللهجة الاستفزازية وبهذه
اللغة العربية السكلانس هى خريجة مدارس الراهبات.. ومنقفة
ثقافة رفيعة.. تسمع الموسيقى.. وتتقن اللغات.. وتهوى الرسم ولها
لوحات يقول عنها البعض إن فيها فن.

نهايته، أختصر وأقول إنه كانت لى قصة حب قصيرة.. وإن
حبيبى تقدم لخطبتى.. ولكن خطبتنا ما لبثت أن فشلت بسبب
مرض خطيبى بأعصابه.

وقد كنت متمسكة به لآخر لحظة، لكن أهلى ضغطوا علىّ
لأتركه وظلوا يطاردوننى بكلامهم.. كيف تعيشين حياتك مع
مجنون.. إنه قد يشفى ولكن سوف يعاوده جنونه.. قد يخنقك
وأنت فى الفراش.. قد ينتحر ويخلف مأساة.. قد يترك فى رقبتك
أطفالاً معاتيه مثله.

انشغل عنه بأولاده وأبيته.. هل هي جريمة؟؟

ويبدو أن ما تعلمت من واجبات الأمومة كان شيئاً غير معترف به في قاموسه.. فالزوجة رفيقة فراش أولاً، قبل أن تكون أمًا، وست بيت.

وصبرت.. وصبرت.. واشتكى منى صبرى.. ثم يشمت ثم بدأت أفعل مثله.

سوف تقول امرأة بلا مبادئ.. أعرف ما يطوف بذهنك.. ولكنك لم تجرب أن تكون امرأة وتعيش مع رجل لا يحتمل. كان لابد أن أفعل أى شيء.. لاحتمل حياتي.

إنى غير مقتنعة بما أفعل ولكنى أموت من اليأس.. أنا فى عداد المنتحرين. وحياة البيت تحولت إلى إهانة وضرب وسب وفضائح أمام الناس.

ومثقفى الوحيد هو تلك العاطفة التى بدأت تنمو بينى وبين مدرس اللغة الفرنسية الذى يدرس لأولادى.

وهى علاقة لعلمك ما زالت بريئة.. ولكنى لا أخفى عليك ما يطوف بعقلي.. فقد أصبحت لا أعبأ بشيء وكل الكلمات الطنانة كالأخلاق والشرف أصبحت غير ذات موضوع فى نظرى.

أنا أعيش فى جحيم.. ولا أعرف لنفسى مخرجاً.

الطلاق يرفضه.. والحياة بالمعروف مستحيلة.
ماذا أفعل؟

القارئة المعذبة
« . . . »

إن الانتقام لا يمكن أن يكون حلاً..

أنت كمن عضها الكلب فأسرعت خلفه لتعضه.. وبذلك انحدرت وأصبحت كلباً مثله وسقطت حجتها ومبرراتها ودعواها. زوجك يخونك.. أنت تخونين زوجك.. لن يعود لك حق فى أن ترفعى عينك فى عينه.. وأكثر من هذا سوف تسقطين فى عين عشيقك الذى أعطيت له نفسك كزوجة خائنة.. ولو أنه لن يواجهك بهذا.. ولكنها الحقيقة سوف تطل من عينيه، وسوف تدمر سعادتك.. خسائر.. خسائر.. على طول الخط وتخريب يؤدي إلى مزيد من التخريب.. إلى مزيد من الدمار. وفى النهاية تظهر الحقيقة.. فلا شيء يمكن أخفاؤه وتفقدن آخر قلعة لك.. أولادك.

أنت تهدمين نفسك باسم البحث عن حل.

عيشى كما عشت العشر سنوات «كنت فى طول السنين دى».

أر أطلبى الطلاق بالمحكمة.

أما غير ذلك فهو نذاله.

اللص الشريف

إني أشعر بالخجل وأنا أروى لك ما أرويه.. ولكنها مشكلة أعيتني وهي توشك أن تنتهي بي إلى الدمار ولا مهرب من أن أحكى لك كل شيء بكل صراحة.

أنا شاب عمري ثلاثون عامًا.. للأسف حاصل على الليسانس من إحدى الكليات.. أقول للأسف لما سنعرفه عنى فيما بعد.

ولست فقط جامعياً ولكن مثقف أيضاً أقرأ بنهم كل ما يقع تحت يدي.. وأشغل وظيفة محترمة من عائلة كبيرة وأعيش بمفردي في القاهرة بعيداً عن أهل المقيمين في الإسكندرية.

وإن جاز لي أن امتدح نفسي فأنا كريم إلى حد السفه.. متسامح وأنعاطف مع الناس بسرعة طيب القلب أتمنع بسمعة حسنة إلا أنني لا أستحق شيئاً من هذه السمعة الحسنة. فأنا باختصار لص.. لص محترف ومع سبق الإصرار والتدبير والتفكير دائماً.. ولكنني أعتبر نفسي لصاً شريفاً.

وقصتي مع السرقة تبدأ من الصغر فقد كنت وأنا تلميذ أهوى

سرقه الأقلام من زملائي وكنت إذا ما ذهبت لشراء شيء من البقال أغالطه وأدعي كذباً أني أعطيته النقود.

وكبرت.. وكبرت معي هذه العادة.. وفي الجامعة كنت أسرق الكتب من المكتبة وبقدر الإمكان لا أستري أي كتاب.

إلى أن تخرجت منذ ثلاثة أعوام ونصف.. والآن أنا أعتبر نفسي مريضاً بداء السرقة إن صح أن نسمي السرقة داءً وإن صح أن يكون اللصوص أمثال مرضى.

وكعادة اللصوص مظهرى محرم جداً وشيك.. ولكنني أستغل هذا المظهر في أشياء أخرى بعيدة كل البعد عن الوجاهة أو مغزلة النساء.. فأنا أدخل المطاعم الفاخرة وأكل وأنصرف دون أن أدفع للحساب.. وأدخل المحلات الراقية وأغافل البائع واضع يدي في جيبى أو في حقبيتي التي لا تفارق يدي.. قد لا أسرق شيئاً أن أحتاج إليه.. بل إني كثيراً ما أسرق أشياء لأهديها لأصدقائي. بل ما هو أدهى أني أحياناً أسرق أشياء لا أعرف كتبها إلا في المنزل.

أهوى الزحام في المحلات وأدخل قاصداً أن أسرق شيئاً. وأحياناً يكون ذهني منصرفاً تماماً عن فكرة السرقة. ولكن بطريقة لا شعورية أجد يدي تمتد إلى أشياء أسقطها في جيبى في غفلة من البائع.

وأنا جريء إلى أبعد الحدود.. وأرتاد أفخم الأماكن.

ومع هذا فقد حدث لى أن ضبطت متلبساً وأخذت نصيبى من الضرب والأقلام والشلاليت، ولكن لحسن الحظ انتهى الموضوع بهذه العلة، ثم تركنى صاحب المطعم والجرسونات لأعود إلى بيتى.

ويومها رجعت وأنا أحمدا الله أن المسألة لم تتطور إلى بوليس وأن أحدا من معارفى أو أصدقائى لم يرن فى هذا الموقف. كم يلد لى أن أحصل على أى شىء خطفا.. يحدث أن أقف لأشترى علبة سجائر أو لأتكلم فى التليفون فأغافل أصحاب الأكشاك والتقط قطعة من الحلوى أو اللبان فأضعها فى فمى. لا أدفع أبداً ثمن تذكرة أتوبيس.

بل إنى كنت أحياناً أدخل دور السينما الدرجة الأولى بدون تذكرة، وتعرضت مرة للحرج بأن جاء صاحب المقعد ومعه المختص الذى سألنى عن التذكرة فلم أرتبك وقلت له مع زميلى الذى ذهب إلى التواليت ثم انصرفت دون أن يشعر بى أحد. ومواقف كثيرة.. كثيرة.. أقص لك منها هذا الموقف: كنت مرة فى القطار المتجه إلى الإسكندرية وفى أحد دواوين الدرجة الأولى وليس معى فى الديوان إلا فتاة وأخذنا تنجاذب أطراف الحديث دون أن يعرف أحدنا الآخر.. وقرب طنطا أغمضت الفتاة عينيها وأخذتها سته من النوم.. وقلت لنفسى إنى أستطيع أن آخذ حقيبتها وأنزل فى طنطا.. وفى أقل من نصف دقيقة كنت

أنفذ الفكرة وكنت أقفز من القطار قبل طنطا بقليل.. وسوف تدهش إذا عرفت أنى أهديت كل ملابسى وهى تساوى أكثر من ثلاثمائة جنيه إلى فتاة ساقطة كانت تتردد على ولم تكن تطمع أبداً فى أن تملك قطعة واحدة منها.

عندى من الأقلام وزجاجات العطر والنظارات والكرافات والدبايس، والأحزمة والشرابات والولاعات، بل وأجهزة الترانزستور ما يكفى لفتح محل خردوات كلها لطش لم أدفع فيها ملياً - هذا غير المنافع غير العينية كالأكل والشرب مجاناً فى المطاعم والبارات.

ولا تتصور أن كلاماً تقوله سيجعلنى أقلع عن عادى هذه، وأنى أسمىها عادة تجاوزاً ولكن هى فى الحقيقة مرض.. ولن يكون كلامك أشد وقعاً من الضرب الذى تعرضت له فى أكثر من موقف.

ولهذا فأنا أريد كلاماً خلاف النصيح فأنا كما قلت لك لص شريف.. كما أنى أسرق بحوافز لا إرادية.. أرى يدى تمتد من تلقاء نفسها فتلطش كل ما تراه.

بقى أن تعرف أنى إذا تحدثت فى الدين فأنا أبهر السامعين كما أنى أعرف الله حق المعرفة.

وهو إلى الآن يكرمنى ويستر على ودائماً أطمع فى كرمه وستره. ولكن ما دفعنى للكتابة إليك هو الخوف.

الخوف من أن يلقي بي في التخشيب.. وحيث أن أخسر
سمعتي فحسب وإنما سوف أنسب لأهلى في عار أبدي.
وسوف تتمزق الصورة التي كونوها لأنفسهم عني.
فبالله ما هي الوسيلة التي أعالج بها نفسي.
أنا أحملك مسئولية ضياع مستقبلي إذا لم تسعني بحل ولك
الأجر عند الله.

اللص الشريف

ع. م

أولا أنا أريد أن أعرف من أين لك بالشرف المزعوم.. وبأى
مناسبة أسبغت على نفسك لقب اللص الشريف.

نحن نعلم من التاريخ والروايات أن اللص الشريف هو
الذي يأخذ من الأغنياء ويعطي الفقراء، ولا يبقى لنفسه ملياً في
جيبه، ولهذا يسمى نفسه لصاً شريفاً لأنه مجرد واسطة خير
لا يعمل لمصلحته، وكل ما يعيبه أنه ميكيا فيللي اختار لغايته
الشريفة وسيلة غير شريفة، أما سيادتكم فإنك تسرق وتأكل وكل
ما تمتد إليه يدك إلى فمك وبطنك وجيبك وما يزيد عن حاجتك
توزعه على الساقطات وليس على شحاذاى السيدة زينب.. ثم
أنت تفعل كل هذا بدون دوافع من جوع أو حاجة، وحكاية
السرقه اللاشعورية اللا إرادية والتي بدون تدبير وبدون تفكير

هي تيكيشة. بدليل ما رويته من سرقتك لزملة القطار، وكيف
أنك فكرت ودبرت ونفذت كل شيء في نصف دقيقة.

السرقه ليست عملاً فسيولوجياً تلقائياً مثل النبض أو دق
القلب لنقول لنا إنها تحدث تلقائياً وبلا شعور.. وإنما هي عملية
معقدة تشترك فيها اليد والذكاء والتدبير والخيال والإرادة.. ويجب
أن نفهم تماماً أنك حرامى أصيل.. عديم الشرف تماماً.

وبالطبع لن يكون كلامي أشد عليك من الأقلام التي طوردت
بها كالكلاب التي تسرق العظم من دكاكين الجزارين.. فقد أخذت
كفايتك ولم ترتدع.

وهم يقولون في علم النفس إن مثل هذه الحالة التي تشكو منها
يمكن أن تنشأ بسبب عقدة في الطفولة، ويمكن أن تكون لها دوافع
وحوافز في العقل الباطن.

وسوف أكون حسن الظن وأقول لك أذهب إلى طبيب نفساني
وحلل نفسك.

والحقيقة أن نصف ما يدعيه علم النفس هو تيكيش أمريكاني،
والحرامى هو حرامى وهو يسرق بعين مفتوحتين وليس بالتنويم
المغناطيسى.. ولكنها موضة القرن العشرين أن يقتل القاتل
ويقول عندي جنون القتل، ويسرق السارق ويقول عندي جنون
السرقه، وقد جاء فرويد ليعطى للزاني والقاتل واللص مبررات
علمية وجيهة.. وقد انحصرت الآن هذه الموجة الفرويدية وأصبح

كثير من مسلمات فرويد مشكوكاً فيها وأصبحنا تناقش هذا
التصور العلمي الذى يستهين بالعقل الواعى ويضع الإنسان
بعقله الواعى واراדתه الواعية فى ربة الخوافز الباطنية الدفينة وفى
يد ذلك الشبح الخفى الذى اسمه العقل الباطن يفعل ما يفعل.
ثم يقول هى خوافز باطنية وعقدة وكومبلكس.

ولكنى سوف أكون طيباً جداً.. وأقول كما يقول أولاد البلد،
خلينا مع الكذاب لحد باب الدار. وسوف أعطيك فرصة وأعطي
فرويد فرصتين.. وأقول لك اذهب إلى طبيب نفسى، وإن أردت
فطبيبين ليستخرججا العقدة المزعومة وبحلا القيونكة الباطنية التى
تدفعك إلى سرقة الشرايات والأقلام الأمريكانى واللبن إيكاً.
فإذا لم يتم الشفاء على يد فرويد وحزبه فهو سيتم حتماً على يد
بوليس السيدة والأسفلت والتخشية.

وفى التخشية سوف تفيق تماماً وبين أيدى زبانية جهنم الذين
هم عسكر المباحث وخفراء الداورية وسوف تعلم تماماً أن الله
حق وأنه يهمل ولا يهمل.

خمس دقائق

أشعر أن القلم والورق والألفاظ المكتوبة كلها حواجز وأقنعة
والوان من الافتعال لا أستطيع أن أظهر بها أبداً على حقيقى.
كنت أحب أن أرفع الكلفة وأثرثر معك بكل ما فى نفسى،
ولكنى لا أجد ذلك أبداً إلا فى الكتب وفى الصفحات ووراء
السطور، ولا مفر إذن من أن أجلس إلى الورق أحاول أن أحادثه
بما فى نفسى لعله يحمل إليك شيئاً من حيرتى وعذابى.

أنا فتاة.. عتدى حوالى ١٩ سنة، فى الثانوية العامة.. مشهورة
بأنى سبور.. أنزل البحر، وألبس المينى جيب.. وأخالط الأولاد
والصبيان من صغرى.. وفى البيت يعطوننى الحرية لأفعل
ما أريد.. ولكن أبداً لم يحدث أن خرجت مرة عن الحدود.. أصلى
بانتظام ولا يفوتنى فرض، وأراقب الله فى كل أفعالى.

كان البنات زميلاتى يتحدثن عن مغامراتهن مع الأولاد..
وأقف أنا لأعظهن وأظل أتكلم فى حماس حتى تنزل لى اللوز دون
جدوى.

وأعود إلى البيت.. وفي الليل ومع الوحدة تنبسط نفسي
لتجاذبي الحديث.

هل أنا موضة قديمة؟.. هل أنا من مخلقات عصر انتهى؟
لماذا أبدو دائماً غريبة بين زميلاتي؟

هل مفروض أن يكون لكل بنت ولد ينفرد بها؟
ألا تسمى الحياة حياة بدون هذه الأفعال.. هل العفة والشرف
كلمات عفى عليها الدهر؟

هل تمضي أيام شبابه وصباي وتضيع في المواعظ.. ثم أندم في
المستقبل وأعيش في الحسرة لأنني لم أستمتع بها كما يجب أن تفعل
كل البنات.

أصارك أن نفسي تراودني بما يفعل هؤلاء البنات وأتمنى
لو فعلت مثلهن.. وكففت عن هذه المحاضرات الحنبلية.. ولكنها
مجرد أمان.

أتمنى ولا أقدر.. شيء في نفسي يمنعني.
وأعيش في تعفف واستقامة وطهارة.. ولكن الملل يقتلني.
أنا زهقانة.. زهقانة من نفسي ومن عيشتي.

لا تقل لي عيشي على كيفك وافعلي كما تفعل زميلاتك البنات
فأنا لا أقدر، ولا تقل لي استمري على مثالياتك واستقامتك..

فأنا زهقت، ولا تخاطبني بلغة الدين.. كلمني بلغة عصر القمر
الصناعي والدرة.

واقنعني بالشئ الذي اسمه الفضيلة.

م. ع.
الإبراهيمية - الإسكندرية

لن أكلحك بلغة الدين. وأكثر من هذا سوف أوافق معك أن
إشباع الشهوة ربما كان لذيذاً لمدة خمس دقائق.

ولكن الحياة ليست أبداً هذه الدقائق الخمس ولو كان اهتمام
الإنسان هو هذه المتعة العاجلة، لظل قرداً يقفز على الشجر أو
بهيمة تسرح في الحقل.. ولما اخترع الكهرباء والتليفزيون
والصاروخ.. ولما عرف كيف يصعد إلى القمر.

إن إنسانية الإنسان تبدأ من اللحظة التي يضبط فيها شهوته
ويتحكم فيها فيقودها بدلاً من أن تقوده.

وخضوع الإنسان لصراخ أعضائه ليس حرية ولا تحرراً،
وإنما عبودية وذل وانسحاق ليس بعده انسحاق.

وضبط الإنسان لشهوته وتأجيل إشباعها حين العثور على
شريك حياة وبيت يعمره الحب.. هذا التنظيم هو طريق الحرية
الصحيح، طريق السلامة تماماً كما هو الحال في نظام المرور الذي
يحجز العربات خلف العلامات الحمراء فيضمن بذلك السلامة

وسرعة السير للجميع.. إنه طريق الإفلات من قبضة العبوديات الحيوانية وتكريس الحياة لخدمة العلم والتقدم والأهداف الإنسانية المتعددة.

وواضح جدًا أن معاكسات الشوارع والتردد على الشقق ليست هي الوسائل التي ينمو بها الحب ليؤدي إلى الزواج ولا سن المراهقة هي السن التي تؤمن فيها العواطف على الاختيار الواعي السليم لشريك العمر.

ولا مفر من أن تكون مرحلة المراهقة هي مرحلة صراع.. لأنه من خلال هذا الصراع والمغالبة تنمو الإرادة وتكون الشخصية ويعرف الإنسان من الحيوان.. ويصعد الإنسان إلى القمر ليبحث ويستكشف.

وبنت الـ ١٩ التي تتسلل إلى شقة مع صاحبها بدلا من الذهاب إلى المدرسة، هي في الحقيقة لا تمارس الحياة.. وإنما القرد في داخلها هو الذي يمارس الحياة، لقد هبطت بنفسها إلى مجرد أداة فاقدة للحرية والاختيار في يد القرد الهائج بداخلها، وتحولت إلى خدمته وتلبية رغباته.

إن الشرف ليس مجرد أوامر وتوا، إنه القيد الذي نضعه على محالب الحيوان بداخلنا لنعيش حياة أكثر إنسانية، إنه قيد فيه حريتنا وتحررنا.

لقد قلت هذا في اعترافات سابقة أكثر من مرة وهأنذا أعود

فأقوله وأقوله.. ولو أنك سرت في طريق صاحبائك البنات فسوف تصلني بعد شهور اعترافات من نوع آخر تبدأ بالبكاء، والصراخ، وكيف الطريق إلى الخلاص.. «لقد ظهر الزوج المناسب ولكن بعد قوات الأوان».

«أنا زوجة سعيدة ولكن الماضي يطاردني، هناك من يملك صورًا وخطابات عن علاقة قديمة وهو يهددني بإرسالها لزوجي» «لقد انزلت إلى نهاية تعسة.. فقد أحببت من لا أستطيع أن أتزوجه.. وتزوجت من لا أستطيع أن أحبه».

«اكتشف ابني بطريق الصدفة أن أباه ليس هو أبوه الحقيقي» وهكذا أينما القارئة العزيزة م. ع. من الإبراهيمية بالإسكندرية سوف تكتشفين بعد قوات الأوان.. أن الشرف كلمة حقيقية ذات مدلول وليست موضوعة قديمة.. وأن قواعد الأخلاق لم توضع للناس عبثًا.. وأن أوامر الدين لها حكمتها، وأن متعة اللحظات لا تستحق كل هذا البؤس.. وأن في الحياة آلاف المتع أكثر بقاء وأكثر عمقا، كمتعة العلم ومتعة الفن.. ومتعة الصدق مع النفس، وأن الحياة ليست كلها ذلك المتر في مترين الذي اسمه الفراش.

لماذا نعيش ؟

منذ سنوات كانت نظرتي إلى الحياة نظرة كلها حب وتفاؤل
كنت أحب عملي.. كنت أحب زملائي.. أصدقائي.. إخوتي.
إخواني.. أبي.. أمي.. وكل ماله صلة بالحياة حولي.. الطبيعة في
جميع صورها.. الربيع والخريف والشتاء حتى سقوط الأوراق
وعرى الشجر وهطول المطر ودوى الرعد.. حتى الصحارى
القاحلة.. الليل المدهم.. والبحر الهادر.

كنت كلها التقيت بإنسان تضاعف حبي للحياة.
كنت أرى الجمال في كل شيء.. وأرى الطبيعة في كل قلب.
والصفاء في كل وجه.. والسعادة في كل خطوة أخطوها.
كنت ناجحًا سعيدًا أتدفق أملا وشبابًا وطموحًا حتى حدثت
المأساة.

سقطت مريضًا وأنا في قمة نجاحي.. ودخلت المصحة مصدورًا
على شفا الموت.

وجاء شقيقي لزيارتي في المصحة فأصيب في حادث سيارة
ووضعت ساقه في الجبس.

وفي نفس الأسبوع سقط الأسانسير عندما كان أخى الثانى
يقوم بإصلاحه بالدور السادس بمبنى القصر العيني الجديد.

وفي نفس الشهر كان خالى متجهًا إلى القرية لحضور فرح
فأصيب في حادث تصادم وبترت ساقه.. ودخل زوج شقيقي
المستشفى ليجرى عملية جراحية لحالة إنزلاق غضروفي، فحدث
خطأ بالعملية أدى إلى عجز كلى عن الحركة وانتهى به إلى حالة
شلل لا علاج لها.

والآن أنا في طريقى للشفاء من داء الصدر.

ولكن في طريقى إلى مرض أشع ألف مرة من داء الصدر..
لقد فقدت قدرتي على الابتسام واسودت الدنيا في وجهى واصطبغ
كل شيء أراه بلون حزين يائس.

كرهت الدنيا.

لم أعد أرى أمام عيني إلا العجزة والمشلولين وذوى العاهات،
لم أعد التقى في محيط الأسرة إلا بالكسيح والأعرج والمبتور
الساق.

لم أعد أسمع إلا الأنين..

ولم أعد التقى إلا بعبارات التعزية والمواساة.

أفكر في الهجرة والسفر والهروب إلى أى مكان.

ولكن أى مكان في هذه الدنيا البغيضة يخلو من العذاب
والأنين.

إنها دنيا قبيحة.

الغدر والاعتقال والألم يترصد في كل ركن فيها.

ووراء هذه البحار الممتدة - هناك مالا عين رأت ومالا أذن سمعت من صنوف الألم والعذاب.

الموت أمامنا.

والموت وراءنا.

والشيخوخة تنتظرنا.. والأمراض تلهث خلفنا.

ولا أمل.

الإنسان يولد ليموت.. ولكن بين ميلاده وموته يصنع حضارة.

وأروع ما في الإنسان أنه استطاع أن يتحدى الصواعق والزلازل وكوارث الطبيعة.. استطاع أن يروض كواسر الوحش ويستأنس جوارح الطير.. استطاع أن يهزم المرض ويتحدى الشيخوخة وينتصر على الموت.

إن وفيات الأطفال كانت قبل استخدام أساليب الطب الوقائي تصل إلى أكثر من ستين في المائة، وهي الآن في البلاد المتحضرة أقل من خمسة في المائة. وهذا انتصار حقيقى على الموت.

الإنسان هزم جاذبية الأرض وخرج من إسطارها لينطلق إلى الفضاء.

وإذا نظرت إلى إنسان يتالم ويغالب الألم سوف تعجب به أكثر وتشعر بجماله الذى يفوق جمال كل ما فى الطبيعة من مناظر. كان يجب عليك أن تزداد أملاً وأنت ترى الموت والعذاب من حولك وترى الإنسان يكافح عذابه فى إصرار ويعلو على آلامه فى بطولة وجمال ويبتسم ويضحك ويسعد برغم كل شيء.

أليست هذه القصة الإنسانية أجمل من كل قصم أفرست المعجمة بالجليد.. إن الجمال لن ينتهى من الدنيا ما دام فيها إنسان يفكر.. انظر فى الإنسان وأنت تستعيد إشجاعتك وابتسامتك.

أنا أطحن أضراسي

لن تجد في هذه المشكلة قصة حب ولا طفلاً غير شرعى ولا مركب نقص ولا مركب عظمة.. ولا قارئاً مصائباً بعاجة أو مرض مستعص.. ولكنك سوف تجد مشكلة تبدو في ظاهرها عادية.. ومع ذلك فهي مشكلة عويصة وخطيرة وضحاياها بالالوف وبالملايين.

ولأختصر فأقول.. أنا طالب بالسنة الثالثة الصناعية دبلوم نقش.. فرد في أسرة من خمسة إخوة وأخوات وأب وأم وبيت، ميسور الحال فيه راديو وتليفزيون وكتب ومجلات ونسبايك وبلكونات تطل على الجهات الأربع.

سوف تسألنى، وأين المشكلة؟

المشكلة في هذه الوفرة في وسائل الإغراء والتسلية..

قل لى بالله كيف أذاكر فى كتاب عقيم جاف سخي عن المعادن والأملاح.. وأم كلثوم تلعلع بصوتها من الراديو على بعد متر واحد من أذنى.. وخدنى لحناك خدنى عن الوجود وابعدى.. بعيد.. بعيد وحدينا.

فإذا رفعت عيني سنتيمتراً واحداً من الكتاب داعب عيني منظر الحاوى، والمتعة على بعد خطوات من الباب المفتوح.. فإذا مشيت هذه الخطوة تصيدت عيني عشر مجلات مختلفة مفتوحة على صور غارية مغرية وصدور وسيقان ومقالات ملتهبة وإعلانات سينما ومسرح وستيريو.

فإذا عدت استغفر الله وارفع عيني رأيت شادية اللذيذة الطعمة وفيلمًا لذيذاً قد بدأ فى التليفزيون.

فإذا أغلقت عيني سمعت صياح إخواتى فى الغرفة المجاورة وهم يلعبون الكوتشينة.. وبصرة.. الولد يقش.. والفورة فاضل عليها عشرة.. شد حيلك تاكل ملبن.

وأنا غلبان محروق فى صفحة من كتاب مدعوق عن المعادن والمنجنيز والمولبدنم والتنتالوم.. إلخ.. إلخ.

وأنا بشر لى عيتان لى ذوق.. لى عقل متفتح وحواس سليمة تعرف طعم البفلاوة.. وطعم شادية.. ولذة غناء أم كلثوم ومتعة لعب الكوتشينة.. وجاذبية نجمك المفضل.. ومجلة حواء.. وقصص أرسين لوبين.. وأفيشات رواية هند رستم..

وإذا استطعت أن أهزم هذا الطوفان من المغريات وانزعجت نفسى لأقف وفى يدي كتابى فى البلگونه اصطادتني عشرات العيون الكحيلة فى بلكونات الجيران واشتغلت الابتسامات والنظرات على ودنه.. فإذا استعدت من الشيطان ونكست رأسى

إلى الأرض ورحلت انظر في الشارع رأيت ما هو أدهى.. ماقط
رأسية لكل أنواع التسريجات الخارجة من الكوافير تحتنا.. ومعها
مالد وطاب من الجابونيز والديكولتيه والرقاب العاجية والخصور
الملفوفة.. وآه يا عيني.. ومدعوق المنجنيز والموليدتم والتتالوم
وامتحان الفترة.

وأنا عندي إرادة والله العظيم.. وأنا أقاوم كل هذه المغريات
وأذاكر بدليل أفي أنجح.. وأني نجحت إلى الآن بدون رسوب مرة
واحدة.. ولكن.. على حساب أعصابي.. فأنا أكرز على أسناني
وأطحن أضراسي وأغلق الباب والشباك وأغلق عيني وأذني
وحواسي الخمس وأذاكر.. ولكن أعصابي.. تتلف يوماً بعد يوم..
وللطاقة البشرية حدود.. ولا بد من حل.

وأريد أن أقول إن الحياة المدنية أصبحت الآن شديدة الإغراء
حافلة بكل ما يشد الانتباه.. وبالنسبة لطلبة في سن المراهقة
أصبح التركيز الذهني شاقاً إن لم يكن مستحيلاً.. ولا بد من وسيلة
لتمكيننا من أدائه واجبنا.

المعذب
ي. أ. ش

كلامك صادق.. وهو يؤكد وجود مشكلة خطيرة بالفعل.. وفي
تقارير وإحصاءات وزارة التعليم في إنجلترا تأكيد هبوط

مستوى التلاميذ وهبوط نسبة النجاح بسبب هذه المغريات..
وهذا يحدث في إنجلترا فما بال عندنا..
والحل يجب أن يبدأ من العائلة.

على البيت أن يكفل الهدوء والتفرغ والتركيز الذهني لكل
العاملين فيه.. التليفزيون له وقت محدود كل يوم ثم يغلق بالنسبة
لجميع من في البيت.. الراديو يراعى أن يكون صوته هساً.. أو
يسمعه من يشاء بسماعات أذن خاصة.

البيت ليس مقهى للكوتشينة والطاولة والتحشيش لكنه مكان
عمل وملاذ راحة وتفكير وتأمل.

النصير العارية في المجلات، يجب أن يتناولها مقص رئيس
التحرير فهذا واجب إنساني.. علينا أن نفرق بهذا الجيل..
ولا نلهب ظهره بكرابيج الإغراء إذا أردنا أن نجعل منه جيلاً
منتجاً.

ولكن تبقى هناك حقيقة أخرى هي إرادتك.. لا بد أن تطحن
أضراسك وتكز على أسنانك.. فالتحصيل شاق.. وصوت شادية في
كل العصور كان ألد من المذاكرة.

ونحن أيضاً كنا نسمع أم كلثوم تغني.. النوم يداعب عيون
حبيبي.. وياما أمر الفراق.. ونحن نذاكر في نظريات إقليدس وفي
أدب البحتری.. وكل واحد يأخذ دوره من الغلب يا عزيزي
المعذب (ي. أ. ش).

ترفض أن تجتمع بي مهما حاولت.. وتصدني بشدة وبوحشية..
وعناد.

وفي ليلة سوداء اعترفت لي أنها تحب رجلاً آخر.. وطلبت
الطلاق مني وأبدت استعدادها للتنازل عن جميع حقوقها ما عدا
الأولاد.. وأقسمت أنها لم تخنى في غيابي أبداً.. وقالت إنها تحب
ذلك الرجل وتعبده ولا تستطيع الحياة بعيداً عنه.. علماً بأنه فقير
لا يملك ربع ما أملك.

وجن جنوني.

ولكن لم أستطع أن أفعل شيئاً.

لم أستطع أن أنفذ إلى قلبها بأى وسيلة من وسائل الإغراء..
كان قلبها قد أغلق نهائياً وإلى الأبد.. في وجهي.
وكان الدق على قلبها كالدق على باب تابوت.
لا أمل..

ماذا أفعل.

أطلقها؟؟

وكيف أعيش بدونها.

أحتفظ بها برغم أنفها؟!.. وكيف أعيش معها وهي في حالة
سرحان وبكاء باستمرار؟.

كيف أعيش معها وأنا أعلم أن قلبها يكتب بحب رجل آخر

رشوة...

تزوجت من بنت خالي منذ ٨ سنوات.. ولى منها ثلاثة أطفال..
وأعترف لك أن هذا الزواج تم برغم أنفها. وبعد محاولات مني
كثيرة.. ومطاردة وإلحاح متواصل وإغراء بكافة السبل.. فقد
كنت أحبها.. ومازلت أحبها وأعبدتها.. لجمالها ورقتها وأتونها.
وقضيت السنوات الأولى من الزواج في سعادة غامرة. كنت
أنفق عليها ببذخ.. أشتري لها الملابس الفاخرة وأخذها في
سهرات ونزهات كل ليلة.. ومع هذا كنت أحس دائماً أنها غير
راضية. وكان هذا يدفعني إلى إغرائها أكثر بالمزيد من البذخ.
إلى أن صدر ضدي حكم بالسجن ثلاث سنوات بتهمة
الرشوة. ودخلت السجن لأعيش في حلم متواصل.. كنت أحلم
بها كل ليلة وأكتب اسمها على الجدران.. أنحت اسمها
بأظفري.. وأعد الأيام والساعات والدقائق في انتظار الخروج
لألقاها.. وأعود إليها.. وأناديها في ظلام الوحدة والقبيل.. ومهانة
السجن.

وخرجت.. لأجدها تغيرت تماماً.. فهي دوماً في بكاء مستمر..

غيرى.. أنا الذى ضحيت من أجلها.. وأنفقت عليها دم قلبى..
ما الحل؟..

«.....»

واضح أن أمارات الفشل كانت ظاهرة لك من البداية.. فهى
لم تكن تحبك.. وهى تزوجتك برغم أنفها.
وحينما ظهر لك فشلك فى انصرافها عنك.. حاولت أن تغرقها
بأموالك فلما نفذت أموالك بدأت تسرق من أموال الآخرين فى
فيض من الرشاوى.

كنت ترتشى.. ثم تحاول بدورك أن ترشوها.
فشل.

ثم إيمان فى الفشل.

والسجن كان نتيجة طبيعية لهذه الحلقة المفرغة من الأخطاء..
وما حدث لها وأنت مسجون.. نتيجة طبيعية أيضًا.. فهى لم
تكن تحبك.. وأنت فى السجن كنت فى نظرها أكثر من مجرد زوج
غير محبوب.. كنت رجلاً سقط اجتماعيًا.

الهوة بينكما اتسعت.

ولم يكن بينكما ود مفقود لتحاول أن تسترجعه.

أنت تحاول أن تصنع شيئاً من لا شيء.

أنا أكره الطلاق.. ولكن ما بينكما من البداية كان شيئاً
كالطلاق.. وما تعيشان فيه الآن هو شيء أسوأ بكثير من
الطلاق..

وأعتقد أن واجبك أن تطلقها.

هذا هو ما تقضى به الكرامة.

وأى محاولة أخرى منك للاحتفاظ بها برغم أنفها تكون محض
أنانية أشبه بالاغتصاب.

أما الأولاد.. فإن حياتهم تحت سقف الكراهية.. جريمة أخرى
لا تقل عن جريمة الطلاق وخراب البيت.

وكانت أمي تحب أبي.. كان اسمه منقوشا على ذراعها.. وكان
أبي يحبها فيها مضي ويستيد بجهودها في تربيته.
وكننت أشعر نحو أبي بالاحترام كلما جمعنا مجلس، ولكن لم
أكن اشتاق إليه.. مهما طالبت بنا الفرفة.

المهم.. لا أريد أن أسترسل في تفاصيل لا قيمة لها.
عشت سني حياتي الأولى مع أمي أتام في حضنها.. وأقترش
فراشها وأنقضى بلحافها وأتوسد ذراعها وأسند رأسي إلى صدرها
الحنون.

وكانت سنوات دراستي الابتدائية كلها سنوات انطواء وعزلة
أكاد أعيش منعزلا عن المجتمع مع أمي بلا زمالة أو صداقة أو
سلة اللعب معها.

وتوطدت في نفسي بسبب ذلك كراهية للعالم والناس ونفور
من الاختلاط.. وكان هذا النفور يزداد كلما نظرت إلى ملابس
فراشها بالية قديمة.. كان خجلي من فقرى وسوء حالى يجعلنى
أزداد نفورا من الاجتماع بأى إنسان.. والحقيقة أن الخجل كان
عقبة كئودا طوال حياتى.

كنت أخقد النطق ويحمر أنفى حتى يلدغنى وتحمر وجنتاى
ويقشعر بدنى من قمة رأسى إلى أخمص قدمى ويتصبب العرق
بارداً على جسدى كلما طلب منى الأستاذ أن أقف وأجيب على أى
سؤال حتى ولو كنت أحفظ إجابة هذا السؤال عن ظهر قلب.

هل أنا رجل؟

سوف أغالب التردد وأعترف لك بكل شىء..
وسوف أبدأ معك من البداية المألوفة.

أنا شاب فى السابعة عشرة من عمرى طالب بالسنة الثانية
الثانوية.. أبى وأمى وإخوتى مع حبهم لى إلا أنهم يشكون دائما
من أنى نحس.. وأن مقدمى إليهم كان مقدم شؤم وفقر وبؤس..
وكما يقولون.. غادرهم الخير منذ جنتهم.. كانت لهم الأغنام
والأبقار والأرض.. ثم لم يعد لهم من ذلك الخير الوفير إلا أقل
من القليل.

أمى تقول التشريد والمصائب نزلت بها منذ بچينى.. لم أكد
أبلغ السنة الأولى من عمرى حتى كان أبى قد تزوج بأخرى
وطلقها ثم طردنا من البيت وسافر أخى الكبير إلى بنغازى
وتدرج فى التجارة حتى أصبح تاجرا مرموقا.. أما أنا وأمى فقد
لجأنا إلى بيت صغير نملكه.

وكننت أحب أمى كثيرا.. ولم أكن أرى أبى إلا نادرا.. أحيانا
مرة واحدة فى العام برغم أنه لم يكن يبعد عنا كثيرا.

أنا الآن أعيش مع أخى الكبير الذى ينفق على.. وأنا طالب ثانوى بالقسم العلمى.. أشعر برغبة فى الاستقلال والإنفاق على نفسى من عرق جبينى.. ولكن الخجل يمنعنى كلما فكرت فى طرق باب العمل.

إنه الخجل دائماً.

وأخر مرة كان الخجل سبباً فى كارثة نفسية لحقت بى.. ومازلت أعيش فى كابوسها.

كان ذلك فى ذات ليلة حينما سمعت الزملاء يتكلمون.. كل واحد يتفاخر بتجربته الجنسية.. وأن له باعاً فى تلك الشئون. ولم أجد أنا ما أقوله.. فكتت خجلانا من نفسى.

وكان أصغر واحد فى الشلة يقول إنه يدخن ويشرب الخمر ويعاشر النساء، وإنه جرب كل شيء فى الدنيا.. وإن الرجل لا يكون رجلاً إلا إذا خاض كل تجربة.

وفى تلك الليلة لم أنم.. واختمرت فى ذهنى فكرة القيام بزيارة لمحال الدعارة.

وفى اليوم المشؤم نزلت إلى الشارع أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وقلبى يدق بمخاوف لا آخر لها.

وحينما وقفت أطرق الباب.. راودتنى الرغبة فى الهرب والفرار بنفسى.. فكرت أن البوليس ربما يداهم البيت المشبوه كما يحدث فى الأفلام.. وفكرت انى ربما أصابتنى السكتة القلبية من شدة

الانفعال. وفى تلك اللحظة فتحت العاهرة الباب فقطعت على حبال مخاوفى.. كانت جميلة وكانت ملامحها تبدو لى بريئة كلامح ملاك طاهر شريف.

وتأملت وجهها الطيب وسرح فكرى بعيداً عن المهمة التى جئت من أجلها.. ورحت أفكر فى مبلغ قسوة هذه الحياة التى دفعت بهذا الوجه الطيب إلى الحضيض، وقدرت أن السبب قد يكون بدافع ظروف عائلية نعيمة أرغمت هذه الفتاة على أن تنحدر هذا المنحدر، وراودنى الخاطر فى أن أدعو الفتاة إلى العودة إلى حياة الفضيلة والرشاد والبحث عن طريق حلال لكسب العيش.. ولكنها قطعت هذا الخاطر بهزة من ساقها تستعثنى فيها على الفراغ من المهمة.. ولكن أية مهمة..! لقد تنبّهت على نفسى وقد فقدت القدرة تماماً على إتيان أى شيء.

وخرجت نودعنى سخرية العاهرة وضحكاتها لأواجه الحياة بمشكلة جديدة فى شكل سؤال راح يحل على ذهنى كل لحظة.. هل أنا رجل؟

وإذا كنت رجلاً فلماذا لم أتصرف كما يتصرف كل الرجال فى هذه المناسبات؟

وبدا يركبنى إحساس بالعار وبالنقص وبأنى لست طبيعياً. وماقيمة الحياة إذا لم أكن رجلاً؟

وكيف أستطيع أن أتزوج.. وكيف أفتح بيتاً.. وأصبح أباً؟

وبدأت الدوامة السوداء.

وفي كل يوم تتسع الدوامة لتبتلعني.

ولا أعرف ماذا أفعل.

م. برغثي

توكره - بنغازي

لاشك أنك رجل.. وإنسان طبيعي مائة في المائة.. وماحدث لك

لم يكن شذوذاً.. وإنما نتيجة طبيعية لأنك تعاطفت مع المرأة..

وتصورتها في صورة الفتاة البائسة فاستحال عليك أن تقوم بعمل

أصبحت ترى انه إخلال تام بالشرف.

والخطأ الشائع عند كل رجل أنه يعتقد أن هذه العملية هي

عملية بدنية، ولكن الحقيقة أنها عملية نفسية عصبية تحتاج إلى

تهيئة نفسية خاصة.. فإذا لم تحدث هذه التهيئة فالنتيجة تكون

العجز.. وهو ليس عجزاً عضوياً بدنياً.. وليس نقصاً مرضياً.

ولكنه دائماً عجز نفسي.

الخجل.. والقلق.. والخوف.. والإحساس بالذنب.. وتآبيب

الضمير ينسل هذه القدرة عند الرجل.. وخصوصاً عند الرجل

الحساس الرقيق الشعور.

وكلنا نعرف أننا نضحك حينما نرى الممثل الكوميدي يمثل

دور مجنون على المسرح.. ولكننا مع ذلك نفقد القدرة على

نضحك تماماً إذا رأينا مجنوناً حقيقياً يهذى في مستشفى المجانين

والسبب هو التعاطف والإشفاق.. ومشاعر الرحمة.. التي تتولد

أمام الرؤية الواقعية فتشل قدرتنا على الضحك.

وماحدث لك من عجز من هذا النوع وليس عجزاً حقيقياً.

إنه موقف نفسي لا أكثر.

ولن ينشأ هذا الموقف حينما تتزوج.. لأن علاقتك بزوجتك لن تكون

حماية خلقية ولا انتهاك حرمان.. وإنما ستكون علاقة تسودها الشرعية

والحب والاقتناع والإحساس من الطرفين بأنها علاقة شريفة.

ولاشك أن علاقتك الوثيقة بأمك ونشأتك في حضنها طول

الوقت كانت سبباً في انطوائك وعزلتك وإحساسك بالخجل..

وربما كان الخجل الطاغى والعجز لحظة وقوفك أمام العاهرة سببه

أن عقلك الباطن صورها لك في صورة أمك المحرمة عليك.. ذات

الوجد الطيب الحنون الملائكى.. التي جنى عليها الزمان.

وكما يقول فرويد إن أي ارتباط شديد بين الأب والأم في

مرحلة طفولته يؤدي إلى عقدة أوديب.. وهي عقدة عشق الأم.

وهذه العقدة تكون باطنة غائرة في العقل الباطن غير واضحة

الشعور وتؤدي على الدوام إلى إحساس بالذنب والخجل..

وخصوصاً من العلاقات مع الجنس الآخر.. لأن الأم المحرمة

تصبح رمزاً لهذا الجنس كله.

أما رجولتك فأنا أطمئنك عليها.

ابن امبارح

لم أكتب هذا الكلام إلا بعد أن فاض بي الهم وغلب حمارى
وباطت أعصابى.

وما سأعرضه ليس مشكلة خاصة بى وحدى ولكنها مشكلة
جيلنا كله.

والمشكلة هى مشكلة الآباء الذين ينظرون إلينا نظرة لا تتغير
مهما تعلمنا وكبرنا وطلع لنا شنب.. فنحن فى نظرهم «شوية
عيال».

واحد زى حالاقى سنى ٢٥ ستة وأسمع من يقول لى «تعرف
إيه أنت فى الدنيا يابن امبارح».

وياما شلتك على كتفى وأنت فى اللفه ما تساويش ثلاثة
أبيض.

وهو كل من طلع له شنب بقه راجل.

وأنا أحب والدى وأحترمه وأعلم قيمة رضاه ومكانته عند الله
ولكن لكل شىء حدود.. وفيه حاجات تحب.

أنا مثلاً أقطن فى حى بلدى مختلط بجميع الفئات طلبية وعمال
وموظفين وأنا شخصياً فى نهائى إحدى الكليات وأعمل موظفاً فى
نفس الوقت، وقبل ذلك كنت أعمل بالمدايح ثم بالفاخورة ثم
الرمالى بالسيدة ثم بأحد مصانع الحلوى، وأخيراً التحقت بهذه
الوظيفة.. وبحكم هذه الأعمال المتعددة أصبحت لى خبرة بالحياة
وبالناس.. ولكنى مع ذلك ما زلت فى نظر السيد الوالد.. «العيل
ابن امبارح اللى لا راح ولا جه».

إذا حاولت أن أبدي رأياً كان هو أول من يسخف هذا
الرأى.. «وأنت إيه كمان اللى حاتتكلم فى أمور ماتفهمهاش».

التجديد فى أثاث البيت عيب.. واللبس النظيف حرام..
والأكل فى مواعيد محددة كلام فارغ.. واستبدال الطبلية القديمة أم
رجلين مكسرة بسفرة لطيفة افتراء على الله وبطر، والبطر من
زوايل النعم.. ودهان البيت فخفة كدابة.. وطلب الهدوء
للمذاكرة مالوش لازمة.. واللى عاوز يذاكر حا يذاكر فى مولد أو
فى سويقة.

والذهاب بأختى ١٨ سنة إلى السينما يوظان.. وشراء الصحف
والمجلات إسراف.. والاشتراك فى أحد النوادى تلف.. وعيشة
قرف فى قرف.

تحملنا ورضخنا للأوامر حتى بلغت الروح الحلقوم.
لو صادف وجالسته مع أصدقائه وجدته يلقي الحكم والمواعظ

في التربية الحديثة.. «وإن كبر ابنك خاويه» و«الجواز سرية للبنات وصيانة للولد» و«المشورة في الرأي من حسن الفطن» إلخ.. إلخ.

فإذا ترك جلسة الأصحاب ودخل البيت تبخرت كل هذه النصائح وانقلبت إلى العكس.. فلا مشورة.. ولا احترام لصغير ولا لكبير.

لى أع أكبر تجاوز الثلاثين اختار فتاة يحبها وتحبه وطلب من الوالد السير في إجراءات الزواج.. لكنه رفض.. لأنها لم نأت عن طريقه هو، فهي لذلك «بنت ملعونة مش بتاعة عيش.. واسمعتي عاوز تتجوز اليومين دول.. لسه بدرى عليك لما تكمل خمسة وثلاثين أربعين سنة».

وتتعجب إذا قلت لك.. إني حينما اشتري قميصًا جديدًا أخفيه عن العيون وأبله ثم ألبسه مكرمًا حتى يبدو نص عمر لا تخلص من الموشح الذي يستقبلني به الوالد العزيز عن المصاريف إلى ما لهاش لازمة.. والعيافة.. والوجاهة.. والظاهر إحنا بقينا خواجات.

وليس هذا حالي وحدي.. فلى صديق محترم موظف قد الدنيا وعمره ربع قرن.. وما زال أبوه يتأديه بلقب «يا واد».. ويستولى على مرتبه ويعطيه مصروفه اليومي.. فإذا فتح فمه احتجاجًا.. صرخ الوالد في استنكار «أدى آخرة تربيتنا.. خسارة شقانا وتعبنا.. الواد بيعجج فيا».

وصديق ثان يعمل محصلًا بأحد الأفران ومنتسب في كلية وفي العام الماضي حصل على درجة امتياز في القانون التجارى والمحاسبة.. ومع ذلك أسمع بأذى السيد والده يلوح يديه في وجهه قائلاً.. «وده يفهم إيد في الدنيا والا يعرف إيه عن المسئولية العيل ده.. والله بعد ما أموت حايلف ع الأبواب يشحت».

وصديق ثالث غلبان صمم أبوه على تزويجه بالإكراه، من فتاة لا يحبها ولا يطيقها لأنه يريد أن يفرح به.. «والله العظيم ثلاثة إيمان بالله العظيم لو خرجت عن طوعى لا أنت ابني ولا أعرفك.. وأنا يا ابني راجل كبير.. لو عشت السنة دى مش حاعيش السنة الجاية.. وعاوز أشوفك عريس واتهنى بيك».

والعريس الغلبان طالب أيضًا وموظف، إيراده على قده.. يريد أن ينتظر حتى يجد شريكة حياته التى يحبها وتحبه.. وحتى تتحسن ظروفه المادية.

يا لله عليك كيف يفكر هؤلاء الآباء.

وكيف نعيش معهم وهم بهذا الجمود.

عمر. ع. أ.

خرطة أبو السعود

هذه الرسالة لكل أب ليستفيد العبرة.. ويأخذ درسًا في معاملة لأبنائه.. أما أنا فليس عندي ما أقوله.

وكنيت أشعر شعورًا عميقًا بأن هذه المرأة هي المرأة التي طالما
حلمت بها وأردتها لنفسى.

ما السر.. ما السبب.. ماذا يشدنى فيها.. لم أكن أعلم.
وتطور حديثنا.. وسألته عن حياتها فقالت لى باختصار إنها
متزوجة من ١٥ سنة، وإن زوجها عني ليس له في النساء، وأن
عندها عقدة نفسية من ناحية الجنس، وأنها ما زالت عذراء، وأنها
باردة تمامًا.. لا تشعر بأى رغبة أو غريزة تدفعها إلى الجنس
الآخر.

وحكت لى عن طفولتها فقالت إن أمها ماتت وهي في التاسعة
من عمرها فأدخلتها زوجة أبيها في مدارس الراهبات داخلية..
وعندما بلغت الخامسة عشرة زوجها هذا الرجل وكان سنه في
ذلك الوقت ٢٨ سنة.

كانت هذه هي قصتها كما روتها لى.
ومضت أيام وليال كثيرة وأنا أفكر فيما قالته كلمة كلمة.
وعواطفى تلح على ألا أتركها لهذا الرجل الأناني.. وأعصابى
يمزقها التفكير.

ذهبت إلى أمى وحكيت لها الموضوع كله عسى أن يكون لها رأى
أوفكرة وكان ردها أنه لا مانع من أن أتزوجها مادمت أحبها إلى هذه
الدرجة.. وأمى بالمناسبة تحبني جدًا ولا تطيق أن ترائى أتالم.

النهاية.. كانت موافقة أمى هي القشة الأخيرة التي تعلقت بها

حكاية سينما

أنا محام شاب. عمري ٢٨ سنة.. عاطفى، عني. أحب
الاستقلال في حياتى وشخصيتى.. نجعت بكفاحى وإصرارى
ومثابرتى.. استطعت أن أشق طريقى بين المحامين الكبار وأن
أحقق لنفسى دخلًا محترمًا.

وليست هذه مبالغة في الثقة بنفسى ولكنها الحقيقة التي يقولها
عنى الآخرون.

بدأت مشكلتى في يوم من أيام شهر مايو سنة ١٩٦٢ دخلت
إلى مكتبى سيدة مع زوجها رأيتها فتسمرت في مكاني لا لجمالها
الباهر وحده، ولكن لشيء ما في نظرات عينيها شدنى إليها شدة.

واختصر لك الحكاية.. ترددت على بعد هذا كثيرًا.. وتكلمنا
كثيرًا.. وشىء ما في شخصيتها كان دائمًا يصدنى كلما فكرت في أن
أغازلها أو آخذ منها ميعادًا أو قبلة كما كنت أفعل مع غيرها من
النساء.

كان شيء ما في عينيها يوقفنى عند حدى.. فأنهيتها.

تعلق الغريق.. فعضيت لتوى أهيبّ الوسائل وأحطم العقبات.
استطعت أن أحصل لها على الطلاق من زوجها بعد شهرين.
ولا أطيل عليك.. تزوجتها
وكانت الليلة الأولى.. مفاجأة.
أحسست أفى أغبى إنسان فى العالم.
لم تكن عذراء.. كانت سيدة.
لم تكن باردة.. ولا عندها ذرة تعقيد من الجنس.
وإنما كانت شيقة سوداوية لدرجة المرض.. لا تشبع.. مستعلة
الرغبة لدرجة الهوس.

وعلمت أنها كانت عادية طيلة الخمسة عشر عاماً.. لم تكن
مظلومة فى شىء.. ولكن المظلوم الغلبان الفدائى.. كان الرجل
التعس زوجها.
وقنيت فى هذه اللحظة أن أرى ذلك الرجل البطل لأركع
أمامه وأستغفره.

وتذكرت أنه حينما ذهبت لأسعى لها فى الطلاق لم يقاوم ولم
يتحدث بحرف، وكل ما قاله إنه يشترط ألا تأخذ منه نفقة وبهذا
الشرط البسيط وافق على الطلاق.

كان واضحاً أنه يريد أن يتخلص منها.

وطويت هزيمتى فى قلبى.. وتحجس لى غبانى.. وجهلى.

حاولت أن أدمن السهر والخمر لأنسى المصيبة التى تنتظرنى
كل ليلة فى البيت.
وارتبكت أعمالى وأغلقت مكيبى.. ثم عدت ففتحت.
ومضت الأيام تجرى.
انجبت طفلاً برغم أنفى.. أى والله برغم أنفى.. كنت أعطيها
فى اليوم الواحد خمس حقن للاجهاض بدون جدوى.
كلما نظرت إليها الآن شعرت أنها تسرق منى شبابى وصحتى
وعمرى.. وأنها تلقى بى إلى هاوية الفريزة الحيوانية انحدر فيها
يوماً بعد يوم.

أحسد كل شاب على حرته.

أسأل نفسى.. لماذا فعلت بنفسى هذا.. هل كنت مجنوناً.
أفكر فى الانتحار لأتخلص من هذه العبودية.. ثم أعود فأقول
وما ذنب الطفل البرى..

بالله عليك ماذا أفعل.. لا تقل لى لقد أخطأت.

وتحاسبنى على أخطائى.. فأنا غبى وجاهل ولا يمكن أن يكون
الجاهل مسئولاً عن أفعاله.

الجهل لن يعفيك من مسئوليتك.

إن المجنون الذى يضع إصبعه فى النار.. يحترق إصبعه.. جنونه

لا يعفيه من نتيجة خطئه.. وهذا حال الدنيا.

لقد أخطأت الاختيار.

كنت تحلم بامرأة جميلة وباردة تريحك بالليل والنهار.. ف وقعت
في نار مشتعلة تأكلك بالليل وبالنهار.

وتذكر أنها لو كانت باردة معقدة رافضة الجنس كما كنت تتوقع
لكانت كارثة أكبر.. فالبرودة ترهق أكثر.

والظاهر أن خبرتك بالنساء قليلة.

والسبيل إلى زواج موفق ليس هو البحث عن امرأة باردة أو
امرأة نارية.

العلاقة الزوجية الناجحة هي توليفة موفقة.. كل من الزوجين
يحاول بالعشرة والفهم والمحبة أن يؤلف رغباته وحاجاته على قدر
طاقة الآخر ومزاجه وحاجاته.

العلاقة الزوجية مجموعة عادات يمكن تربيتها.

وتأكد أنك لو طلقت زوجتك وتزوجت من أخرى فسوف
تفشل أيضا فأى امرأة يمكن أن تكون باردة ويمكن أن تكون
مشتعلة.

ومن خلال العلاقة الزوجية الموفقة يستطيع الزوج أن يربى
العادات التي تلائمها كل ما في الأمر أنك لم تحاول.. وإنما اتخذت
موقفاً عدائياً من البداية.. حينما لم تجد مطلبك.. وهو مطلب
مضحك.. وحكاية خرافية.. الزوج العنيد والزوجة التي تعيش ١٥

سنة عذراء.. حكايات سببا واضح أنها اختلقتها لتفتح بها مجال
حديث معك لأنها كانت تريدك.

نصيحتي لك أن تكف عن هذه المواقف الطفولية.. السهر
والخمر وأفكار الانتحار.. وأن تحاول أن تفهم زوجتك.. وأن تحاول
أن تجعلها تفهمك.

وتأكد أنك ستوفق في خلق علاقة عادية سوية.

ليست أفعى

أنا شاب في الثلاثين من عمري أشغل منصباً كبيراً ومرتبى حوالى سبعين جنيهاً.. متزوج منذ ٦ سنوات ولى أربعة أبناء وسن زوجتى ٢٥ سنة.. وباختصار أقول لك إن زوجتى متكاملة.. جامعية.. جميلة.. موظفة.. ست بيت.. أم.. زوجة.. حبيبة.. سارت حياتى الزوجية سوية نظيفة طوال هذه السنوات الست، لم يتخللها شجار ولا تفكير فى خيانة ولا حتى نظرة متى إلى أية امرأة.

طوال هذه المدة لم اشتد أى امرأة ولم أفكر فى أنسى ولم بخطر على بالى مخلوق غير زوجتى.

كان شغلى الشاغل هو بيتى وأولادى وامراتى.

بدأت تسلل إلى نفسى ولا أقول إلى قلبى.. أفعى فى شكل فتاة سنها ١٧ سنة.

تسللت إلى مشاعرى أولاً عن طريق العطف، فهى عاملة بسيطة مرتبها عشرون جنيهاً شهرياً.. عادية بل أقل من العادية، ظروفها المادية والعائلية والاجتماعية تعسة جداً فهى تعيش مع

سرتها المكونة من والدها طريح الفراش منذ عشر سنوات ووالدتها التى تكافح فى سبيل اللقمة وأختها الطالبة وأختها الأخرى العاملة، كلهم يعيشون فى غرفة واحدة فى بدروم، والبنات على مساحة من الجمال.. عطفتم عليها وساعدتها مادياً حينما سكنت لى ظروفها، ثم دعتنى إلى منزلها واستقبلتنى أهلها بحفاوة كبيرة.

ولكن هذه الأيام.. بدأت المشكلة.

وأخذت أتردد عليهم وأقنع نفسى بأى سبب لذهابى.

وبالتدريج أخذت هذه الفتاة تحتل مكانة فى نفسى تزداد بمرور الوقت.

وأخيراً.. استهيتها.. نعم استهيتها.. وقبلتها خلسة.. على السلم.. ودعوته للخروج معى (إلى أماكن عامة فقط) كل هذا دون أن تدري زوجتى.

وهذه التصرفات تجعلنى أحقر نفسى.. وأنا الذى كنت أحرم على عيني أن تنظر إلى امرأة غير زوجتى حتى ولو كانت ملكة جمال.

إنى أشعر أن حياتى الزوجية.. وكيانى وبيتى.. ومستقبلى كله يتهدم.

هل تصدق أنى لم أعد أستطيع النظر فى عين زوجتى.. هذا الشعور يعذبنى.

إني واقع فريسة سهلة لدوافع متضاربة.. العطف والإشفاق.. وإغواء النزوة بعد ست سنوات من الحياة في طهارة.. والملل.. والحياة الرتيبة الخالية من المغامرة.

والبنت متعلقة بي جدًا وطبعًا لها حق فأنا لقطعة بالنسبة لها بالرغم من أني متزوج وعندي أولاد ولست من دينها.. وديني يمنعني من تعدد الزوجات.

أحاول أن أتخلص منها وألعب الظروف التي عرفتني بها.. ولكنني أعود فتنهار مقاومتي وأسرع إلى لقائها.

تعودت منذ صغري أن أصلي إلى ربي مصدر عزائي ورجائي.. أما الآن فإني أخجل من المتول بين يديه.. ماذا أقول له.. لا أريد منك أن تقول اتركها.. فإن عطفى على هذه الأسرة يزداد يومًا بعد يوم وعلاقتي بالفتاة تزداد بدرجة تجعلني عاجزًا عن الاستغناء عنها.

وأنا مختار بين بيتي الذي أقدس.. وهذا الشعور الجديد الذي كنتسحنى.

واضح جدًا أنك الجانب الأقوى والأقدر في هذه المشكلة.. أنك سيطرت على البنت الفقيرة وعلى أسرتها بمالك ومساعداتك لمادية وعطفك (المشكوك فيه).. وأنتك استدرجتها.. وأنتك الفخ الصياد ولست الضحية كما تصور لنفسك.

وليس صحيحًا أنك لقطعة.. فأنت متزوج ولك أولاد ومن دين غير دينها ودينك لا يسمح لك بتعدد الزوجات.. إذن سوف تجرّها خلفك (وأنت ابن الثلاثين وهي بنت السبعين) بدون أمل وبدون جدوى سوى مساعداتك المالية.

وسوف تكون نتيجة حبها لك أن تفوتها فرص كثيرة في الزواج وفي الحب من شاب ندها.. فمن منكم الضحية.. أنت أيها الرجل القادر القوى الغنى المستغنى.. أم هي التي تعيش مع أمها المكافحة وأختها العاملة وأبيها المشلول في غرفة في البدروم.. وأنت تسميها أفعى.. وأنت الأفعى الذي تلتف حولها لتعصر عودها وشبابها وعمرها بقروشك وعطفك الكاذب.. وفي النهاية سوف تبكى وتقول.. هدمت لى بيتى.

كفى رثاء لنفسك.. بدون داع.. وأترك البنت لحالها وإذا أردت أن تساعدنا فساعدنا بكرم ورجولة دون أن نخنل منها القبلات على السلم.

وثق أنك إذا استمررت في علاقتك فسوف تنتهى حياتك الزوجية إلى الدمار المؤكد.

بدأت مشكلتي عندما تزوج والدي.. وكان زواجه بعد أربعين
يوماً من وفاة أمي - من سيدة مطلقة ولها ولدان أحدهما أكبر مني
بسنة. كانت معاملة زوجة أبي حسنة لدرجة جعلتني أقول لنفسي،
لو أن أمي كانت على قيد الحياة لما عاملتني أحسن من هذه
المعاملة.

وما زلت أقول هذا الكلام بعد مضي تسع سنوات على زواج
أبي. لم تكن زوجة أبي هي المشكلة إذن.. ولكن المشكلة كانت في
أبي الذي بدأت تتغير معاملته لي بعد زواجه بدرجة أفزعني.. فهو
كل يوم يحلفني على المصحف ألا أخونه ولا أهتك عرضه
ولا أغري امرأته.. ولو قلت لك أن عدد هذه الحلفانات اليومية
بلغت عدد شعر رأسي لما كنت كاذباً.. فقد أصابت الرجل لوثة
الغيرة والشك جعلته يرتاب في كل لحظة بدون مبرر وبدون داع..
وهو في كل مرة يرتاب فيها يأتي بالمصحف لأحلف عليه ويطلب

منّي أن أقسم بعهد الله وبنور عيني وشبابي بأنّي لم أفكر في امرأته
ولم استهيها. ولم أنظر إليها نظرة حرام.

وفي رمضان كان يغلق عليها حجرات النوم ويأخذ المفتاح معه
وأحياناً يترك الباب مفتوحاً ليعود بعد دقائق يتجسس ويفتش
وتطور الشك في ذهنه إلى تصورات وهمية.. مرة يقول لي إني
أمسك ذراعها، ومرة يقول إني تحسست شعرها، ومرة يقول إني
قبلتها، مع العلم بأنها امرأة في سن أمي نصيبها من الجمال
والجاذبية لا يزيد عن ٤ من ١٠.

وتطورت حالته فأصبح لا يسمح لي بالبقاء في البيت إذا
خرج فهو يأخذني معه حينما يخرج في الصباح الساعة التاسعة
ولا يسمح لي بالعودة قبل الواحدة.. وفي المساء يأخذني معه
الساعة السابعة لأتسكع كما أشاء ولا أعود قبل التاسعة.

وهو يعطى الخادمة تعليمات مشددة بأن تلتزم الست طول
الوقت ولا تخرج لقضاء أي طلب.. وإذا اكتشفت أنها خرجت
لأي غرض أصابه الهوس وبدأ يفتح تحقيقات لا آخر لها.
وأنا الآن طالب في جامعة الاسكندرية في السنة الثانية. ومن
حسن حظي أني أترك هذا المورستان وارتاح منه طول السنة
الدراسية.. ولكن ما تكاد الاجازة تبدأ وأعود إلى البلد حتى يعود
العذاب والجحيم و«س» و«ج».

آخر مرة أقام معي تحقيقاً طويلاً عريضاً لأنه رأى أفق بجانبها عند التلاجة.

ومرة أخرى كنت آخذ من المطبخ ملعقة بينما كانت واقفة تطبخ.. إزاي أدخل عليها.. واتلصص.. وانظر إلى ساقها ومفاتها (ياريتك تشوف السيقان الغاب دول).

العائلة في خصام معه لأنه تزوج بعد وفاة أمي بأربعين يومًا ولأنه باع أرضًا تركتها لى أمي وأنفق ثمنها.. وهذه طبعًا مسألة ثانوية لا تهمنى.. إنما المأساة في هذا التفكير الذى يفكر فيه والشك حتى حينها اترك البلد لأذهب إلى الاسكندرية تلازمى هومى وتمنعنى من المذاكرة.

لا تظن أن والدى تعليم متوسط، إنه رجل متعلم تعليمًا عاليًا وموظف درجة أولى على المعاش منذ ثلاث سنوات. لقد فكرت أن أنتحر ولكن إيماني منعنى. ماذا أفعل في هذا الجحيم الذى أعيش فيه؟

إن من يعيش في الجحيم الحقيقى هو أبوك. أنت تشارك بنصيب المتفرج شهورًا قليلة من كل سنة، ولكن الذى يتقلب على جمر النار هو أبوك، وكل الوسوس التى يحترق فيها لا أصل لها بالطبع انها محض خياله وتصورات.

ولكن رجلًا هذا خياله وتصورات.. هو رجل مسكين جدير بالإشفاق، والظاهر أنه تزوج في خريف رجولته، وأنه لم يعد يجد في نفسه الكفاءة التى كان يجدها في شبابه فانعكس شعوره

بالنقص إلى شك في زوجته وفي كل شاب يملك ما لا يملكه. أبوك مريض.. وحالته حالة سيكوباثية.. ويجب أن تعيد النظر في مشكلتك ولا تنظر في أنانية إلى ما تعانيه.. أنت وحدك. وتأكد أنك لو نظرت إلى عذابه فسوف يهون عليك عذابك.

صدر للمؤلف

- | | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| ١ - الله والإنسان | ٢٣ - الغاية |
| ٢ - أكل عيش | ٢٤ - مغامرة في الصحراء |
| ٣ - عبر ٧ | ٢٥ - المدينة (أو الحكاية مسافر) |
| ٤ - خلة الأتس | ٢٦ - اعترفوا لي |
| ٥ - رائحة الدم | ٢٧ - ٥٥ مشكلة حب |
| ٦ - إيليس | ٢٨ - اعتراقات عشاق |
| ٧ - لغز الموت | ٢٩ - القرآن محاولة لفهم عصري |
| ٨ - لغز الحياة | ٣٠ - رحلتى من الشك إلى الإيمان |
| ٩ - الأحلام | ٣١ - الطريق إلى الكمية |
| ١٠ - أبنتين والنسبة | ٣٢ - الله |
| ١١ - في الحب والحياة | ٣٣ - التوراة |
| ١٢ - يوميات نص الليل | ٣٤ - الشيطان يحكم |
| ١٣ - المستحيل | ٣٥ - رأيت الله |
| ١٤ - الأفيون .. (سيناريو) | ٣٦ - الروح والجسد |
| ١٥ - العنكبوت | ٣٧ - حوار مع صديقى الملعون |
| ١٦ - الخروج من التابوت | ٣٨ - الماركسية والإسلام |
| ١٧ - رجل تحت الصفر | ٣٩ - محمد |
| ١٨ - الإسكندر الأكبر | ٤٠ - السر الأعظم |
| ١٩ - الزلزال | ٤١ - الطوفان |
| ٢٠ - الإنسان والظل | ٤٢ - الأفيون .. (رواية) |
| ٢١ - غوما | ٤٣ - الوجود والعدم |
| ٢٢ - الشيطان يسكن في بيتنا | ٤٤ - من أسرار القرآن |

- ٤- لماذا رفضت الماركسية
٤- نقطة الغليان
٤- عصر القرون
٤- القرآن كائن حق
٤- أكذوبة اليسار الإسلامي
٥- نار تحت الرماد
٥- المسيح الدجال
٥- أناشيد الإثم والبراءة
- ٥٣- جهنم الصغرى
٥٤- من أمريكا إلى الشاطئ الآخر
٥٥- أيها السادة اخلعوا الأقنعة
٥٦- الإسلام ... ما هو ؟
٥٧- هل هو عصر الجنون ؟
٥٨- وبدأ العد التنازل
٥٩- حقيقة البهائية

• مجموعة المؤلفات الكاملة •

قصص مصطفى محمود	صدرت في بيروت عام ١٩٧٢
روايات مصطفى محمود	صدرت في بيروت عام ١٩٧٢
مسرعات مصطفى محمود	صدرت في بيروت عام ١٩٧٢
رحلات مصطفى محمود	صدرت في بيروت عام ١٩٧٢

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

رقم الإبداع	١٩٨٦/٧٩٦٠
الترقيم الدولي	٩٧٧-٠٢-١٩١٢-٤ ISBN

١/٨٦/٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)